خمس محطات يهودية

يهود العراق .. تاريخهم وماذا تبقى منهم

وليد الزبيدي



بطاقة فهرسة

الطبعة الأولى 2012

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب : خمس محطات يهودية

المؤلف : وليد الزبيدي

رقم الإيداع :



Tokoboko 5@ya

المقدمة

وجدت من خلال دراســتي لتاريخ يهود العراق، أن غالبية المصــادر المعتمدة في وصف حياة اليهود في العراق هي مصادر يهودية، وتقتضي الأمانة العلمية أن نعتمد تلك المصـادر، مثلما تم اعتمادها من قبل جميع الذين تناولوا أوضـاع الطائفة اليهودية في العراق، ولكن لابـد من التـأكيـد على بعض النقـاط التي لابـد من توضــيحها للقارئ، قبل أن يشرــع بقراءة هذا الكتاب الذي حاولنا أن نقدم فيه، وبقدر المستطاع، إعادة قراءة لتاريخ اليهود في العراق، والنقاط التي تحتاج إلى ذلك التأشير هي ما يتعلق بمصادر البحث، و يأتي في مقدمتها ما جاء في التوراة، وخاصة ما كتبه أحبار اليهود في بابل، بعد وفاة النبي موســى بأكثر من ســتمائة ســنة، ويتفق غالبية الباحثين والمؤرخين على أن ما تمت كتابته في بابل كان مليئاً بالمغالطات والمبالغات، وتركز تلك الكتابات على وصف مرحلتين مهمتين، هما المرحلة الآشورية والبابلية، ومن بين ما لاحظناه، أنهم ركزوا على كلمة (السبي) ذات الدلالات الواضحة، التي تنســجم مع الطروحات اليهودية المرتبطة بالعذاب والقهر والشــتات، ولم نجد اســتخداماً لتلك الكلمة لدى الإمبراطوريات والأمم التي كانت قائمة قبل تلك المرحلة (القرون الثامن والسـابع والســادس قبل الميلاد) وما بعدها، رغم اســتمرار الصرــاعـات ووجود عشرــات الحروب المصــحوبـة بـالأسر من كلا الطرفين المتصارعين، وحسب المصادر التاريخية، والآثارية،

فقد كانت تلك الإمبراطوريات تستخدم الاصطلاح الذي مازال شائعاً وهو «الأسر» أو «الجلب» إلا اليهود الذين أرادوا أن يعطوا بعداً آخراً فاستخدموا كلمة (السبي)، ونجد أن الغالبية العظمى من باحثينا ومؤرخينا يستخدمون الاصطلاح اليهودي الذي يهدف إلى مقاصد لا تخفى على أحدٍ، وأردنا أن نلفت الانتباه إلى ذلك.

أمّا المصادر الأُخرى، الأكثر اعتمادًا فقد كانت (رحلة بنيامين التطيلي) ويصنفه باحثونا ومؤرخونا ضمن قائمة الرحالة، ونجد من الضروري أن نثبت بعض المعلومات عن هذا الرحالة، الذي اعتمدنا رحلته، كأحد المصادر لوصف أحوال يهود العراق في القرن الثاني عشر، حيث يقول الكاتب اليهودي العراقي عزرا حداد: (لم نتوصل إلى ما يلقي الضوء على سيرته ومولده ونشأته) ويضيف قائلا :(أغلب الظن أنه كان وجهاً من وجهاء اليهود في قشطاله – أسبانيا- وأنه دوّن كتابه سنة 1173م ويقال: إنّه توفي في السنة ذاتها). ويذهب بعض المؤرخين إلى أن بنيامين قام برحلته هذه، موفداً من الهيئات اليهودية في أسبانيا للاطلاع على أحوال يهود الشرق، والذي يجب أن نثبته، أنه ما كادت الطباعة تظهر في أوربا في القرن الخامس عشر، حتى كانت رحلة بنيامين في طليعة الكتب المطبوعة، و صدرت أول طبعة لها بالعبرية عن مطبعة سونسينو في القسطنطينية سنة 1543م، وتوالى طبعها في كل دار معروفة للنشر، وتمت ترجمتها إلى معظم اللغات الأوربية منذ الثلث الأخير من القرن السادس عشر.

أما المصــدر الآخر الذي يعتمد في وصــف حياة يهود العراق، فقد كانت رحلة (بنيامين الثاني)، وهكذا يرد اســمه في مصــادر البحث لدى الباحثين، ووجدنا أنه رحالة يهودي واسـمه الحقيقي (يوسـف إسرائيل) وأطلق على نفسـه تسـمية بنيامين تيمناً ببنيامين التطيلي الذي سـبقه، وقال :إنّ هدفه من الرحلة، تكملة ما بدأه التطيلي في البحث عن الأسباط العشرة المفقودة.

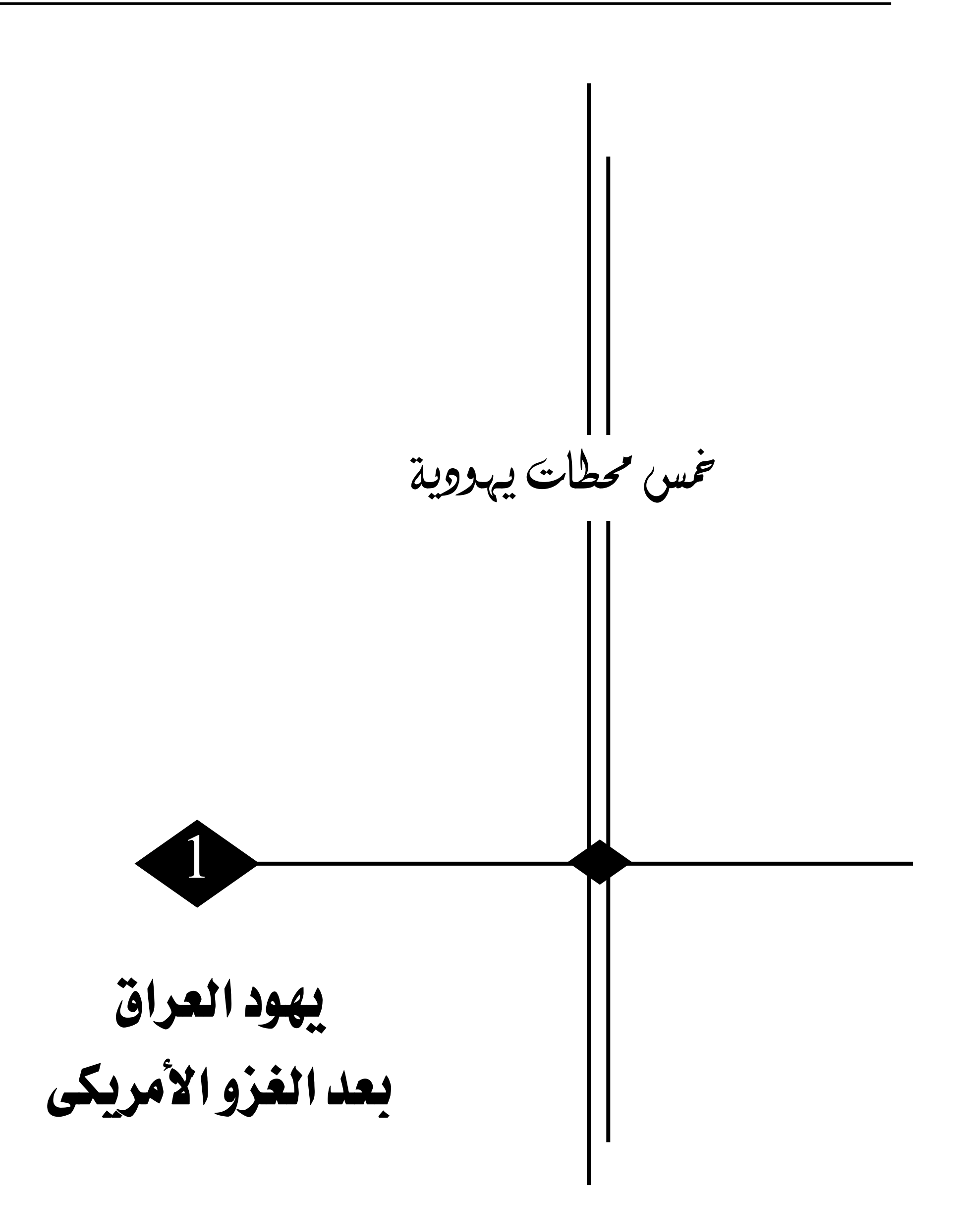
كما ثبتنا معلومات عن الرحالة الآخرين، وتوضــيحاً لحياة المؤرخ (يوســفوس) واســمه الحقيقي في هوامش الكتاب، ومن المراجع المعتمدة كتاب (نزهة المشــتاق في تأريخ يهود العراق) ليوســف رزق الله غنيمة، والذي اعتمد بدوره على المراجع اليهودية، كما أنه قد دخل مدارس الأليانس اليهودية عام 1893م، وكان تعليمه في تلك المدارس، كما ذكر ذلك في كتاب (نزهة المشتاق).

إننا إذ نضــع تلك المعلومات أمام القراء والدارســين، فإننا لا نفرض وجهة نظر معينة، بخصـوص تلك المراجع، ولكن وجدنا من الضرـوري، توضـيح الخلفية التي انطلق منها أولئك الكتاب والرحالة.

ووجدنا أن هناك نقصــاً كبيراً في إضــاءة الجوانب التاريخية والحياتية لليهود في شمال العراق، وهذا ما سلطنا عليه الضوء، وهي المرة الأولى التي يكتب بها تاريخهم بمثل هذه التفاصــيل، منذ الزمن الآشــوري وحتى عام 1950م، مروراً بالنشــاط الصهيوني هناك إبان الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين.

وأوردنا أدلة وبراهين جديدة، ومن مصـــادر يهودية عن أحداث حزيران/ يونيو **1941**م، وعن حقيقة التفجيرات التي حصــلت عامي **1950**م و **1951**م ومن وقف وراء تلك التفجيرات وأهدافها الحقيقية، وللمرة الأُولى يتم تسليط الضوء على تفاصـيل حياة الطائفة اليهودية في العراق خلال العقود الأخيرة، واسـتغرق ذلك من المؤلف وقتاً طويلاً، إذ أجرى المؤلف العديد من المقابلات مع رئيس اللجنة الإدارية للطائفة والتقى عدداً من أعضـــائها،وهناك إضـــافة للنص الذي أنجزناه أواخر عام **2001** ،يتمثل في معلومات عن سرقة القوات الأمريكية للوح نادر في مرقد النبي (ذي الكفل) جنوب بغداد أثناء الغزو الأمريكي للعراق،وكان المؤلف قد زار المرقد بعد الغزو بأشهر قليلة.





خمس محطات يهودية

1

يهود العراق
بعد الغزو الأمريكى

في تموز عام 2001 التقيت شـخصـيات من زعماء الجالية اليهودية في بغداد،كما التقيتهم مرات عدة في صـيف ذلك العام،وخرجت بمعلومات في غاية الأهمية عن حياة أفراد الطائفة وتاريخها ،وفي تموز أيضا عام 2003 بعد الغزو الأمريكي للعراق التقيت المسـؤول عن مرقد (ذي الكفل)في طريق عودتي من زيارة إلى مدينة النجف،ولم أكن أتوقع أنني سـأسـتمع إلى معلومات هامة من هذا الشـاب الذي توارث العمل في خدمة هذا المكان من أبيه الذي توارثها عن أجداده منذ مئات السنين.

أبدأ من زيارتي إلى مرقد النبي (ذي الكفل) في تموز عام 2003،عندما أخبرني القائم على المكان،أنه قد اضـطر وجميع أبناء المدينة (الكفل) الواقعة بين مدينة النجف والكوت إلى مغادرتها بداية شـهر نيسـان أبريل من عام 2003،بعد أن اشـتبكت قوات الحرس الجمهوري العراقية مع القوات الأمريكية التي وصـلت المدينة قادمة من جنوب العراق،وكانت المنطقة تتعرض لقصـف عنيف ودارت معارك شرسـة بين الجانبين،يقول: إنها المرة الأولى التي نضـطر لترك المرقد بلا حراسة،وبعد أيام تقدمت القوات الأمريكية وهدأت الأوضاع،فسارعت بالعودة إلى المرقد،وذهبت فورا إلى لوح نادرة جدا محفورة عليها كتابة باللغة العبرية،وكانت موجودة في مكان آمن ،ولم نكن نسمح حتى بتصويرها من قبل الصحفيين والزوار استنادا إلى تعليمات مشـددة من الحكومة في بغداد،وقيل لنا : إن عمرها يمتد إلى آلاف السـنين وأنها في غاية الأهمية، وتفاجأت بعدم وجود تلك اللوحة النادرة والثمينة،

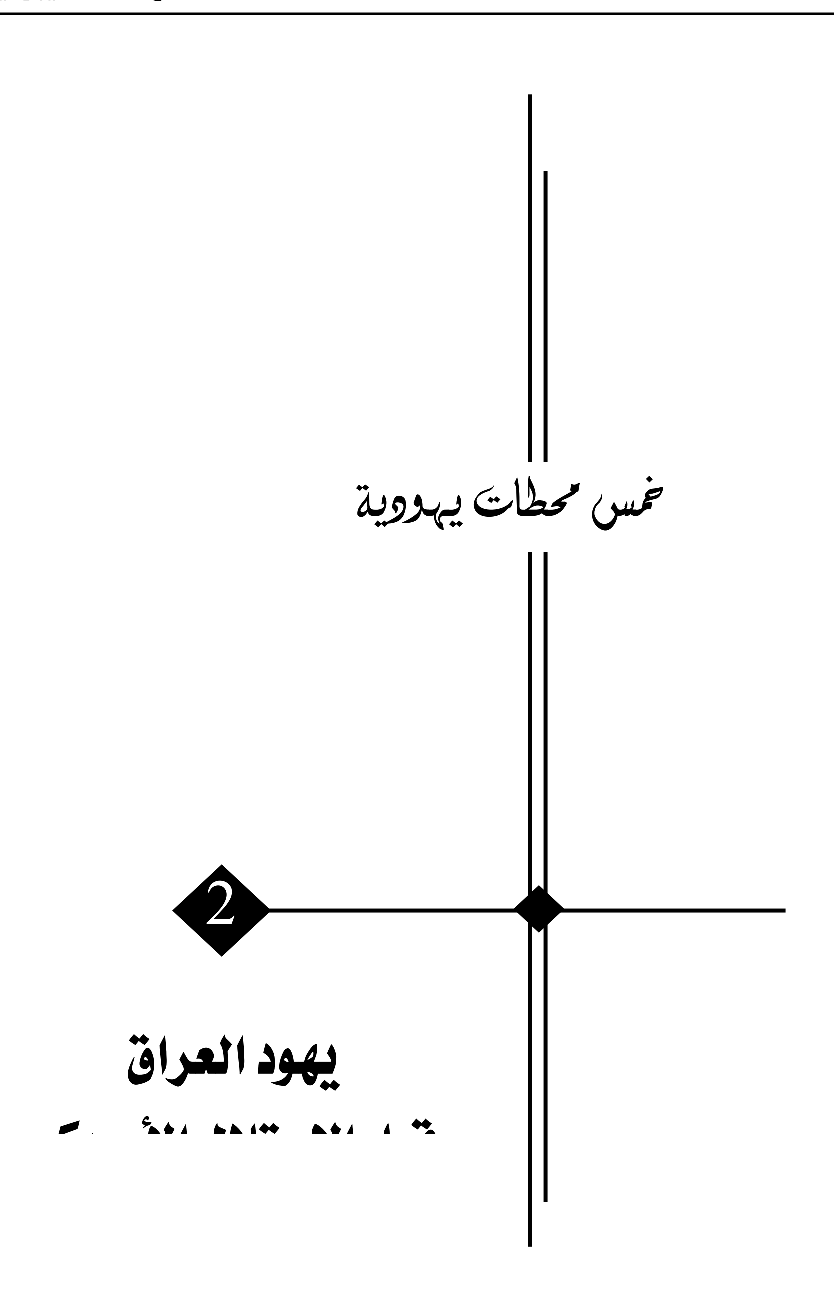
وتأكدت إنها قد سـحبت من قبل القوات الأمريكية،لأنني دخلت المرقد قبل أن يدخله أي شخص آخر على الإطلاق،ومن الواضح –

كما ذكر – لي أن هناك ضباطا وجنودا من اليهود يعملون في الجيش الأمريكي،وكان يحضر هؤلاء كل يوم سبت لتأدية الصلاة في المرقد،وأن هؤلاء يمتلكون معلومات تفصيلية عن المرقد ومحتوياته وتأريخه،وطلب هؤلاء شراء أراض محيطة بالمرقد، وقالوا: إن عمليات إعمار واسعة ستشهدها المناطق القريبة من مرقد (ذي الكفل).

وبعد ثماني سنوات ونصف السنة من الاحتلال الأمريكي للعراق لم يغادر جميع اليهود،فقد كان عددهم استنادا إلى ما قاله لي المسؤولون في الطائفة (32) شخصا حتى عام 2001،ويتضح أن (25) يهوديا عراقيا غادروا العراق في حين أصر (7) على البقاء داخل العراق.

والشخصيات البارزة من اليهود العراقيين الذين التقيتهم وتحدثت طويلا معهم هم :ناجي جبرائيل يعقوب رئيس اللجنة الإدارية للطائفة اليهودية في بغداد،وعزرا صالح مدير إدارة الطائفة(حوار طويل بتاريخ 24 تموز 2001)،وتوفيق سوفير أكبر اليهود سنا والمسؤول عن كنيس (طويق ميئير) في حي البتاويين وسط بغداد،واستنادا إلى ما ذكره توفيق سوفير في ذلك الوقت فإن الصلاة اليهودية لا تقام إلا بوجود عدد من المصلين لا يقل عددهم عن عشرة أشخاص،وهذا يعني أن صلاة اليهود متوقفة حاليا ،و ذكرت صحيفة تايمز بتاريخ(29-11-2011) أنه لم يتبق من اليهود في العراق سوى (7 أشخاص) وإقامة الصلاة تحتاج إلى عشرة مصلين كحد أدنى،كما أخبرني سوفير عام 2001.




خمس محطات يهودية
2
يهود العراق

ألصــقت وجهي إلى زجاج نافذة الطائرة، ونظرت إلى بغداد، تلك المدينة التي ولدت فيها، وأمضـيت فيها سـنوات عمري الأولى، والى نهر دجلة الذي أحببته لقد اختفيا عن ناظري بسرـعة، ولم أعد أراهما ثانية، هذا الوصـف كتبه (شـلومو هيلل) مخطط وقائد أوسع عملية تهجير لليهود العراقيين منتصف القرن العشرين،

والذي كوفئ فيما بعد واحتل عدة مناصب، آخرها رئيساً للكنيست الإسرائيلي عام 1984([1]).

(1) **شـلومو هيلل**، تهجير يهود العراق، شـخصـيات صـهيونية 2، ترجمة غازي السـعدي، دار الجليل –عمان–الأردن الطبعة الأولى 1986 ص262..من مواليد بغداد عام 1923..هاجر إلى فلسطين عام 1930..درس في كلية هرتسيليا..نشط من خلال شبكة صهيونية، في تهجير يهود العراق إلى فلسـطين في الحرب العالمية الثانية، وما بعدها..شـارك في العملية التي تولاها أربيه إلياف لتهجير بعض يهود مصرـ إلى فلسـطين المحتلة خلال حرب عام 1956..دخل الكنيسـت في أوائل السـتينات، ثم عين سـفيراً لإسرائيل في غينيا، ثم في ساحل العاج، ثم عين عضواً في وفد إسرائيل الدائم في الأمم المتحدة..أعيد انتخابه لعضوية الكنيست عام 1969، كما أعيد انتخابه في الأعوام 1973 و1977 و1980 و1984.. تولى منصـــب وزير الشرــطة في حكومـات: غولـدا مـائير (15/ 12/ 1969 – 3/ 6/ 1974)، وإسـحاق رابين (3/ 6/ 1974 – 20/ 6/ 1977).. انتخب رئيسـاً للكنيسـت الحادية عشرـة (1984 – 1988). وهنا نذكر بعض الشخصيات الإسرائيلية من يهود العراق والذين احتلوا مناصب كبيرة.

موشـيه شـاحل : وزير الأمن الداخلي (حزب العمل)..ولد في بغداد سـنة 1936، وهاجر إلى إسرائيل سـنة 1950 وهو محام بالمهنة ويحمل شهادة في الاقتصاد والعلوم السياسية من جامعة حيفا، وشهادة في القانون من جامعة تل أبيب..بدأ حياته السياسية عضوا في المجلس البلدي لمدينة حيفا (1965 – 1969). وانتخب عضـوا في الكنيسـت سـنة 1971 (الكنيسـت السـابع)، وفاز بعضـوية الكنيسـت في إطار قائمة المعراخ في جميع الانتخابات اللاحقة. شغل منصب رئيس كتلة المعراخ في الكنيست خلال فترة 1981 – 1984.. شغل منصـب وزير الطاقة والإنشـاءات خلال فترة حكومتي الوحدة الوطنية (1984 – 1990)، ومنصـب وزير الشرـطة والاتصـالات خلال فترة 1992 – 1993. كما تولى خلال فترة 1993 – 1994 منصب وزير الطاقة في حكومة إسحاق رابين، وفي الحكومة التي ألفها شـمعون بيرس في تشرـين الآخرة/ نوفمبر 1995، تم توسـيع صـلاحيات وزارة الشرـطة واسـتحدث منصـب وزير الأمن الداخلي، وعهد إلى شاحل تولي هذا المنصب. =

= **ران كوهين** : عضو كنيست عن حزب راتس في الكنيست العاشر (1984 – 1988) وفي الكنيست الحادي عشر (1988 – 1992)، وعن ميرتس منذ ســنة 1992..ولد في بغداد ســنة 1937، وهاجر إلى إسرائيل ســنة 1950. المهنة: مزارع. خريج جامعة تل أبيب.. خدم في الجيش الإسرائيلي، ووصـــل إلى رتبة عقيد..رئيس كتلة حزب راتس (حركة حقوق المواطن) في اللجنة التنفيذية للهستدروت..حالياً: عضو في لجنة الكنيست، وفي لجنة الخارجية والأمن.

رعنان كوهين : عضو كنيست عن حزب العمل منذ سنة 1988..ولد في بغداد سنة 1941، وهاجر إلى إسرائيل سنة 1951.

المهنة: خبير بشؤون العرب في إسرائيل. درس التاريخ العام وتاريخ الشرق الأوسط في جامعة تل أبيب، وحصل على الدكتوراه في موضوع العرب في إسرائيل. خدم في الجيش الإسرائيلي في سـلاح المدرعات..نشرـ كتاباً عن العرب في إسرائيل، ومقالات كثيرة في الصـحافة الإسرائيلية عن شـؤون سـياسـة وعن شـؤون العرب في إسرائيل.

حالياً: عضو في لجنة الخارجية والأمن، وفي لجنة شؤون مراقبة الدولة.

بنيامين بن إليعيزر : وزير البناء والإسـكان (حزب العمل)..ولد في العراق سـنة 1936، وهاجر إلى إسرائيل سـنة 1949. خريج مدرسـة القيادة والاركان وكلية الأمن القومي. التحق بالجيش الإسرائيلي سنة 1954 وخدم في لواء «غولاني». شارك في حرب سنة 1967 قائداً لوحدة استطلاع قاتلت في سيناء. وخلال فترة 1970 – 1973، عمل في إطار بعثة وزارة الدفاع في سنغافورة. اشترك في حرب سنة 1973 نائباً لقائد لواء حارب على الجبهة المصرية، وعين قائد لواء على الحدود اللبنانية خلال فترة 1974 – 1976، وكان مسؤولا عن إنشاء «جيش» لبنان الجنوبي..شغل منصب الحاكم العسكري للضفة الغربية خلال فترة 1978 – 1981، ومنسق أنشطة الحكومة الإسرائيلية

وبعد أكثر من نصف قرن من قيادته لعمليات تهجير يهود العراق، رد على ما قاله الرئيس الأميركي الســابق بيـل كلنتون في مقـابلـة مع القنـاة الإسرائيليـة الأولى (أيلول/ ســبتمبر 2000) ومـا أكـده إيهود بـاراك في مقـابلـة مع دان مرغليـت في الأســبوع نفســه، من أن هناك اتفاقاً على الاعتراف بيهود البلاد العربية كلاجئين، و قال هيلل: (أنا لا انظر إلى هجرة يهود الدول العربية كعملية لجوء، لقد جاؤوا لأنهم أرادوا أن يكونوا صهاينة) [1].

ومع أن عملية تهجير يهود العراق أســفرت عن هجرة 124 ألف يهودي، من بينهم حوالي عشرــين ألفًا بطريقة التهريب، إلا أن ذلك لم يســدل الســتار على تاريخ اليهود في العراق الذي يعد مثار جدل وخلاف بين الكثير من المؤرخين والباحثين[2].

في المناطق المحتلة خلال 1983 – 1984..في سنة 1984، انتخب عضوا في الكنيست عن حركة «ياحد» التي رأسـها عيزر وايزمن، والتي انضمت لاحقاً إلى المعراخ. وعين منذ سنة 1992 وزيراً للبناء والإسكان في حكومة يتسحاق رابين، واحتفظ بالمنصــب نفســه في الحكومة التي ألفها شــمعون بيرس في تشرــين الآخر/ نوفمبر 1995، يشغل في الوقت الحالي –حكومة شارون 2001– منصب وزير الدفاع.

عوفاديا إيلي : عضو كنيست عن حزب الليكود منذ سنة 1984..ولد في خانقين (العراق) سنة 1945 ، وهاجر إلى إسرائيل ســنة 1950 . المهنة : مدرس وتربوي ؛ خريج جامعة حيفا..خدم في الجيش الإسرائيلي ، ووصـل إلى رتبة رائد..شغل المناصب العامة والرسمية التالية: مفتش في وزارة التربية والتعليم على المدارس المتوسطة والثانوية في شمال إسرائيل ؛رئيس بلدية العفولة (1978 – 1991) عضو مجلس أمناء الوكالة اليهودية. =

= **المصدر**: محمد شريدة، شخصيات إسرائيلية مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق، ويشار إلى أن يهود العراق احتلوا مناصب مهمة في إسرائيل خلاف يهود البلاد العربية الأخرى لأنهم جاءوا بخلفية ثقافية واقتصادية قوية، كما أنهم يجيدون اللغة العربية الأمر الذي أسهم في الاعتماد عليهم.

(1)يهودا شنهاب، يديعوت أحرونوت، أيلول / سبتمبر 2000.

(2)قصـة الهجرة الجماعية من العراق في الفترة ما بين 1950–1951 اشـتملت على 95 بالمائة من الطائفة اليهودية في العراق، شلومو هيلل المصدر السابق ص298.

ومن أهم تلك النقاط ما يدعيه المؤرخون اليهود من أن وجودهم في أرض العراق كان منذ زمن إبراهيم الخليل، ويفند هذا الرأي العلامة د.أحمد سو سة الذي يقول: (إنَّ اليهود ظهروا في العراق أول مرة في عهد الآشـوريين في أواخر القرن الثامن وأوائل القرن السـابع قبل الميلاد، وذلك عندما (سباهم) الآشـوريون ونقلوهم إلى بلاد آشـور كأسرى، أي بعد عصر إبراهيم الخليل بألف ومائتي سـنة وبعد النبي موسـى بستمائة سنة.(د.أحمد سوسة ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق ص16) (1).

ويعيد اليهود تاريخهم في العراق إلى المرحلة التي سـبقت خروج إبراهيم الخليل، إذ يقولون، إن أربعة آلاف شـخص هاجروا معه، وليس ثمة أي سـند تاريخي يؤكد هذه القصة، وتؤكد التوراة بكل صراحة أن إبراهيم الخليل هاجر من العراق بمفرده ومعه ساراي (سارة) امرأته ولوط ابن أخيه (تكوين 12: 1 ؛ 24: 4-5) (2).

ويذكر ابن كثير في (البداية والنهاية ص174) أن إبراهيم الخليل هاجر إلى حرّان ثم إلى أرض الشـام، ويقول في ص150، إنه ترك بلاده وأهله وأقرباءه وهاجر إلى بلد يتمكن فيه من عبادة ربه عز وجل، ولم يرد ذكر لمجموعة مع إبراهيم الخليل سـوى ما حدده ابن كثير بقوله: (إن إبراهيم الخليل خرج من أرض بابل، هو وابن أخيه لوط وأخوه ناحور وامرأة إبراهيم سارة وامرأة أخيه ملكا فنزلوا حران) (3).

---

(1) د.أحمد سوسة ، ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق سلسلة دراسات فلسطينية (12) جامعة بغداد الطبعة الأولى 1978 ص16.

(2) أحمد سوسة ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق ، المصدر السابق، ص4.

(3) البداية والنهاية، ابن كثير (أبو الفداء الحافظ ابن كثير) المتوفى سنة 774هـ، الجزء الأول، دار الفكر، ص150.

ويقول المؤرخ –ابن الأثير في موسوعته (الكامل في التاريخ): وآمن له لوط بن هاران وهو ابن أخ إبراهيم، وكان لهم أخ ثالث يقال له: ناخور بن تارخ، وآمنت به سارة ابنة هاران الأكبر عم إبراهيم، وقيل: كانت ابنة ملك حران فآمنت بالله تعالى مع إبراهيم (المجلد الأول ص57) [1].

وإذ نورد ما ذكره هذان المؤرخان، لا بد من القول: إنهما قد وضعا الأثرين التاريخيين المهمين المشار إليهما، قبل أن يكون هناك أي نوع من الصراع، أو احتمال وضع ما يشير إلى الانحياز في الكتابة التأريخية، فقد توفي كل من ابن كثير (774هـ) وابن الأثير (630هـ) قبل أن يبدأ الصراع العربي الصهيوني بأكثر من سبعة قرون، وقبل أن تبدأ الدعوات الصهيونية، وهذا يدلل، على أن الادعاءات اليهودية ببدء الوجود اليهودي قبل هجرة إبراهيم الخليل في القرن التاسع عشر قبل الميلاد ليست صحيحة، والقصد منها إعطاء بعد تاريخي للوجود اليهودي في المنطقة، والذي يعني أن الأربعة آلاف الذين هاجروا –على حد زعمهم- إلى (حران) لا بد أن يكونوا النواة الأولى التي تواجدت في فلسطين، وبذلك العدد الكبير من البشر.

(1)الكامل في التاريخ لابن الأثير، المجلد الأول، دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الثانية سنة 1967، ص57.

ولأن أغلب دراســاتنا وبحوثنا تعتمد على المصــادر الغربية، كما يؤكد ذلك د.ســهيل زكار[1] والهيمنة الواســعة للمراجع التي خلّفها اليهود، وبالأخص ما كتبوه في بابل خلال القرون التي أعقبت انهيار الدولة البابلية، واعتماد الغالبية العظمى من المؤرخين العرب والمســلمين على تلـك المراجع، وقراءة التـاريخ من خلال ما جاء بها، ولم يكن ثمة حافز بالنســبة للمؤرخين والدارســين المحايدين يجعلهم يـدققون ويمحصــون الطروحـات والروايات التي جاءت في المصــادر اليهودية، لأنه لم تكن في ذلك الوقت مطامح صــهيونية كتلك التي نجدها الآن، والتي نســتطيع القول إن ملامحها وخطواتها العملية قد بدأت في النصـف الثاني من القرن التـاســع عشرــ، وتحولـت إلى واقع ملموس في النصــف الأول من القرن العشرـين، ونحن إذ نناقش هذا الأمر فإننا نرى التاريخ بمثل ما وصـفه (فرانسـيس فوكاياما) في كتابه (نهاية التاريخ) من أنه ليس هناك شيء يماثل التاريخ، فهو ترتيب منطقي وتواتر يتسع للأحداث الإنسانية[2].

---

(1) د.ســهيل زكار، باحث ومؤرخ له العديد من المؤلفات، ورد ذلك الرأي في حوار معه نشرــته جريدة الخليج الإماراتية (الخليج الثقافي) العدد 8023 بتاريخ 7 مايو 2001.

(2) فرانســيس فوكاياما، نهاية التاريخ، ترجمة د.حســين الشــيخ، دار العلوم العربية، بيروت-لبنان،ط1 1993، ص19.

ولا شـــك أن المؤرخين اليهود يحاولون أن يزجوا العناصر التي يرونها ضرورية لدعم ذلك التواتر المنطقي، الذي يفترض أن يتســـع للأحداث، ومحاولة توظيف الجغرافية لخدمة الطروحات التي يؤسسون من خلالها لأفكارهم ومشاريعهم، ولا شـك أن الجغرافية كما يقول عنها د.إدوارد سـعيد، إنها لا تحفز الذاكرة حسـب، بل الأحلام والفنتازيات[1]. وعلى هذا الصـعيد يشـير إلى أن الدارسـين والمؤرخين الصـهاينة يقومون بابتداع صـورة جغرافية لإسرائيل القديمة، تشـكلها الحاجات والضغوط الأيدلوجية للحركة الصهيونية الحديثة[2].

واعتمد الفكر اليهودي على بعثرة التسـلسـل التاريخي والتشـويش على الوقائع والتركيز على الجغرافية، باعتبارها الوعاء الأكثر أهمية لتقبل الطروحات المشـوشـة تاريخياً، ويؤكد ذلك المؤرخ الإسـكتلندي للشرـق الأدنى القديم، (كيث دبليو وايتلام) في كتابه بالغ الأهمية (اختلاق إسرائيل القديمة) فيقول: هناك هجوم متعمد ومتواصل على التاريخ، ومن ثم على ذاكرة فلسطين العامة المهيمنة،

(1)إدوارد سعيد، دراسة بعنوان Invention,Memory and Place ونشرته مجلة Critical In Quiry الأمريكية عدد شتاء عام 2000، ترجمة خالدة حامد، ونشرت النص العربي مجلة البحرين الثقافية ع 28 سنة 2001.

(2)المصدر السابق.

وحجم الاهتمام الذي يبذل طوال سنوات لمسألة إعادة بناء التاريخ اليهودي ليتلاءم وأغراض الصهيونية بوصفها حركة سياسية[1]. ومن هنا فإن الذاكرة الجمعية ليست شيئاً جامداً وسلبياً، بل هي حقل نشاط يتم فيه انتقاء الأحداث الماضية وإعادة بنائها، والمحافظة عليها وتشكيلها وإفراغها في قالب سياسي[2].

يمكن أن ندرس التاريخ اليهودي من زوايا جديدة، لا تبتعد عن الأحداث التاريخية المعروفة، ولكن نتعامل معها بكثير من الدقة والتأني، ولا شك أن بداية التمحيص والتدقيق، يفترض أن تبدأ من الروايات اليهودية، التي تقول إن تاريخ اليهود يبدأ من هجرة إبراهيم الخليل، لأن ذلك يعني استغلال الجغرافية وتوظيفها لخدمة صياغات وطروحات تاريخية، بعضها صاغته كتابات الأحبار القدماء، والبعض الآخر، وضعه الرحالة والمستشرقون والمؤرخون، ومن بينهم المؤرخون العرب والمسلمون فيؤكد د.سهيل زكار أن الكثير من كتاباتنا مليئة بالإسرائيليات.

يقول د.أحمد سوسة الذي أمضى ـ أكثر من نصف قرن بالبحث في التاريخ اليهودي، إنه لا توجد دراسة علمية لتاريخ يهود العراق القديم، وإن المصدر الوحيد الذي يعتمده الباحثون هو ادعاءات اليهود التي يلقنونها لطلبة المدارس[3].

---

(1) كيث دبليو وايتلام، المصدر السابق.

(2) انظر أيضا : بيل يروبافل في (الجذور المستعادة :الذاكرة الجمعية خلق التراث الإسرائيلي القومي 1995، شيكاغو، ص63.

(3) انظر: شريف يوسف مقال بعنوان: تاريخ يهود العراق كما يلقنه الصهاينة لأبنائهم « مجلة العربي » الكويت ع108 تشرين الآخر 1967، ص105- 111.

وتذهب الادعاءات اليهودية إلى أكثر من اتجاه، فيقولون: إنَّ أصلهم من العراق، ويدعون أن فلسطين أرضهم برغم أن التوراة نفسها، تتحدث عنهم بصفتهم غرباء وافدين طارئين على فلسطين (تكوين 12: 10؛20: 1..) وولد أبناء يعقوب الاثنى عشر - جميعهم باعتراف التوراة في فدان ارم (منطقة حران) حيث بقي هناك يعقوب المسمى إسرائيل عشرين سنة (تكوين 32: 28) وهذا دليل قاطع على أن أرض فلسطين لم تكن مكان ولادة الإخوة الاثنى عشر - الذين ورد ذكرهم في التوراة. وحسب المكتشفات الآثارية والمراجع التاريخية فإن فلسطين كانت تسكنها في تلك الحقبة القبائل الكنعانية[1].

يقول د.محمد رشيد الفيل في كتابه (اليهود وعلم الأجناس ص56) أن الكنعانيين سبقوا اليهود الإسرائيليين الأوائل في سكنى فلسطين، ويعزز رأيه البروفيسور البرايت -أحد كبار النقاة العالميين في تاريخ فلسطين القديم في و ضوح لا يحتمل اللبس، ويقول : لا يوجد في فلسطين أي آثار يهودية ترجع إلى ما قبل العصر - الروماني الأنطوني، وكان كثير من العلماء يعتقدون قبل أن ينشر - (kohl) و(watzinger)

(1)إن أول من سكن فلسطين اليبوسيون (الكنعانيون) في نحو أوائل الألف الثالثة قبل الميلاد حين هاجر الكنعانيون من جزيرة العرب إلى فلسطين، كانت لها حضارة عريقة سجل التاريخ أسماء عدد من ملوكها، ودام كيانها السياسي زهاء ألفي عام قبل أن يحتلها داود في أوائل الألف الأولى قبل الميلاد ، وورد اسم (أورشليم) (أورو سالم) في الكتابات الكنعانية التي تعرف برسائل العمارنة، وهذه ترجع إلى القرن الخامس عشر - قبل الميلاد أي قبل ظهور مدونات التوراة بأكثر من ألف عام وهذا يؤكد أن كلمة (أورشليم) هي ليست يهودية كما يدعون، وإنما هي كلمة كنعانية، (انظر: العرب واليهود في التاريخ، وزارة الإعلام دار الحرية للطباعة، بغداد 1972، ص ب ب).

ومن بعدهما (sukenik) نتائج أبحاثهم، أن بعض الكنائس الخربة في الجليل ترجع إلى عهد المسيح قبل التوراة الأولى، أما اليوم فلم يبق ريب في أن هذه النظرة خاطئة، وأنه ما من أثر باق في فلسطين يرقى إلى ما قبل العهد الأنطوني، ويزعم الصهاينة أن ما يدعى حائط المبكى هو بقية من هيكل سليمان، وهو زعم باطل لأن الحائط غرانيتي وهيكل سليمان إنما بناه الفينيقيون من خشب الأرز، ويقول أرنولد توينبي: بأنه لاحق تاريخي لليهود في إسرائيل[1].

عاش بنو إسرائيل بعد رجوعهم مع سيدنا موسى (عليه السلام) عن طريق شبه جزيرة سيناء في فلسطين، وهناك نشروا دينهم، وكان الاختلاط بين الإسرائيليين والسكان الأصليين محرماً، ومع ذلك فقد حدث اختلاط فيما بينهم ولو أنه كان قليلاً نسبياً، وامتد نفوذهم في فلسطين إلى الهضبة الداخلية وكونوا مملكتين هما: مملكة في الشمال وعاصمتها نابلس وعرفت في التاريخ بمملكة إسرائيل نسبة لإسرائيل أبي الأسباط، ومملكة في الجنوب قريبة من الصحراء وعا صمتها القدس، وعرفت بمملكة يهوذا نسبة إلى سبط يهوذا أحد أسباطها ومن يهوذا جاءت كلمة اليهود[2].

وكان ذلك بعد أن عبر موسى وقومه الصحراء حوالي 1290 ق.م، واتجهوا نحو أرض كنعان (فلسطين)، وقد تولى قيادة اليهود بعد وفاة موسى يوشع، الذي عبر بالإسرائيليين نهر الأردن واستولوا على أريحا وأحرقوها،

(1)د.محمد رشيد الفيل، اليهود وعلم الأجناس، مطبعة شفيق، بغداد ،د. ن ، ص78.

(2)د.محمد رشيد الفيل، المصدر السابق، ص80.

وأخضــعوا بعض المدن الكنعانية، ولكنهم عجزوا عن إخضـــاع القدس، وقد نشــبت بين الفلســطينيين والعبرانيين حرب ضروس انتهت بالتغلب على العبرانيين عــام 1050 ق.م، إلى أن تمكن داود من التغلـب عليهم، ومن ثم إخضـــاعهم والســيطرة على بلادهم، كما ويعتبر داود المؤســس الحقيقي للمملكة وقد أقام للإله يهوده معبداً بعد وفاته وأوصى ابنه سليمان أن يشيد للرب الهيكل[1].

ويذكر د.جاب الله علي جاب الله أنه قد كانت لأورشليم مجموعة من الأسماء من بينها «أورشــليم، شــالم، يابوس» وأن أقدم ذكر لمدينة أورشــليم يوجد في ما يعرف بــ(النصوص الحرية) التي وجدت في مصر بين القرنين 18و19 قبل الميلاد، وهي نصـوص كانت تكتب على أواني فخارية وعلى تماثيل حجرية، ويتم كسرـها كطقس من طقوس مواجهة الشر[2].

ولقد تعاقب على حكم بني إسرائيل عدة ملوك وقادة وكان آخرهم ســليمان (960-935ق.م) وقد قام بأعمال جليلة، ولكنه أرهق قومه بالضرــائب العالية، وبذلك حقدوا عليه ومقتوه، على الرغم من قيامه بأعمال رفعته وجعلته من ألمع الحكام الإسرائيليين، ولما توفي ســليمان اجتمع ممثلو الأســباط وطلبوا من ابنه وولي عهده رجعام أن يخفف عنهم الضرائب،

(1)المصدر السابق، ص83.

(2)د.جاب الله علي، أمين عام المجلس الأعلى للآثار بجمهورية مصرــ العربية، وجاء توضــيحه لتاريخ فلســطين القديم خلال ندوة نظمتها لجنة التاريخ في المجلس الأعلى للثقافة في القاهرة بعنوان (القدس مدينة عربية وإسلامية) ونشرت جريدة الخليج الإماراتية تصريحات د.جاب الله في عددها المرقم 8748 بتاريخ 13 تشرين الآخر/ نوفمبر2001م.

ولكنه لم يستجب لطلبهم هذا، مما أدى إلى هياج القبائل الإسرائيلية، فأسس عشرة منهم مملكة في الشمال، أما السبطان الآخران فأقاما مملكة يهوذا وجعلا عاصمتها أورشليم وذلك في سنة 930ق.م وهكذا أصبح لليهود مملكتان، مملكة في الشمال وقد عرفت بمملكة إسرائيل، نسبة لإسرائيل أبي الأسباط، وكانت تضم أكثرية الأسباط ثم مملكة ثانية في الجنوب، عرفت بمملكة يهوذا نسبة إلى سبط يهوذا أحد أسباطها، وقد كانت مملكة إسرائيل أرقى من مملكة يهوذا، فأرضها خصبة وسكانها زراع وتجار، في حين أن مملكة يهوذا كانت أرضاً جبلية وسكانها رعاة(1).

وينتقل المؤرخون اليهود إلى منطقة أخرى ويعدونها مصدر هجرة اليهود إلى فلسطين، وهي منطقة الجزيرة العربية ففي كتابه (تاريخ اللغات السامية ص5) يقول الدكتور إسرائيل ولفنسون : (إن الهجرة الإسرائيلية صدرت من الجزيرة العربية وفتحت بلاد فلسطين، وكان هذا الفتح سبباً لتقلبات اجتماعية ودينية كثيرة كبيرة الأثر في التاريخ العام) (2).

ويرتبط طرح ولفنسون مع الأهداف التي وضعتها الحركة الصهيونية وعمد قادتها على تنفيذها، ولهذا يريدون أن يجعلوا من أرض الجزيرة العربية موطناً آخر لليهود، والحقيقة أن يهود هذه المناطق اعتنقوا الدين اليهودي نتيجة للحملات التبشيرية، وقد كانوا بالأصل عرباً ثم تهوّدوا وهم في ديارهم،

---

(1) د.محمد رشيد الفيل، المصدر السابق، ص83-84.

(2) د. إسرائيل ولفنسون من الكتاب المروجين للفكر الصهيوني، وقد أصبح بعد قيام دولة إسرائيل عام 1948 مشرفاً على البعوث الإسرائيلية إلى أفريقيا، وكان يدرس في جامعة القاهرة وحصل على شهادة الدكتوراة من جامعاتها بإشراف د.طه حسين.

وبقوا محافظين على عاداتهم وتقاليدهم ولغتهم العربية، ولم تكن لهم أية صـلة بيهود فلسطين، لكن هذا التناول التاريخي من قبل المؤرخين اليهود، إنما جاء ليكمل الطروحات التي رسمتها الخارطة الصهيونية، والتي تُضَمِّنْ حدود دولة إسرائيل أجزاءً من الجزيرة العربية (المملكة العربية السعودية) والعراق وأجزاء من تركيا إضافة إلى الأردن ولبنان وسوريا[1].

وتستند تلك الادعاءآت إلى ما دونه الأحبار اليهود في بابل، بعد أن تم أسرهم من قبل الملك نبوخذ نصر، ويقولون: إن الرب قطع مع إبرام (إبراهيم الخليل) باعتباره جد العرب واليهود على حد قولهم ميثاقاً يقول (لَنِسْلِكَ أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات) [2](تكوين 15: 18-19)

ويردد تلك الادعاءات، التي تشير إلى هجرة اليهود من جزيرة العرب، الكثير من الباحثين والدارسين ونجد (E.M. Burns) يقول: (إن أكثر الباحثين يجمعون على أن جزيرة العرب هي وطن اليهود الأصلي) [3].

(1)ما يؤكد ذلك شعار دولة إسرائيل الذي يتصدر الكنيست الإسرائيلي، والذي يقول حدود دولة إسرائيل من النيل إلى الفرات، كما أن الخرائط التي وجدت في خزانات عائلة روتشيلد في ألمانيا تتضمن تلك الحدود، ولا ينفك رموز الحركة الصهيونية يصرحون بذلك، وهذا ما أكده مناحيم بيغن في أحاديثه لصديقه (Rev Jerry Falwell) والتي نشرها في صحيفة التايمس تلغراف.

(2)د.أحمد سوسة، ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق، مصدر سابق ص6.

(3)E.M.Burns ,«Western Civilizations,» 7Thed New Yourk.p.98.

بعيداً عن التشـويش والخلط الذي يهيمن على التاريخ اليهودي، يوضـح العلامة د. أحمد سو سة التسلسل الزمني للشخصيات والأحداث بقوله: لقد أرجع بعض الباحثين تاريخ اليهود إلى زمن الأكاديين في العراق، في حين أن الأكاديين كانوا قد ظهروا قبل عصر موسى بأكثر من خمسمائة وألفي سنة، ذلك لأن اللأكاديين، نزحوا من جزيرة العرب إلى شـواطئ الفرات في حوالي 4000 قبل الميلاد، أما اليهود أتباع موسـى فإنما ظهروا في القرن الثالث عشرـ قبل الميلاد أي بعد الأكاديين بــــ2700 سنة[1]. وهذا تفنيد علمي يعتمد التسلسل الزمني، ويو ضح حالة التشويش التي يحاول البعض إقحامها على التاريخ.

عندما حاول بعض الباحثين و ضع علاقة بين اليهود وعصر إبراهيم الخليل، فإن الرد على ذلك، يأتي أيضـاً من خلال التسـلسـل التاريخي للأحداث والوقائع، والتي تشير إلى أن اليهود لم يظهروا إلا بعد عصر إبراهيم الخليل بسبعمائة سنة، هذا إضافة إلى فريق البـاحثين الـذين ربطوا بين اليهود وهجرتهم من الجزيرة العربيـة وهو مـا أشرنا إليه.

لابد من الوقوف عند تســمية (يهودي) ودراســة أصــلها، ومتى وردت للمرة الأولى؟ لأن ذلك في اعتقادنا، أحد أهم الحلقات التي يجب توافرها لمن يدرس التاريخ اليهودي بصـورة علمية وبعيداً عن التشـويش الذي قد يحصـل لسـبب أو آخر، يقول د.سهيل زكار:

---

(1)د.أحمد سـوسـه ، العرب واليهود في التاريخ، حقائق تاريخية تظهرها المكتشـفات الآثارية، دار الحرية للطباعة بغداد 1972 ص ن.

هناك خلاف حول أصــل تســمية (اليهود) وحول معناها في المصــادر العربية والمصــادر غير العربية وحول متى نشــأت وراجت؟ وقالوا : إنها جاءت من كلمة (يهوذا) وهكذا عمّت كلمة (اليهودية) وعنت الديانة[1]. ويؤكد د.أحمد سـوسـه أن أول ظهور لكلمة يهودي كانت في الكتابات والنقوش الآشــورية في القرن الثامن قبل الميلاد، بينما يذكر Ripley في كتابه (The Race of Europe) انه يتفق مع الباحـث والمؤرخ (Renan) في تـأكيـده بـأن كلمـة (يهودي) ليس لهـا معنى أنثروبولوجي لا في أوربا ولا في روســيا ولا في حوض الدانوب على الأقل[2]. ويلاحظ الأستاذ (لامبروز) بأن اليهود الحديثين هم أدنى إلى الجنس الآري منهم إلى الجنس السامي، وأن حوالي تسعة أعشار يهود العالم، يختلفون في سلالة أجدادهم في شكل الرأس اختلافاً كبيراً، ويتو سع د.محمد ر شيد الفيل في درا سته (اليهود وعلم الأجناس) ليثبت أن العديد من الأجناس قد انتموا إلى تسـمية (اليهودية) ويتوصـل د.الفيل إلى أن نسبة كبيرة جداً من الذين يسمون أنفسهم باليهود، هم ليسوا يهوداً، ويشــير إلى أن هنالك نقصــاً لعناصر الوحدة التي تربط بين الجنس اليهودي، وإذا أ خذ نا الأنف الطو يل –العلا مة الفار قة لليهود- ا لذي أطلق عليه البعض خطأ الأنف السـامي (Semetic Nose) إنما هو أنف أرمني، ويقول في ذلك الأسـتاذ (Haddon) (والمدعو الأنف اليهودي ذو أهمية،

(1) د.سهيل زكار، المصدر السابق.

(2) Ripley, William, Z.,«The Races of Europe» وانظر د.محمد رشـيد الفيل، مصـدر سابق ص77.

فلا يمكن أن نعتبره أنفاً ســامياً كأنف البدو الأقحاح الذين يعتبرون نموذجاً للســاميين وكانت هذه الأنوف حيثية نموذجية وهي في الحال الحاضر للأرمن الحاليين الممثلين للحيثيين) (انظر د.محمد الفيل، اليهود والجنس البشرــي ص54). ومن هنا فإن التشـويش الحاصـل في المسـالة اليهودية لا يتوقف عند أصـل التسـمية اليهودية، وإنما يصل إلى من يسمون بـ(اليهود) أنفسهم وانتمائهم إلى أجناس مختلفة، وقد اعتنق الديانة اليهودية، كما ورد في كتاب What is Race أناس من خارج الجنس الأبيض، فهناك يهود صـينيون ويهود أحباش ويهود زنوج أمريكيون، ونجد بذلك إن تسمية (يهودي) تطلق على أناس ينتمون إلى سلالات وأجناس مختلفة.

ويقول د.الفيل: أن (يهودي) في الوقت الحاضر تعني كل شــخص انتســب إلى الديانة اليهودية وأخذها كدين له، وليس من ســبط يهوذا، ويرجح أن لفظة يهودي قد ظهرت لأول مرة إثر ظهور الديانة المسيحية[1].

وعندما توقفنا عند المســائل التي تخص تســمية اليهود والجنس اليهودي، فإننا أردنا أن نعطي أرضــية علمية دقيقة لبحثنا عن تاريخ يهود العراق، في ضــوء ما يتم تداوله واعتماده من قبل الباحثين والمؤرخين.

وهنا لابد من الإشــارة إلى أن التوراة كانت قبل الاكتشــافات الأثارية الأخيرة المصدر الأساس، الذي يرجع إليه الباحثون في تدوين تاريخ فلسطين القديم، ودور اليهود فيه باعتبارها أقدم كتابة في التأريخ القديم فضلاً عن قدسيتها،

---

(1)د.محمد رشيد الفيل، المصدر السابق ص78.

مما وضعها خارج نطاق التحليل التاريخي العلمي، وقد بقيت على هذا النحو قروناً عديدة لانعدام الأدلة والبراهين القاطعة، حتى كشفت لنا الكتابات التي خلفها الأقدمون قبل عهد التوراة، وهم السومريون والأكديون والكنعانيون (الفينيقيون) والحيثيون والبابليون والآشوريون والمصريون عن كثير من الأمور الغامضة، وتمتاز هذه الكتابات بأنها دونت أحداث عصرها أولاً بأول خلاف ما جاءت به التوراة من تدوينها لفترات متباعدة سابقة لفترة التدوين تلك[1].

والمسألة الحساسة التي لابد من الوقوف عندها، أنه ومن خلال دراستنا لتاريخ اليهود في العراق والذي اقتضى بالضرورة الإحاطة بجوانب مهمة من تاريخ العراق القديم، والذي يعني الاطلاع على الحروب التي كانت تحصل بين الإمبراطوريات والدول في ذلك الوقت، لاحظنا، أن هناك الكثير من الحروب والصراعات كانت تحصل وباستمرار، وأن مسألة جلب الأسرى كانت أحد الشواهد التي وثقتها الكتابات القديمة، ولكن الأمر المستغرب، أننا وجدنا لفظة (سبي) يتكرر استخدامها في مرحلتين محددتين فقط، وهو ما يتعلق بالحروب الآشورية التي شنت ضد اليهود أواخر القرن الثامن قبل الميلاد، وما قام به نبوخذ نصر عامي 597و586 ق.م، أما في بقية الحروب وهي كثيرة جداً، فقد ظلت ترد كلمة (أسر) أو (جلب) لمن يتم أخذهم من الجانب الآخر،

(1) د.أحمد سوسه، العرب واليهود في التاريخ، مصدر سابق ص23.

وما لاحظناه أن الغالبية العظمى من مؤرخينا وباحثينا يستخدمون ذات اللفظ (سبي) في بحوثهم وكتبهم، والتي نعتقد أنها جاءت من المصادر اليهودية، التي أريد بها أن تميز الحالة التي مر بها اليهود وتضعهم في خانة المضطهدين، وتمنح بعداً دينياً لما حصل لهم، ولهذا فإن الدعوة لابد أن توجه إلى الدارسين لملاحظة ذلك، والذي نعتقد أنه يدخل ضمن منهج الدعاية اليهودية، التي تنطلق من كون اليهودي ظل يعيش حالات العذاب والشتات وعدم الاستقرار، وهذا ما يرويه الحاخامات عبر مختلف الحقب الزمنية للأجيال على شكل قصص وروايات كما يذكر ذلك GOLDBERG في كتابه (American Jewish power) ويشير إلى هذه الحقيقة د. حامد ربيع في دراسته (فلسفة الدعاية الإسرائيلية) إذ يشير إلى أن الشخصية اليهودية ظلت تتداول على أنها الشخصية التائهة، التي تدور بين الانتقال من موقف المذنب إلى موقف المتذمر، ومن موقف الخاطئ إلى موقف المعذب، وأن شخصية اليهودي لا تأتي إلا مع العواصف، وأن اليهودي يتصف بالازدواج في شخصيته، فهو مخيف من جانب وهو قنوع من جانب آخر، وهو فقير في أحيان ولكنه يظهر غنياً في أحيان أخرى، راضٍ بالعقاب الذي نزل به، ولكنه شكّاك ومتذمر ومتربص لتحقيق تمرده وثورته، كما أنه يمتاز بعبادته للمال[1].

---

(1) د. حامد ربيع، فلسفة الدعاية الإسرائيلية، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، بيروت، تموز/ يوليو 1970، ص191.

وسـنجد أن هذا التحليل الدقيق ينطبق على السـلوك اليهودي خلال الحقب التاريخية المختلفة والمتباعدة التي مروا بها، وبدأ ذلك من تأكيدهم على كلمة (سبي) للتعبير عن ذلك الإحساس ومحاولة جعله أحد أشـكال الشـعور الجمعي لدى الآخرين، وكما ذكرنا، فقد وردت كلمة أسرى في تاريخ العراق القديم، ولم يرد ذكر كلمة سبي ويعطينا شعار أور الشهير من عصر فجر السلالات الثالث، صورة عن الحرب ومصير الأسرى بعد الانتصار، ويرد ذكر الأسرى في اثر آخر من سلالة لكش من عصر فجر السلالات يعرف بمسلة العقبان، ويتحدث أيناناتم وأنتمينا حكام لكش (حوالي 2500 ق.م) عن حصولهم على أسرى حرب، وفي كتابات الملوك من العصر الأكدي يتحدث ريموش (2275-2284 ق.م) ثاني ملوك السلالة السرجونية عن احتلاله لمدن في بابل وجبال زاجروس، وأسره لعدة آلاف ومن عهد أمارسن (2043-2052 ق.م) ثالث ملوك سلالة أور الثالثة جاءت تموينات مخصصة للأسرى، ومن سلالة بابل الأولى يذكر سمسوايلونا انه أطلق سراح أسراه من مدينة Idmaras (Gelb ,J (1973) p.77) ورأت السلطة في عصر حمورابي ضرورة متابعة مصير جنودها المأسورين، وإصدار جملة من المواد القانونية يكفل بعضها افتداء الأسير(1).

---

(1) صالح حسين الرويح، العبيد في العراق القديم، مطبعة الميناء، بغداد 1976، ص37-38.

من الواضح أن اليهود الذين جلبهم الآشوريون إلى المناطق الشمالية من العراق قد وصلوا إلى مدينة كركوك، إذ يذكر Saggas في كتابه (The Greatest that was Babylon) أنهُ جاء في رسالة من حاكم مدينة أرنجا (كركوك) إلى الملك الآشوري ذكر لمشكلة كان يواجهها الأول، وهي إيجاد السكن والطعام لـ(600) أسير، يفترض أنهم كانوا في طريقهم إلى العاصمة، كما يبين ذلك المسؤول أن التموينات غير كافية ويقترح وضع مسؤولية 3000 منهم على عاتق حاكم مدينة مجاورة له[1].

يظهر من السجلات الملكية في العصر الآشوري مدى افتخار الملوك الآشوريين بالأسرى أصحاب الاختصاصات والصنائع، ويذكر آسرحدون عن أخذه من مصر وبلاد النوبة الأطباء وصانعي الأثاث، ويستنتج من عاجيات نمرود ومن تحصينات شلمنصر في آشور والأبواب البرونزية تأثيرات واضحة على يد الصناع والفنيين من أسرى الحرب[2].

ويمكن تفسير ما توصل اليه الباحثون على أساس الأهداف التي يبغيها الباحث من عمله، ويقسم هؤلاء إلى قسمين:

---

(1) المصدر السابق، ص41.

(2) انظر :

Sagga ,H.W, The Greatness that Was Babylon,London,1962,P.99.

الأول: الباحثون الذين استندوا في كتاباتهم إلى التوراة، واعتمدوها في كتاباتهم ولم يقصدوا شيئاً من وراء ذلك، ولكن الأساس الذي اعتمدوه كان موضوعاً بطريقة ذكية، بحيث يكون هناك خلط بين الأحداث وحالة من التشويش، التي لا تسمح للباحث بمتابعة التسلسل الزمني، ومعروف أن كتبة التوراة تعمدوا إهمال ذلك التسلسل، وهذا ما يسهل عليهم عملية ربط تاريخهم بعهود قديمة سبقت وجودهم[1]، فأصبح القارئ تائهاً هل هو في عصر إبراهيم الخليل أم في عصر موسى ويشوع أم في عصر اليهود ؟

الثاني: الباحثون الذين يعون حقيقة التسلسل الزمني وأهميته في كشف الحقائق التاريخية، ويتعمدون إهماله ويمعنون في تعميق حالة التشويش التي لا تطال القارئ فقط، وإنما تؤثر في توجهات الدارسين والباحثين، الذين يشكلون المادة الثقافية والفكرية للآخرين من خلال ما يكتبون وينشرون.

أما دراسة التاريخ اليهودي بصورة عامة وتاريخ اليهود في العراق وفلسطين وبقية أنحاء الوطن العربي فيجب أن يبدأ من الفهم الدقيق والموضوعي، والذي يعتمد على الأحداث التاريخية والتسلسل الزمني الدقيق، والذي يؤكد وبما لا يقبل الشك، أن الفارق الذي يميز بين عصر إبراهيم الخليل العربي وبين عصر موسى واليهود باعتبارهما عصرين منفصلين لا صلة للواحد بالآخر،

(1)د.أحمد سوسة، المصدر السابق ص ن.

وكذلك التمييز بين عصر ـ موســى من جهة وعصر ـ اليهود من الجهة الأخرى، والتمييز بين التوراة التي نزلت على النبي موســى في القرن الثالث عشر ـ قبل الميلاد وبين التوراة التي كتبها اليهود في بابل بعد ثمانمائة عام من عهد موســى، وبعد ألف وخمسمائة عام من عهد إبراهيم الخليل، ونسبوها إلى موسى وإبراهيم زوراً[1].

وفندت المكتشـفات الإثارية الادعاءات التي وردت في التوراة، وجاءت بأدلة لا تقبل الشك توضح الحقائق التاريخية ، نظراً لأنها تمثل العصور التي أنجزت خلالها، أما التوراة فقد كانت تنقل أحداثًا، ترجع إلى عهود بعيدة تغوص إلى عشرــات القرون، ويقول د.أحمد سـوسـة: تعد الكتابات التي عثر على جزء قليل منها، أعظم إنجازات الإنســان في هذا العصر ـ، وهذه المراجع تزودنا بالبراهين والبينات، التي كانت تعوز من ســبقنا من الباحثين لتقرير بعض الحقائق عن العصــور التاريخية القديمة والخروج بها من دائرة الحدس والظن إلى اســتنتاجات معقولة ومقبولة للعقل السليم.

وتتواصــل عمليات الاســتكشــاف الآثاري في مناطق مختلفة من العراق وتتجه الجهود إلى دراسة متأنية لكل ما يتم العثور عليه من آثار، وآخر تلك الاستكشافات ما أعلن عنه في آذار-مارس/ 2001 في العراق وهو موقع (أم العقارب) الذي قال المختصـون من الآثاريين: إنه سـيقدم أدلة خطيرة ومهمة على صـعيد إعادة دراسـة التاريخ[2].

(1) المصدر السابق نفسه.

(2) الموقع الآثاري (أم العقارب) تم اكتشــافه في منطقة ذي قار (جنوبي العراق) وأثار اهتمام الآثاريين والمؤرخين.

وان طرق البحث والاستكشاف الحديثة وتوظيف التطور التكنولوجي في ذلك، إضـافة لزيادة الاهتمام بدراسـة اللغات القديمة، والاهتمام والتعمق بالحضـارات الضاربة في القدم، ساعد كثيراً على فك العديد من الألغاز، كما أن الاستمرار في هذا الطريق سيثبت بالأدلة القاطعة حقائق جديدة وبما يخدم الحقيقة.

إن إثبات الحقائق التاريخية، يقودنا إلى تحديد البداية الحقيقية للوجود اليهودي في العراق والتي حصلت للمرة الأولى عندما قام الملوك الآشوريون بجلب اليهود إلى مملكتهم، وذلك أواخر القرن الثامن قبل الميلاد، ولأننا نريد أن نبحث في تفاصـيل الوجود اليهودي في شـمالي العراق، فسـنعطي في البداية تصـوراً شـاملاً عن يهود العراق، ثم ننتقل إلى موضـوعنا لبحثه بدقة وبشـمولية، وبعد أن أشرنا إلى أن مزاعم اليهود ليست حقيقية، عندما يعيدون صلة اليهود بالعراق إلى زمن إبراهيم الخليل، فإن دراستنا ستبدأ من زمن نبوخذ نصر، الذي جلب اليهود إلى منطقة بابل، وعندما يتحدث يهود العراق، فإنهم يذكرون باسـتمرار أنهم أحفاد أولئك الأجداد الذين وصـلوا إلى أرض بابل منذ عام 597 قبل الميلاد، وسـنعود إلى دراسـة المرحلة الآشورية لاحقاً.

يقول حنا بطاطو في مؤلفه (العراق-الكتاب الأول، ص196) والواقع أن الطائفة اليهودية في العراق كانت عربية تماماً، فقد كانت مستعربة، كانت لغتها عربية، وكانت العربية تستخدم حتى في طقوسها الدينية، وكان طعامها عربياً، وكانت خرافاتها خرافات عربية، وكذلك الأمثال التي تستخدمها وكان الكثير من عاداتها عربياً وحتى «الحريم» كان يشكل جزءاً من أعرافها[1].

تأسست الدولة البابلية الكلدانية بعد انهيار الدولة الآشورية عام 612 ق.م، ولم يدم حكم هذه الدولة طويلاً، إذ لم يتجاوز حكمها السنة، لكنها استطاعت أن تظل شاخصة كمعلم مهم من معالم التاريخ على مر العصور، وامتد حكمها بين (612 إلى سنة 539 ق.م) ومن أهم الأعمال التي قام بها ملوك هذه الدولة، هو قضاء نبوخذ نصر الثاني على مملكة (يهوذا) عام 597 ق.م، وجلب يهودها إلى أرض بابل، ويعد نبوخذ نصر الثاني من أعظم ملوك هذه الدولة، وحكم أكثر من نصف المدة التي حكمت فيها الدولة (43 سنة من مجموع الحكم 73 سنة).

(1) حنا بطاطو –العراق، الكتاب الأول ترجمة عفيف الرزاز، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت 1990، ص196.

يذكر إبراهام بن يعقوب في كتابه (موجز تاريخ يهود بابل، القدس 1971) [1] أن نبوخذ نصر ملك بابل، احتل القدس في السنة الثامنة لحكم يهوياكين ملك يهوذا (598 ق.م) ونقل معظم سكانها، إذ نقل جميع القادة والأمراء وهم عشرة آلاف وجميع المهرة من العمال ومنهم الحدادين ولم يترك إلا شعب الأرض الفقير، ونقل يهو ياكين إلى بابل وأم الملك ونساء الملك ونبلاء البلاد وجميع المحاربين، وهم سبعة آلاف، والحدادين وصانعي الأقفال وعددهم ألف وجميع الرجال المقاتلين.(الملوك الثاني 14،24-16).

وحسب ما تشير إليه التوراة من أن الحملة، جاءت بعد أن تمرد عليه الملك (يهو ياقيم) ملك يهوذا (608-597 ق.م) على الرغم من تحذير النبي (أرميا) له، وذلك بعد أن أظهر طاعته وخضوعه إلى العاهل الكلداني، وبعد أن حاصر نبوخذ نصر أورشليم توفي ملكها (يهو ياقيم) أثناء الحصار فخلفه ابنه (يهو ياكين) الذي اضطر إلى الاستسلام وبعد أن جلبهم إلى بابل عين (صدقيا) عم (يهو ياكين) بدلاً منه، بعد أن أعلن ولاءه للملك نبوخذ نصر [2].

---

(1)إبراهام بن يعقوب، موجز تاريخ يهود بابل من بدايتهم حتى اليوم، القدس 1971،ص5 وتمت ترجمة الكتاب من قبل علي عبد الحمزة لازم الناصري في قسم اللغة العبرية كلية اللغات بجامعة بغداد عام 2000. والترجمة غير منشورة.

(2)د. أحمد سوسة، ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق، مصدر سابق ص134.

وبعد أحد عشر سنة انقلب (صدقيا) على نبوخذ نصر، ونكث بالعهد الذي قطعه معه، ودخل في تحالف مع المدن السورية والفلسطينية بتحريض من (حوفرا) ملك مصر، الذي كان يطمح أنَّ تتمكن مصر من إعادة سيطرتها على سوريا، وغضب الملك البابلي من ذلك التحالف، الذي يقصد بالأساس مملكته وكيانها، وقاد حملة جديدة ضد (صدقيا) عام (587 ق.م) وعسكرت قواته في منطقة (ربلة) على نهر العاصي، وبعد أن فرض نبوخذ نصر حصاراً على (أورشليم) وخلال فترة قصيرة، اضطر اليهود أن يرضخوا ويستسلموا فدخلت الجيوش البابلية المدينة في اليوم الرابع من شهر تموز/ يوليو سنة 586 ق.م، أما (صدقيا) فقد هرب هو وعائلته، إلا أن قوات الملك ألقت القبض عليه وأخذ إلى بابل ومعه 50 ألف نسمة (أرميا1:39-10).

وقبل أن نسترسل في سرد قصة تاريخ الوجود اليهودي في بابل، لابد من التوقف عند نقطة مهمة، فتذكر التوراة التي هي المصدر الأساسي التي تروي ما حصل لليهود في زمن نبوخذ نصر، أن ما تسميه (بالسبي) الأول قد أفضى إلى جلب جميع القادة والمحاربين والحدادين المهرة، ولم يتبق هناك إلا القلة من اليهود، ثم نجد وخلال إحدى عشرة سنة، يعيد (صدقيا) تكوين الجيش وتسليحه ويصل إلى درجة أنه يعقد تحالفات مع المصريين لمقاتلة الملك البابلي الكلداني القوي نبوخذ نصر، ولا شك أن إعادة تكوين الجيش وتسليحه ضمن الظروف التي كانت سائدة آنذاك، ليس بالأمر السهل، خاصة إذا ما تذكرنا أن البابليين لم يبقوا على شيء مهم سنة 597 ق.م،

ولكن نجد أن المعركة الثانية تفضي– إلى جلب 50 ألفاً من اليهود ومعهم العائلة المالكة، وهذا الأمر يحتاج إلى دراسة أوسع وبالاعتماد على الوثائق المستخلصة من الاكتشافات الآثارية، ورسم الصورة الحقيقية عما حصل خلال تلك السنوات الإحدى عشرة وفي الحقبة التي حكم فيها نبوخذ نصر.

عامل نبوخذ نصر اليهود في بابل أحسن معاملة مع الإغداق عليهم بسخاء وكرم، بغية الاستفادة من وجودهم في إعمار بلده، الذي كان يحرص على تقدم العمران فيه وسمح لهم أن يقيموا في وسط المجتمع البابلي بعد أن أقطعهم أحسن الأراضي الزراعية، كما سمح لهم أن يكوّنوا لهم مجتمعاً موحداً مستقلاً في إدارة شؤونه الاجتماعية والدينية، ويذكر Graetz في كتابه (History of the Jews) أن نبوخذ نصر، سمح لأفراد العائلة المالكة أن يعيشوا أحراراً مجتمعين في مكان واحد هم وخدمهم وعبيدهم يمارسون إدارة الأعمال وفق عاداتهم وتقاليدهم من غير أي تدخل في شؤونهم[1].

ويؤكد ذلك الكاتب اليهودي (إبراهام بن يعقوب) إذ يذكر: أن الوضع الاقتصادي والسياسي والروحاني ليهود بابل كان جيداً في ذلك الوقت، فقد تمتعوا بكل حقوق المواطنة، فعملوا في الزراعة والتجارة والصناعة، وكان عدد منهم أصحاب ثروات وأصحاب حقول وبساتين وأصحاب أملاك وتجاراً وجباة وما شابه ذلك[2].

(1) Graetz,«History of The Jews,» ,Vol.I,pp.339-341. انظر د. أحمد سوسة المصدر السابق ص136.

(2) إبراهام بن يعقوب، مصدر سابق ص6.

ويشير أرنولد توينبي المؤرخ المعروف إلى أن ملك بابل قد سمح لليهود بالعيش الرغيد في ظل الدولة البابلية[1] ولقد استفاد اليهود كثيراً من الامتيازات، التي منحهم إياها الكلدان، فأصبح في صفوفهم الكثير ممن تمرسوا على أساليب الحكم والسياسة وممن أتقنوا الحرف والصناعات المختلفة، وعظم شأنهم بين البابليين (أنبياء إسرائيل ص202) [2].

وتعترف المصادر اليهودية بأن اليهود في بابل، أصبحوا في غضون مدة وجيزة أغنى أهل بابل، فبعضهم امتلك الأراضي الزراعية والبعض الآخر كان يزرع بالفعل في الأراضي التي اقتطعت لهم، وحفروا شبكة من جداول الري والقنوات لإيصال المياه السيحية إلى مزارعهم، وأقاموا السدود لحمايتها من الفيضان، وورد في التلمود البابلي كثير من الشروح والتعاليم والإرشادات المتعلقة بالزراعة، وهي موجهة لليهود الذين يعملون في الزراعة في بابل ويتناول التلمود أيضاً كيفية زراعة النخيل والعناية بها[3].

(1) طه باقر مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، القسم الأول بغداد 1955 ص163.

(2) المفسدون في الأرض لمؤلفه س.ناجي ص71 عن لودس « أنبياء إسرائيل » ص202.

(3) انظر كتاب « حياة اليهود الزراعية في بابل بين سنة 200و500م للحاخام بنومان، مطبعة جامعة أوكسفورد 1932. انظر أيضاً S.Daichec ,The Jews in Babylonia, 1910. ووردت الاقتباسات في كتاب « ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق » ص138.

عندما مات نبوخذ نصر ملك بابل، تسلم الحكم بعده ابنه أمل –مردوخ (أويل مردوخ)[1] الذي أطلق سراح يهوياكين ملك يهوذا من سجنه، وجعل عرشه فوق عرش الملوك الذين معه في بابل، وبعد وفاته ملك أخو زوجته نركل وزير المالية (560-556 ق.م) الذي تطلع إلى رفع شأن اليهود، ولكنه أزيح عن عرشه وجاء بعده أحد نبلاء البلاد نبونائيد (556-530 ق.م) الذي قلص من حقوق اليهود، ويقول د.سامي سعيد الأحمد أن بنيامين التطيلي الذي زار العراق في القرن الثاني عشر الميلادي ذكر أن قبر –يهوياكين– يوجد في مدينة الكوفة وحوله كنيس، وعثر في حفائر بابل على نصوص تعود إلى عهد نبوخذ نصر، تنص على تسليم الدولة الزيت إلى الأسرى اليهود وبين أسماء هؤلاء يهوياكين الذي لابد وأن يكون ملك يهوذا الذي جاء به نبوخذ نصر إلى بابل.

وإذا كان يهو ياكين من الأسماء المهمة من اليهود الذين وصلوا إلى بابل في زمن نبوخذ نصر، لابد من ذكر كل من النبي حزقيال والنبي دانيال، وكان حزقيال كاهناً على سيرة أبيه (بوزى) وضعت نبوءاته في بابل بين السنوات (592و570 ق.م) ووصل مع يهوياكين في ذات القافلة سنة 597ق.م.

(1)الملوك الثاني 27،25-30، ويقصد بـ(أويل مردوخ) –أمير مروك– ويذكر د. أحمد سوسة انه حكم بين 562و560ق.م.

ويمكن ملاحظة حجم الحرية التي منحتها الدولة البابلية في زمن نبوخذ نصر لليهود، إذ تذكر المصادر العبرية، أن النبي حزقيال كانت له الحرية أن ينطق بنبوءاته ويستعرض سفر حزقيال في التوراة ذلك، ويرى البعض أن كتاب (حزقيال) هو أقدم الأسفار التوراتية[1].

ويقع مرقد حزقيال في الوقت الحاضر في مدينة الكفل على نهر الفرات، وعلى ضفته اليسرى، وكان اليهود يقصدون قبر حزقيال للزيارة من كل مكان حسب ما يذكر ذلك ياقوت، ويؤكد ذلك بنيامين التطيلي الذي زار القبر في القرن الثاني عشر للميلاد (رحلة بنيامين الترجمة العربية ص124).

وقصة النبي دانيال تختلف كثيراً عن سواها فهو لم يأت مع الذين جلبوا إلى بابل بعد أن غزا نبوخذ نصر فلسطين، بل إن الملك البابلي، استقدمه قبل ذلك التاريخ بثماني سنوات أي في عام (605ق.م) وكان معه ثلاثة من رفاقه وتعلم لغة الكلدانيين واشتهر كحكيم يحسن كل الفنون والمعارف الإنسانية، وغير اسمه إلى (بلطشاصر) وكان قريباً من نبوخذ نصر، وازداد قرباً بعد أن رأى الملك حلماً وفسره له دانيال فنصبه حاكماً على بابل ورئيساً على جميع حكمائها، واستمر في حياته بعد انهيار الدولة الكلدانية، وحصل على ذات المكانة في زمن الفرس الأخمينيين فثار ذلك حسد أعدائه، فإذا بهم يكيدون له ويلقى في جب أسود، ويقال: إن قبره في منطقة الشوش عاصمة عيلام.

---

(1)د. أحمد سوسة، ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق، مصدر سابق ص142 وانظر: التوراة تاريخها وغاياتها، ترجمة وتعليق سهيل ديب، ص48.

وتمثل تلك العقود الستة أهم مرحلة في تاريخ يهود العراق، وهي الفترة التي تمتد منذ أن جلب نبوخذ نصر اليهود للمرة الأولى من أورشليم في عام 597 ق.م إلى أن وقعت البلاد بيد كورش ملك فارس عام 536 ق.م وقبل الخوض في المرحلة اللاحقة، التي عاشها يهود العراق في ظل الحكم الفارسي، لابد من الإشارة إلى أن تلك المرحلة التي حكم فيها الكلدانيون لم تكن طويلة بالقياسات الزمنية، ولكن تشير المصادر اليهودية المستقاة من التوراة إلى أن اليهود استطاعوا أن يؤسسوا لأوضاع زراعية وتجارية إضافة إلى ممارسة طقوسهم وشعائرهم بحرية تامة، وما يمكن أن نسجله عن تلك الحقبة أن الشخصيات اليهودية كانت متنفذة، ومثال ذلك النبي دانيال الذي كان قريباً من الملك نبوخذ نصر، كما أن النبي حزقيال قد تمتع بالحرية المطلقة، ومنح الملك الكلداني اليهود الفرصة للعيش الرغيد والإنتاج سواء كان ذلك في ميدان الزراعة أو التجارة، وتؤكد المكتشفات الآثارية والكتابات التي تعود إلى تلك الفترة من أن الكلدانيين كانوا يمتلكون الخبرة والدراية في ميداني الزراعة والتجارة كذلك في إعداد الجيوش وتدريب الفرسان والمقاتلين، وهذا يدلل على أن جلب اليهود لم يكن طمعاً بخبرتهم في الزراعة والتجارة، وإنما كان بالتأكيد للسيطرة عليهم لما يمكن أن يثيروه من شغب وقلاقل، وخير مثال على ذلك ما قام به (صدقيا) الذي عينه الملك نبوخذ نصر ملكاً في أورشليم عام 597 ق.م وبعد عدة سنوات ذهب ليتحالف مع أعداء المملكة البابلية في سبيل إسقاطها وإنهاكها، ومثلما اضطر الكثير من الباحثين والدارسين إلى إعادة دراسة حقيقة الأحداث التي حصلت لليهود في القرون القليلة الماضية،

والتي دون أحداثها وتفاصيلها اليهود أنفسهم أو المتعاطفون معهم، مثال ذلك ما أسموه اليهود بعمليات (الطرد) الجماعي لليهود من إسبانيا وبلغاريا وألمانيا وبريطانيا وبولونيا وفرنسا وروسيا، إضافة إلى أحداث القرن العشرين وما حصل في زمن الزعيم الألماني هتلر ومما أسموه بالمذابح (المحرقة الجماعية) الهولوكوست، والتي أظهرت الدراسات والحقائق العلمية، أن تلك التفاصيل مبالغ فيها كثيراً إن لم تكن غير صحيحة جملة وتفصيلاً، وباعتبار أن الفترة الممتدة من جلب اليهود إلى بابل وحتى سيطرة كورش الفارسي عليها من المراحل التأسيسية المهمة لليهود في العراق، والتي أفضت في ما بعد إلى كتابة التلمود في ذات المكان، فلابد من إعادة دراسة تلك الفترة بالمقارنة بين ما ورد في التوراة، الذي كتبه حاخامات اليهود هناك وما مثبت في الرقم الطينية وبقية المكتشفات الآثارية، التي تم اكتشافها وفي الوقت نفسه، تنشيط عملية الاستكشاف الآثاري لسد أية ثغرة تواجه الباحثين والدارسين في هذا الميدان.

كورش وبابل واليهود:

في سنة (538 ق.م) وقعت بلاد بابل بيد ملك فارس كورش، ويقول عنه المؤرخون اليهود: إنه كان متسامحاً مع الأديان الأخرى وبتركيزهم على ذلك الوصف، يحاولون نسف جميع أوجه المساواة والحرية التي كان يعيشها اليهود في زمن الدولة الكلدانية قبل سيطرة ملك فارس،

وبعد مرور سنة واحدة أصدر تصريحاً، يستطيع بموجبه جميع اليهود القاطنين في بلاده (يقصد بابل) أن يهاجروا إلى (أرض إسرائيل) ويبنوا بيت المقدس من جديد، وكنتيجة لهذا التصريح وكما يذكر (إبراهام بن يعقوب) هاجر حوالي خمسين ألف نسمة من بابل وذلك في سنة (537 ق.م) وكان على رأس المهاجرين زور بابل بن شالتيئل بن يهوياكين ملك يهوذا الأخير يوشع بن يهو صادق الكاهن الأعظم[1].

وحسب ما جاء في تاريخ ابن العبرى (ص81-82) فإن كورش ملك الفرس، قد تزوج من أخت زور بابل وعندما دخل بها ارتفعت عنده وقال: لها اطلبي مني ما شئت، فطلبت منه عودة بني إسرائيل إلى أورشليم، وأن يأذن لهم بعمارتها، فجمعهم كورش وخيرهم قائلاً: من اختار الصعود فليصعد ومن أباه فليقم، فكان عدد مؤثري الصعود خمسين ألفاً من الرجال غير النساء والأولاد، وقد نعت اليهود كورش بالراعي وبالمسيح المنتظر ووصفوه بصفة المنقذ[2].

وجاء في سفري عزرا ونحميا، أن عدد الذين هاجروا إلى أورشليم كان (42360) نسمة، هذا عدا عبيدهم وإمائهم الذين بلغوا (7337) نسمة وحيواناتهم من خيول وبغال وجمال وحمير.

أما الذين فضلوا البقاء فكان عددهم يقدر بـ(سبعة) آلاف لأن وضعهم المادي والسياسي كان جيداً، وكان من الصعب عليهم أن يتركوا بيوتهم وحقولهم وتجارتهم وسلطانهم، لكنهم عبروا عن حبهم لأرض آبائهم عن طريق تأييدهم الدائم بـ(الذهب) والمال والبهائم، فضلاً عما يتبرعون به لبيت الله في القدس.

(1) إبراهام بن يعقوب، موجز تاريخ يهود بابل، مصدر سابق ص6.

(2) المصدر السابق ص6.

وتشـــير المعلومات إلى أن هناك الكثير من اليهود الذين حققوا نجاحات كبيرة خاصـــة على الصـــعيد المالي، وأصـــبحت لديهم ممتلكات كثيرة، وآثروا البقاء وعدم المجازفة والدخول في متاهات جديدة، ويذكر د.أحمد ســـوســـة أن الوثائق التي تم العثور عليها، أشـــارت إلى أن عائلة (الموراشـــو) اليهودية اشـــتهرت كأحد البيوتات المالية الكبيرة في عهد الملك أرتحشـــشـــتا الأول (425-465 ق.م) وقد أثرت هذه العائلة نتيجة تعاطيها الربا الفاحش الذي كان يصـــل إلى 40 أو 70 بالمائة. (G. roux, Ancient Iraq, P.37u) وتشـــهد بذلك أســـماء الموقعين لعقود البيع والشراء التي عثر عليها في حفائر بابل.

وتمكنت العوائل اليهودية من تأســـيس أرضـــية اقتصـــادية قوية في بابل، وكانت تهدف من ورائها إلى تقوية ركائزها ومد اليهود في أورشليم بالمال والذهب لمساندتهم هناك، ويقدم يوســـف غنيمة في كتابه (نزهة المشـــتاق في تاريخ يهود العراق) وصـــفاً دقيقاً لطبيعة التعاملات التجارية وأســـماء الذين كانوا يتعاملون فيها، ويروي د.سوسة قصة الأعرابي الذي عثر عام 1874 على ثلاثة آلاف أجرة وباعها للآثاري الإنجليزي الشـــهير جورج ســـميث، الذي وجد أنها ســـلســـلة تاريخية ثمينة لأحد البيوت التجارية العريقة في القدم،

وهي صــور معاملات وعقود تجارية ومالية وســندات تخص المعهد التجاري العائد إلى (إيجيبي) وأولاده أو (ســن وباليت) وكان صـاحب المعهد يبيع بالنسـيئة، ويحول التحاويل من مدينة إلى أخرى، وقد ذكر في صــفائح العقود تاريخ اليوم والشهر والسنة التي تم فيها العقد(1).

يذكر (جورج رو في كتابه العراق القديم ص539) أنه وخلال القرن الســادس قبل الميلاد ازدهر التســليف ا لخاص بشــكل لم يعهد من قبل في العراق، حيث اســتطاعت شــلة من (العوائل المصرــفية) القليلة العدد –كعائلة (أجيبي) في بابل الاستحواذ على ثروات طائلة من مجرد تسليف الأموال بسعر فائدة عال يتراوح بين 20 و30 بالمائة، فأصـبحت أغنى من المعابد بل وربما أغنى من الحكومة نفسـها، في الوقت نفسه الذي كانت فيه الفاقة تعم القسم الأكبر من السكان(2).

ومع أن هناك أكثر من رواية وتفسير لسيطرة كورش ملك الفرس على بابل، إلا أن (جورج رو) يرجح الجانب المالي، فيقول : لجأ نبونيدس (آخر ملوك بابل) على العكس من سابقيه إلى إخضاع نشاطات المعبد الاقتصادي للأشراف الملكي الدقيق

(1) يوســف غنيمة، نزهة المشــتاق في تاريخ يهود العراق، الطبعة الأولى، مطبعة الفرات، بغداد 1924، ص54.

(2) جورج رو، العراق القديم، ترجمة وتعليق حسـين علوان حسـين وزارة الإعلام ، بغداد سـنة 1984 ص539.

فانتدب لهذه المهمة اثنين من كبار الموظفين هما (الضـــابط الملكي ســـيد العينة) و(الضـــابط الملكي المؤتمن على صـــندوق الملك)، ووكلهما على معبد أنانا في أوروك وزودهما بالتعليمات للإشراف على صفقات هذا المعبد وتأمين جباية منتظمة لضريبة العشر الملكية(1).

ويؤكد جورج رو أن ذلك التشـدد كان أحد أهم أسـباب تعاون المتضر-رين من اليهود مع كورش ملك الفرس ضـد ما أسـماه بــــ(هرطقة) الملك نبونيدس، ومن المعروف أن علاقة رجال الدين بالواقع الاقتصـادي كانت قوية جداً، كما تكشـف ذلك أرشـيفات معبد أوروك العظيم (أنانا) وأن رجال الدين كانوا يتابعون باهتمام في مناطق عديدة تأمين الحاجات المادية للمواطن، وكان المعبد يتولى القيام بنشاطات تجارية واسـعة داخل وخارج حدود وادي الرافدين، مؤلفاً بذلك وحدة اجتماعية – اقتصـادية شـبه مسـتقلة عن الحكومة المركزية(2) وكان المعبد يتعاون مع كافة أصـحاب المهن، ولا شـك أن علاقته كانت وثيقة جداً مع الصـيارفة وخاصـة عائلة (أجيبي) اليهودية.

ومما تجدر الإشـارة إليه، أن البابليين من ذوي الهوى الفارسي كما يقول (جورج رو) قد بذلوا كل ما بوسـعهم لتشـويه سـمعة ملكهم العتيد نبونيدس بعد وفاته لخطب ود أسيادهم الجدد،

---

(1)المصدر السابق ص537.

(2)انظر:

C.E KAISER ,Letters and Contracts From Erech New Haven , 1918, H.F. LUTZ, Neo-Babylonian Administrative Doeaments.

ففي قطعة هجاء تعرف بــــ(الســيرة الشــعرية لنبونيدس) يتهمه هؤلاء بكونه شخصاً مجنوناً وكذاباً تفاخر زورا «بانتصارات لم تطلها يداه أبداً» وفبرك هؤلاء قصة مشــينة حول جنون نبوخذ نصر الواردة في ســفر دانيال، كما وجدت لها صــدى في (رقائق البحر الميت) المشهورة[1].

بالمقابل فقد تم تمجيد كورش ملك فارس، ووصفوه بأعظم الصفات، وقيل: إنه عامل الأسرى معاملة حســنة غير أن كتاب (تاريخ إيران القديم تأليف د.طه باقر وآخرون) يشــير إلى أن بعضــاً من المؤرخين يؤكدون على أن هذا التســامح لم يشــمل جميع الأسرى، وإنما شــمل اليهود فقط، وذلك لأنهم كانوا يمثلون الطابور الخامس لكورش في مدينة بابل، وأنهم أي اليهود، قد عملوا بكل ما لديهم من الأســاليب الخبيثة على إسقاط الحكم البابلي[2].

وقد لقب كورش نفسه بلقب (ملك البلدان وملك بابل) وكانت السلطة في بابل بيد ابنه قمبيز ومنحه لقب ملك بابل عام 530 ق.م واختار لنفســه لقب « ملك البلدان »[3].

(1) جورج رو، مصدر سابق ص511.

انظر:

Daniel iv. 28 :33.J.T MILIK , « Piere de Nabonide et autres ecrits d,um cycle de D aniel, RB,LXIII (1956) ,p.408.

(2) تاريخ إيران القديم، تأليف طه باقر ود. فوزي رشــيد والأســتاذ رضــا جواد هاشــم، مطبعة جامعة بغداد 1979،ص49-50.

(3) المصدر السابق ص50.

يشرح هيرودتس استيلاء كورش على بابل يقول: « حشد كورش جيشه حيث يدخل النهر المدينة وحشـد قوات أخرى في المكان الذي يبتعد فيه النهر عند المدينة وأمر جنوده بدخول المدينة عن طريق نهر الفرات عندما يجدون خوضه ممكناً»(1).

ويذكر نيكولاس بوستغيت قصة سقوط بابل، ويشير إلى أن هذه الأحداث وردت في الكتاب المقدس، والمصادر الكلاسيكية، ولا شك أن ثمة الكثير من الروايات التي تحدثت عن نهاية الدولة البابلية، ومن الملاحظ أن العديد منها يرمي الخطأ في الملك نبونيدس لكن ما هو متفق عليه، أن الدور الأهم والأخطر كان لليهود الذين تضرروا من سياسة الملك الاقتصادية التي أشرنا إليها سابقاً، وبالنتيجة فقد دمجت بلاد الرافدين بالإمبراطورية الفارسية ثم الهيلينية وسرعان ما اضمحلت تقاليد الكتابة المسمارية، وتحولت إلى أصداء خافتة في الكتاب المقدس وفي مؤلفات المؤرخين الإغريق(2).

وبتعاون اليهود مع كورش ملك الفرس، وضعوا تلك النهاية لحكم الكلدانيين في بابل التي جعلها نبوخذ نصر معلماً فخماً، بحيث أدهشت أبا التاريخ هيرودتس اليوناني بعجائبها وضخامتها(3).

---

(1) المصدر السابق ص35.

(2) د.أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، مصدر سابق ص95. وانظر: دليل الجمهورية العراقية لسنة 1960 ص164-173.

D.J. Wiseman »chronicles of chaldean Kings, 1956.

(3) د.أحمد سوسة ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق، مصدر سابق ص151.

ولم تتوقف عملية عودة اليهود إلى أورشليم، فقد شهد عهد أرتحششتا الأول (465-425 ق.م) عودة اثنين من الأنبياء مع مجاميع منهم، وعادت سنة 458 ق.م المجموعة الأولى بقيادة عزرا، وعادت المجموعة الثانية بقيادة نحميا، الذي عين حاكماً على طائفته. (444-432 ق.م) [1].

ومن هنا، فقد أطلقت المنظمات الصهيونية التي خططت وأشرفت على عمليات تهجير اليهود العراقيين عامي 1950-1951 إلى فلسطين اسم (عزرا ونحميا) على تلك العملية وذلك لربط التاريخين اللذين يشيران إلى عمليات الهجرة من أرض وادي الرافدين.

يقول (شلومو هيلل في كتابه تهجير يهود العراق ص264) وصفت إحدى الصحف حدث وصول أول مجموعة من المهاجرين من العراق بطريقة مشروعة بعملية (عزرا ونحميا) صباح يوم 21/ 5/ 1950 تخليداً لذكرى عزرا ونحميا اللذين كانا على رأس عودة صهيون من بابل في بداية عهد الهيكل الثاني.

من هنا لابد أن نقدم بعض تفاصيل حياة كل من عزرا ونحميا، فقد كانا الواحد منهم معاصراً للآخر، وكان عزرا (ابن سرايا) كاهناً لقب بالكاتب لأنه كان موظفاً في بلاط إمبراطور الفرس أرتحششتا الأول ومستشاراً له في شؤون الطائفة اليهودية، وكان كاتباً ماهراً في شريعة موسى،

(1) المصدر السابق ص153.

لذلك سمي بعزرا الكاهن كاتب شريعة السماء وقد تمكن عزرا لثقة الإمبراطور به وتلبية لطلبه من أن يحظى بموافقته على السفر إلى أورشليم، فغادر بابل في حوالي سنة 458 ق.م (السنة السابعة من حكم أرتحشتا) وقاد معه 1496 رجلاً و38 لاوياً و220 عبداً، وكانت معه رسائل و صايا من الملك أرتحشتا إلى عمال الفرس في عبر الأردن، ليساعدوه ويدفعوا إليه ذهباً وفضة، كما كان مزوداً بالسلطة الملكية المطلقة لإصلاح شؤون اليهود في فلسطين (الإصحاح الثامن عشر من سفر عزرا).

وقد قام عزرا بعد وصوله إلى أورشليم بقراءة ناموس موسى (ع) أمام اليهود وتفسيره لهم مستعيناً بالترجمة الآرامية للأصل العبراني وذلك بغية إحياء اللغة العبرية[1].

وعن سبب ذهاب عزرا إلى أورشليم يذكر إبراهام بن يعقوب في (موجز تاريخ يهود بابل ص6): وصلت أخبار تفيد بأن هناك خصوماً غير منظمين من الناحية الدينية والاجتماعية، قاموا في يهوذا و لهذا انتفض عزرا الكاتب بن شريا (سرايا) وقرر أن ينقذ الوضع، ففي اليوم الثاني عشر من نيسان (458 ق.م) جمع ما يقارب الألفي رجل، و هاجر بهم إلى (أرض إسرائيل) و كانت هذه الهجرة الثانية التي وصلت إلى القدس قبل رأس السنة.

(1)إبراهام بن يعقوب، مصدر سابق ص127.

ويقع قبر عزرا الكاتب في قرية العزير في العمارة، على بعد حوالي مئة كيلو متر جنوب مدينة العمارة جنوبي العراق وسمي على اسم عزرا الكاتب المدفون فيه، وذكر ذلك القبر جميع الرحالة الذين زاروه في بداية القرن العاشر، وحتى الوقت الحالي، وتبرع اليهود بالكثير من أجله[1].

ويذكر د.أحمد سوسه أن هناك اختلافاً في تعيين موقع قبر عزرا الكاتب إذ يقول (Flavious Josephus) إن قبره في أورشليم، ويذكر ياقوت أن مدفن عزرا في قرية عورتا من أعمال نابلس (معجم البلدان 3: 745) وبرغم كل ما قيل، فإن التقاليد اليهودية القديمة والحديثة وتواتر روايات المؤرخين والرحالين، تعتبر مدفنه في العراق في الموضع المسمى اليوم بالعزير، وهو لا يزال حتى هذا اليوم مزاراً دينياً يهودياً، ويقع على بعد حوالي 32 كيلو متر من مدينة القرنة، وقد زار هذا المكان الرحالة بنيامين التطيلي في القرن الثاني عشر للميلاد فسمى موقعه (نهر سمرا) وقال: إنه يبعد مسيرة يومين عن البصرة، وأنه توفي في هذا المكان عندما قدم من القدس لمقابلة الملك أرتحشستا وعند قبره، كنيس لليهود وجامع للمسلمين[2].

ويؤيد يوسف رزق الله غنيمة الرأي القائل بأن قبر عزرا في مدينة العمارة، ويذكر في كتابه (نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق ص195) أنه زار القبر عام 1893م، ويقول: إنه قد جرت معارك بين البريكانيين والأتراك في ربيع سنة 1915 حوله.

---

(1) د.أحمد سوسة، المصدر السابق ص155. وانظر رحلة بنيامين ص150.

(2) المصدر السابق ص156.

والنبي الثاني هو نحميا بن حكليا وعاصر عزرا وكلاهما عاش في زمن أرتحششتا، وكان نحميا يشتغل ساقياً في بلاط الملك في مدينة شوشن عاصمة الفرس، وبعد أن نال منزلة رفيعة عند الملك، طلب منه أن يسمح له بالذهاب إلى أورشليم لبناء أسوارها من جديد، فأذن الملك له بذلك، وأمر بإرسال كوكبة من الفرسان لحراسته، وعينه حاكماً على ولاية اليهودية وكان ذلك سنة 445 ق.م وتوافق السنة العشرين من حكم أرتحششتا (انظر نحميا 1:1) ووصل نحميا إلى القدس سنة 444 ق.م[1] وحكم طائفته لمدة اثنتي عشرة سنة ثم عاد إلى شوشن عاصمة الإمبراطورية الفارسية، ولم يبق فيها طويلاً ورجع إلى القدس مرة ثانية سنة 424 ق.م حيث استمر بشغل منصبه حاكماً إلى أن توفي (نحميا 13-7) ويقول يوسف غنيمة: إن سفر نحميا وتوسله إلى الملك، جاء بعد أن سمع عن حال أورشليم وما هي عليه من خراب بعد أن نقل له ذلك قادمون من المدينة[2].

ومن أهم أعمال نحميا في القدس، هو منعه لأبناء طائفته من التزوج من أجنبيات، وفي أيام نحميا المعاصر للإمبراطور الإيراني أرطاكسرسيس الثاني (424-358 ق.م)

(1) يوسف رزق الله غنيمة مصدر سابق ص9 وانظر: (سفر نحميا).

(2) د.أحمد سوسة المصدر السابق ص157.

قامت حركة يتزعمها العرب متجمعين بقيادة ملكهم جشـــم الذي كان حليفاً لستبلط الحوراني وطوبيا العموني وأمير الأشـدوديين ضـد هذه الصـهيونية القديمة التي كان يمثلها عزرا ونحميا. كما يصف ذلك د.أحمد سوسة[□].

اسـتمر حكم الفرس (الأخمينيين) على بابل حوالي مائتين وسـبع سـنين (538-331 ق.م) وانتهت سيطرة الفرس بعد أن احتل الإسكندر المقدوني سنة 331 ق.م مدينة بابل وكان يطمح أن يجعلها عاصمة لمملكته الواسعة.

عندما دخل الإسكندر المقدوني مدينة بابل، استقبله الأهلون مرحبين به وصافح تمثال الإله (بل) وأمر ببناء الهياكل التي هدمها الفرس من قبل، وأجبر الإســكندر يهود بابل على الاشــتراك في بناء هيكل (بل) وعاملهم بقســوة وأخذ منهم غرامات مالية، إلا أن اليهود تداركوا الأمر واسـترضـوا الفاتح الكبير فصـالحوه ودخل عدد منهم في جيشه وحاربوا معه[□].

و قد روى المؤرخ يوســيفوس في كتابه (العاديات اليهودية) أموراً عن اليهود والإسـكندر، ومما قاله أن يهود أورشـليم طلبوا إلى الفاتح أن يسـمح لليهود في بابل وبلاد ماذي أن يسيروا حسب سننه،

---

(1)انظر : Jean Juster :Les Juifs dans I,Empire Romain T.I ,265. وانظر يوسـف غنيمة المصدر السابق ص66.

(2)يوسفوس، (28-100م) اسـمه العبري هو يوسـف بن هاكوهين سـياسي وقائد عسـكري ومؤرخ، سـافر إلى روما، عين قائداً عسـكرياً لمنطقة الجليل عام 66م، وعندما وصـل الرومان هرب يوسـف هاكوهين وغير اسمه إلى يو سيفوس ، هذه المعلومات أوردها السيد علي عبد الحمزة لازم الناصري في هوامش كتاب (موجز تاريخ يهود بابل) وسبق الإشارة إليه. ص8.

إلا أنه لم يذكر أحد كتبة سيرة حياة الإسكندر هذه المسألة ولهذا ارتأى الأستاذ هويلر أن القصة موضوعة وضعها اليهود الذين اقتبسوا العادات اليونانية في القرن الأول بعد ولادة المسيح، لكي يثبتوا أن علاقة اليهود باليونان قديمة من عهد الإسكندر (يوسف غنيمة نزهت المشتاق ص66). ومع أن السطور القليلة السابقة وردت ضمن السياق السردي لتاريخ يهود العراق، إلا أن الإشارة التي وردت فيها بخصوص تلك القصة التي اختلقها اليهود لتحقيق مآرب معينة، تجعلنا نتعامل بحذر شديد مع ما يورده اليهود عبر تاريخهم من قصص وحكايات، وما يبنى عليها من تصورات؛ وذلك لأن الثابت أن التاريخ اليهودي زاخر بتلك الأحداث ومازال الطريق طويلاً وشائكاً أمام الباحثين لفرز الغث من السمين والصحيح من سواه في تاريخ اليهود.

وكان استيلاء الإسكندر على بابل قد تم بعد معركة (كوكة ملة) قرب أربيل الشهيرة مع ملك الفرس (دارا الثالث) وبعد أن سيطر على بابل، استأنف الإسكندر مسيره نحو بلاد فارس لمطاردة (دارا) فافتتحها ثم فتح بلاد ماذي وظل يطارد (دارا) حتى وجده قتيلاً في جوار بلخ، وبموت (دارا الثالث) انقرضت دولة الفرس فورثتها اليونان ووضعت يدها على كل ما كانت تملكه من البلاد والمستعمرات، وبعد رجوع الإسكندر من الهند توفي في بابل سنة 323 ق.م وبموته اقتسم قواده تلك الإمبراطورية المترامية الأطراف، فكان العراق وسوريا ضمن البلاد التي وقعت في حصة القائد سلوقس.(د.أحمد سوسة ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق ص158).

ومن أهم ما قام به ســـلوقس الذي جلس على عرش مملكته نقل حاضرة بابل إلى مدينة جديدة (سـلوقية) وقد أنشـأها على الضـفة اليمنى من دجلة في أرض المدائن، وتعرف اطلالها اليوم « تل عمر»، وهو يقع مقابل سلمان باك طاق كسرى و صارت هذه المدينة مركزاً مهماً لليهود، و حازوا على مكانة كبيرة لدى الحكام الســـلوقيين وكانوا يسكنون المدن الكبيرة، ولهم مدنهم الخاصة بهم، ويروي يوسفوس أن الملك أنطيوخس الثالث الملقب بالكبير (187-223ق.م) نقل من بابل ومن بين النهرين ألفي أسرة يهودية مع أجهزتها الحربية إلى ليديا وفريجيا في آسـيا الصـغرى، لتأسـيس حامية هناك موالية لحكم السلوقيين في تلك البلاد لتساهم في قمع حركات السكان ضد الحكم السلوقي.

تمتع اليهود في أيـام حكم الســـلوقيين بحقوق المواطنـة المســـاويـة لتلـك التي لليونانيين، وعنهم اخذ اليهود التقويم الســنوي الذي اسـتخدموه، وتجندوا في قوة الحراسة، كما وجدت كتائب خاصة باليهود في الجيش السلوقي[1].

تعـد فترة حكم الفرثيين للعراق(139ق.م-226ب.م) فترة مهمـة بـالنســبـة لليهود العراقيين، فقد اتخذوا (سـلوقيه) التي كانت عاصـمة للسـلوقيين والتي مر ذكرها والواقعة على بعد 30 كم تقريباً جنوب شرقي بغداد عاصـــمة شـتوية لهم، وقلنا أن اليهود قد سـكنوها وكانت مركزاً « مهماً لهم » ويذكر يوسـف غنيمة انه قد كان لليهود في المملكة الفرثية ما يضاهي ذلك الاستقلال والحكم الذاتي،

(1)إبراهام بن يعقوب، المصدر السابق ص7.

ففي المدن التي كانت فيها طائفة كبيرة منهم كان لهم استقلال بلدي، وحق انتخاب قضاة، وحارة خصوصية لسكناهم، هذا كان شأنهم في بابل، وسلوقية وطيسفون.

أما في المدن التي كان يسكنها اليهود فقد كان لهم من الاستقلال ما كان للمدن اليونانية بدون فرق، وكانوا يقومون بأمور دينهم وشعائر مذهبهم بكل حرية (نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق ص69) وكان في عهد الفرثيين أمان واطمئنان لليهود، الذين تمتعوا بكل حقوق المواطنة، وبما أن هدف معركة الفرثيين الأساسية كان ضد الرومان فقد رأوا في اليهود حليفاً مخلصاً، يمكن الاعتماد عليه، ووجدت طائفة يهودية مهمة في عاصمتهم طيسفون، وكانت مدينة نهر دعا الواقعة في شمال البلاد كلها مأهولة باليهود. وحسب التقاليد استقر هناك المهاجرون الأوائل الذين هاجروا مع يهوياكين، وبنوا فيها كنيساً سمي (صقيل وجليس) من حجارة وتراب جاءوا بها من بيت المقدس، وهنا أقام كبار الطائفة اليهودية وفيها جمعت كل العملات والهبات التي منحت لأبناء الجالية في بابل بقربان جماعي لتلبية احتياجات مدينة القدس، ومما يميز هذه الفترة هو إنشاء إيشيبة يهودية في العراق (وهي المدرسة الدينية اليهودية يدرس فيها التوراة والتلمود) [1].

(1)عبد الوهاب المسيري، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، ص45-46.

واشـــتغل اليهود في فلاحة الأرض وتربية الضـــأن والبقر والتجارة والحرف والأعمال المختلفة، إضـــافة إلى ضريبة الرؤوس، وضريبة الأرض التي كانت تستحصلها السلطات من اليهود، ولم يتدخلوا في شؤونهم الداخلية لذلك أفلح اليهود في أن يقيموا مؤسسات اجتماعية ودينية من دون تدخل[1].

في أيام الملك الفرثي أرتيان الثالث (14-12م) برز في بابل إخوان جباران أسماهما حسينائي وحنلائي، وتسلطا على إقليم نهر دعا قرابة خمس عشرة سنة، فأوقعا الذعر على تلك المنطقة، وعتما على ملك الفرثيين نفسه وأجبراه بأن يعترف بهما حاكمين على الأماكن التي استوليا عليها، وبسبب الصراع الذي نشب بين الأخوين الاثنين دُسَ السُمْ لحسينائي بيد زوجة حنلائي الغريبة، وبعد ذلك سقط هو أيضاً في معركة مع الفرثيين وعندما زال حكم هذين الأخوين، انتقم أهل المكان من اليهود وأوقعوا فيهم مجزرة كبيرة وهرب كثيرون إلى طيسفون والى نصبين ومدن أخرى حتى يزول الغضب[2].

(1)إبراهام بن يعقوب، مصدر سابق ص9.

(2)المصدر السابق ص9. وردت تلك القصة بتفاصيل أكثر في كتاب يوسف غنمية نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق وقال: أن اسم الملك الفرثي أرادوان الثالث، وأن حكمه قد امتد من (46-10م) وهنا نجد اختلافاً في مدة الحكم الذي ذكر إبراهام بن يعقوب أنها امتدت من (14-12م) وان رواية يوسف غنيمة أكثر دقة وذكر أن أسماء الأخوين هي (أسينا) و(أنيلا).

وبخصــوص ذلك يذكر يوســف غنيمة في كتاب (نزهة المشــتاق في تاريخ يهود العراق ص10) قصة ما حصل لليهود بسبب ما فعله حنلائي (الذي يسميه أنيلا) وعصابته والتي جرت على اليهود الويلات، مما اضطر اليهود للهجرة إلى طيسفون، وبذلوا ما في وسعهم ليعيشوا بمؤاخاة اليونان والسريان سكان سلوقية، وجاملوا السريان أكثر من اليونانيين، ولعبوا لعبة التحالفات وتنشيط الأضواء رغبة منهم في إثارة المشــاكل بين الأقوام حتى تضـعف جميع الأطراف، ويزداد نشــاطهم وتتسـع تجارتهم، وقد اتفقوا مع السرــيان على أن يخضــعوا اليونان لهم، فأثار ذلك حفيظة وامتعاض اليونانيين، ودون أن يذكر مراجع محددة يقول غنيمة أن اليونان والسريان اتفقوا على مهاجمة اليهود، وأن الشــعب العبراني خسرــ في تلك الواقعة نحو (50.000) ألف شخص، واضطروهم إلى أن يعبروا دجلة باتجاه طيسفون عاصمة الفرثيين ويُشَــكُ في حجم الرقم الذي ذكره غنيمة، برغم أن اليهود قد انتقلوا من بابل إلى المدن المذكورة ليكونوا بالقرب من الحاكم، ولكن المعروف أنهم توزعوا في الأراضي الصــالحة للزراعة كما أن أكثر من 50 ألفاً قد هاجروا مع عزرا ونحميا في زمن كورش ملك الفرس.

ونجد في بطون التاريخ أحداثاً تشــير إلى أن اليهود قد تعرضــوا للقتل وتضــييق الخناق، وهذا ما حصل -كما يذكر غنيمة- في زمن مؤسس الدولة الساسانية الملك أردشير الذي يقول: إنه لم يكن من أصدقاء اليهود، بل إنه ضيق عليهم الخناق وأمر باضطهادهم وسمح للمجوس بتعذيبهم والتنكيل بهم لأنهم قد ساعدوا الفرثيين في حروبهم مع أردشير، ولكن الغريب في الأمر أن القصص

التي تذكر عنهم تتشـــابه وتخلص إلى ذات النتيجة، وتبدأ في اضـــطهاد اليهود وتعذيبهم، ثم سرعان ما يتمكن اليهود من استرضاء ود الملك وحاشيته ويصبحون من المقربين إليه.

ويذكر المســتشرـق (نلدكه) أن ســبب موقف الســاســانيين من اليهود وفي تلك الفترة لتهربهم من دفع الضرائب، إلا أن ذلك العهد سرعان ما انتهى، وتمكن اليهود من إرضـــاء ملوكهم وخطب ودهم، ونالوا الوجاهة من حكام البلاد، وتقربوا من الســلالة المالكة، وكانت حالتهم متقلبة في زمن الســاســانيين بين راحة وقلق (نزهة المشتاق ص76).

وفي زمن حكم الســاســانيين (637-226م) فإن الدين الذي كان ســائداً هو الزرادشتيه ويذكر (آرثر كريستنسن أستاذ الدراسات الإيرانية بجامعة كوبنهاجن في كتابه –إيران في عهد الســاســانيين ص130) أن الســاســانيين قد اتحدوا منذ بداية عهدهم مع رجال الدين الزرادشــتيين، وقد اســتمرت الصــلات الوثيقة بين الدولة والدين طوال العهد الساساني[1].

(1)آرثر كريستنسن، إيران في عهد الساسانيين ، ترجمة يحيى الخشاب، دار النهضة العربية، بيروت 1982 ص130.

ويذكر بعض المؤرخين، أن في تلك الفترة قد لحق أذى كبير باليهود بسبب الحروب التي كانت تحدث بين الرومانيين والساسانيين ولا ندري لماذا يلحق مثل ذلك الأذى باليهود دون غيرهم؟

ونعتقد أن تلك الأحداث يتناولها العديد من الباحثين والدارسين دون تمحيصها بدقة، فيذكر أنه في عهد بهرام الخامس (جور) (438-420م) لاقى اليهود اضطهاداً عنيفاً، وواجه اليهود في مملكة فارس موجة شديدة من الاضطهاد في عهد خلافة يزدجرد الثاني وهرمز الثالث وفيروز الأول (484-438م).

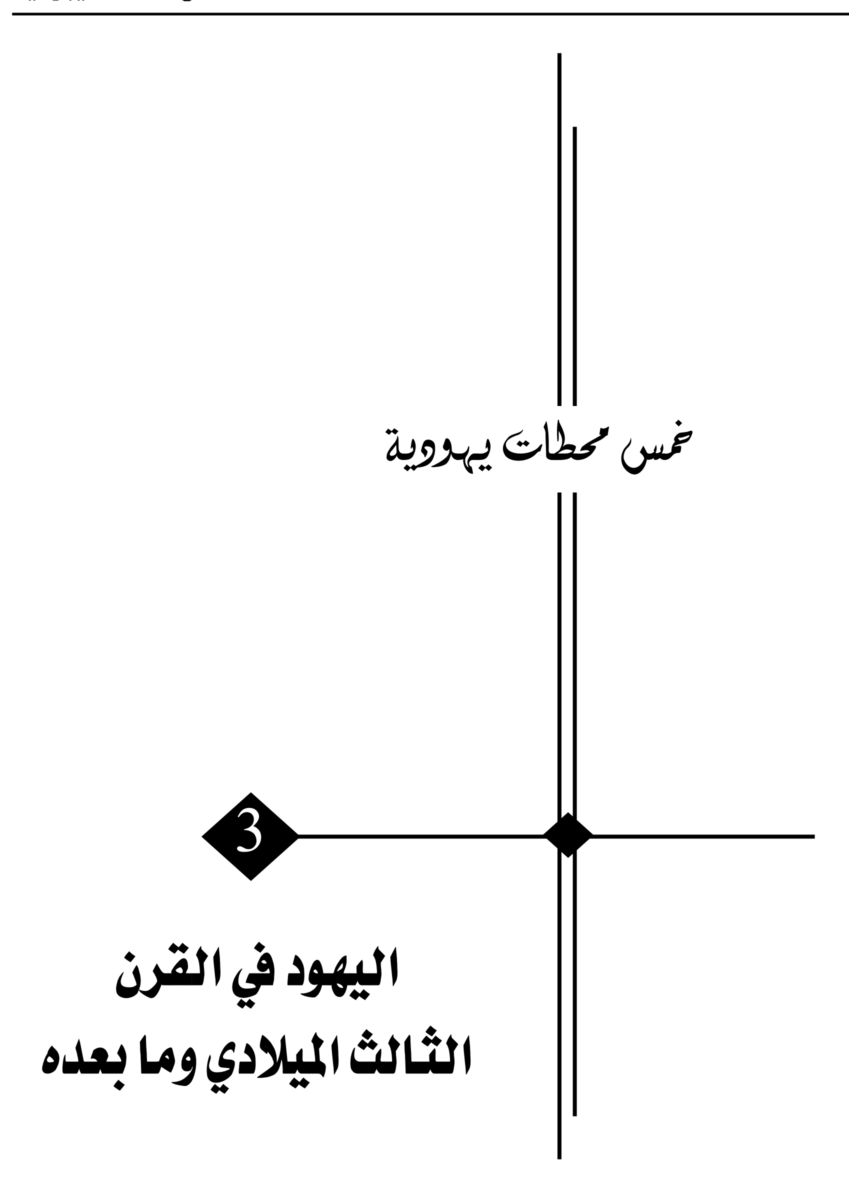
وشهد اليهود ذات الشيء في عهد كسرى الثاني (628-590م) وغير ذلك من الروايات.

ويرجع الباحثون سبب ما يحصل لليهود لوقوفهم إلى جانب أحد الأطراف، أو لتهربهم من دفع الضرائب وفي أغلب الأحيان، نجد أن اليهود يحققون في النهاية أهدافهم ويتمكنون من الوصول إلى مراكز القرار والحصول على مساندتها ودعمها، وتتردد هذه القصص وحكايات عن اليهود عبر التاريخ دون غيرهم من الأقوام والشعوب، وفي تقديرنا أن هذا الأمر يحتاج إلى انتباه الدارسين والباحثين في التاريخ اليهودي،

مع الأخذ بالاعتبار أن المصادر المتوفرة والتي تناولت نشاطات اليهود ومجتمعاتهم وما عاشوه من أحداث، المظلم منها والمضيء، ظلت تردد تلك القصص، معتمدة على ما أورده التلمود بصورة خاصة، ومعروف أن التلمود قد تمت كتابته من قبل الأحبار في بابل (انظر: يعقوب يوسف كوريه، يهود العراق ص10).

ويذكر (H.Gunkle في كتابه Israel and Babylon p12) أن علم الآثار قد برهن على أن المقومات الأساسية للتوراة هي بابلية صرف ويقول د.أحمد سوسة: في بابل كتب التلمود البابلي، ولهذا الكتاب أهمية خاصة بالنسبة لتاريخ العراق، ففيه بحوث عن مدن وقرى وأنهار العراق،

ومن خلال ما ورد فيه، تم فهم جغرافية العراق في عصور ما قبل الميلاد و ما بعده. (انظر ملامح من التاريخ ليهود العراق ص173) وظلت المراحل التاريخية ليهود العرق تكتب من خلال تلك الزاوية واعتماداً على مصادر محددة.



اليهود في القرن الثالث الميلادي وما بعده

ازدهرت دراســة التوراة في بابل منذ القرن الثالث الميلادي ازدهاراً كبيراً على يد اثنين من الأموارئيين هما الرباني وشــموئيل حيث ولد كلاهما في العراق، وذهبا إلى فلسطين و سمعا التوراة من عند يهودا هناسي (ربي) وعادا في الربع الأول من القرن الثالث إلى بابل، وفتح لكل منهما (يشيبة أو سيدرا) ونشرا التوراة من هناك (إبراهام ابن يعقوب، مصدر سابق ص15).

وعندما عاد الرباني إلى بابل ســنة 219م أصــبح مراقباً ومشرــفاً على المقاييس والأوزان والأسعار في الأسواق، واتجه بعد عمله ذلك إلى تأسيس (يشيبة) في مدينة ســورا، وبدأت أعداد التلاميذ بالتدفق إليها من بابل ومناطق أخرى، وبعد حوالي ثمانمائة ســنة، أي حتى نهاية عهد الجاؤونيين، بلغ عدد تلامذتها الدائمين حوالي 12.000 تلميذ، كما كان هناك عدد من التلاميذ غير الدائمين والذين يمارســون بعض الحرف أثناء أشــهر الســنة، ثم يأتون للدراســة خلال شــهري آذار/ مارس وأيلول/ سبتمبر لسماع التوراة، وسميت هذه الاجتماعات باسم (المظلة) وسمي التلاميذ الذين يجلســون وســط البيدر الدائري بأبناء (المظلة) ودُعي الشــهران المذكوران (آذار/ مارس وأيلول/ سبتمبر) بشهري المظلة، ويسمى الرباني الذي يعظ أمام المجتمعين « رئيس المظلة »[1].

(1)إبراهام بن يعقوب، مصدر سابق ص15-17.

ولتشــجيع الدراســة الدينية في تلك الفترة، فقد تم إلغاء جميع المحاكم وحملات جباية الديون، لكي يندفع الناس لدراســة التوراة ولا يتضـايقون من أي شيء يعكر صــفوهم، ولإفســاح المجال أمام الذين لم يتمكنوا من الاشــتراك في الاجتماعات الدراسية، تم تنظيم دراسة خاصة في أيام السبت التي تسبق الأعياد وسميت (سبت العيد).

أما شــموئيل بن أبا بن الرباني أبا الكاهن فقد ترأس (يشــيبة) نهر دعا، وأثناء وجوده في فلسـطين أصـبح طبيباً للرباني يهودا هناسي، واخترع مرهم عيون خاصـاً عالج به عيني الرباني وكان يعرف اللغة اليونانية واللاتينية وأحداث الشــعوب ويقول (يوسف غنيمة) : كانت مدرسة دعه مركزاً مهماً لليهود تجمع فيها هدايا يهود بلاد فارس وبين النهرين وبلاد العرب لهيكل أورشــليم ومدارســها، ونالت هذه المدرسة صيتاً بعيداً، ولم يطل أمدها طويلاً إذ خربت المدينة في سنة 259م ، ويعتمد غنيمة في ذلك على ما كتبه S. Mendelssohn في كتابه The Jews of Asia أما إبراهام بن يعقوب فيقول أن شــموئيل قد مات في ســنة 254م وبموته انتهى الجيل الأول من أمورائي بابل.

وتوالت بعد ذلك الأجيال، ومثل الجيل الثاني-الرباني هونا والرباني نحمان بن يعقوب والرباني يهودا (290-250م) أما الجيل الثالث (320-290م) فقد برز فيه الرباني حسـداً وربا والرباني يوسـف، والجيل الرابع في أوربا (350-320م) الجيل الخامس –الرباني نحمان بن إســحاق والرباني ببابن حنان (375-350م) ثم الجيل السادس –أشي وحاخامي عصره (425-375م).

وكان الجيل الثامن، هو الأخير –الرباني يوسي وربينا الأخير خاتماً التلمود البابلي (460-500م) وهنا اكتمل كتاب (التلمود) ويعد موسوعة لليهود، ويتضمن كل التوراة الشفوية وشريعة الهالاخا والأجادا والقانون والقضاء والسلوك الحسن والأخلاق والفنون والعلوم وتشمل ستين فصلاً وتضم آلاف المواضيع في علم اللغة والنقاش والتربية والمنهجية والطب والطبيعة والحساب والهندسة والتشريح والفلسفة والفلك وغيرها[1].

وهناك تلمودان يعرف الأول بالتلمود الفلسطيني وتسميه اليهود الأورشليمي ويعرف الثاني بالتلمود البابلي، ولكل من هذين التلمودين طابعه الخاص، وهو طابع البلد الذي وضع فيه ولغتا التلمودين مختلفتان تمثلان لهجتين أراميتين، وحجم التلمود البابلي أوسع من التلمود الفلسطيني بأربعة أضعاف ويقع في 5894 صفحة ويطبع عادة باثني عشر جزءاً[2].

سميت الفترة التي أعقبت الانتهاء من تدوين التلمود سنة 500م بفترة السبورائيين وامتدت إلى سنة 589م وجاءت بعد فترة أمورائيي بابل التي استمرت لمدة 281 سنة، وكانت مهمة السبورائيين الأساسية توضيح التلمود للشعب،

(1)المصدر السابق ص34.

(2)أحمد سوسة المصدر السابق ص184 .وانظر:

L.Ginsbefg «The Palastinian Talmud, N.Y., 1941 , Radlrinson History of The Talmud.

مثلما تسلموه من الأمورائيين حيث عدلوا الصيغ والنصوص، وادخلوا إلى التلمود فصل الهالاخا والفقرات الثانوية في بداية كل دراسة، ويقول يعقوب بن إبراهام : إن السبورائيين سمحوا لأنفسهم أن يضيفوا عدة نصوص قصيرة إلى متن التلمود.

وبعد انتهاء حكم كوبد حكم الملك الفارسي كسرى أنشروان الأول (531-579م) وتحسن وضع اليهود إبان حكمه، وبعد موته بدأت الاضطرابات التي استمرت خمسين سنة وجلبت عناءً كبيراً لليهود وخاصة في زمن الملك الفارسي هورمز (هورميدس) الرابع (589-579م) بن كسرى أنشروان وبعد ذلك انضم اليهود إلى الحاكم القومي برهام جوبين الذي ثار على الملك، وأيدوه بالمال والكساء إلى أن نجح في أن يتوج سنة (589م) ولكن بعد عدة أشهر تغير الحال، إذ تمكن الملك كسرى فيروز الثاني (628-590م) من إزاحته، وعاقب الطوائف اليهودية في محوزا وأنطاكيا الجديدة ثم عفا بعد ذلك عن اليهود وعاملهم بإحسان، وفي سنة 614م وعندما خرج كسرى الثاني للقتال ضد هرقيلوس، وقف اليهود في فلسطين إلى جانبه، وكانوا يأملون بأن يكون حكم فارس هو الأفضل من حكم البيزنطيين ونتيجة لهذه المساعدة انتقموا من اليهود (أبراهام بن يعقوب، مصدر سابق ص38).

وفي سنة 635م فتح العرب مدينة قطسيفون وأجبر الملك يزدجر الثالث على الهرب منها.

يختصر يوسف رزق الله غنيمة الفترة التي سيطر فيها المسلمون على المدن العراقية وأزاحوا عنها الفرس في كتابه (نزهة المشتاق) إذ يقول : سارت الكتائب الإ سلامية من بلاد العرب وتوجهت إلى العراق بقيادة سعد بن أبي وقاص في عهد الخليفة عمر ابن الخطاب وفتحت الخورنق والحيرة والقادسية وبهمشير والإيوان وأسبانبر وكل بلاد العراق، ودكت معالم الفرس، واستولى المسلمون على العراق وسكانه، فكان نصيب اليهود كسائر أصحاب الأديان في هذه الأقطار فمنهم من دانوا بالإسلام ومنهم من أدوا الجزية.

ويظهر أن اليهود والنصارى في العراق، استبشروا بالفتوحات الإسلامية و ساعدوا الفاتحين المسلمين أهل التوحيد لأنهم كانوا يستثقلون وطأة حكم الفرس الوثنيين، ولا سيما في أخريات أيامهم، حيث كان الضعف قد تفشى في دولتهم، وتقول المصادر اليهودية: إن السبتاني رأس الجالوت قد أرضى الخليفة عمر بن الخطاب امتنانه لهم على ذلك، ومنحهم حقوقاً واسعة ورفع وظيفة رئيس الجالية وأعطاه احتراماً ملكياً، واعترف به وسيطاً بين اليهود والحكومة وسلم بيديه ختماً منحوتاً عليه ذبابة ذات جناحين،

ويرمز بذلك إلى أن نفوذه يمتد إلى جميع أبناء طائفته، كما أن الخليفة عمر زوجه (أيزدوكداد) البنت الأسيرة لكسرى الثاني ملك الفرس، ولهذا فقد رفع فعلياً من صلاحيته الرسمية، وليصبح أحد وارثي الحكم لملوك فارس، وكان جميع رؤساء الجالية الذين خدموا في العراق من بعد السبتاني من ذرية زوجته اليهودية باستثناء واحد هو (زكاي-ابن الجيل الرابع)، فكان من زوجته الفارسية التي لم تتهود(1).

وعندما فتح الخليفة علي بن أبي طالب (656-660م) مدينة فيروز –شابور في سنة (658م) خرج جميع سكانها اليهود والذين بلغ عددهم 90.000 نسمة وعلى رأسهم رئيس اليشيبة السيد الرباني إسحاق جاؤون (636-660م) لاستقباله(2).

وفرح الخليفة بدعوته وأعطاه صلاحيات لسن القوانين وإصدار أنظمة بشان أبناء دينه، أما بالنسبة للفترة اللاحقة، فلا توجد أخبار كثيرة ومهمة عن اليهود، وتذكر المصادر اليهودية، أنه كان هناك أربعة رؤساء للجالية اليهودية تعاقبوا عليها إبان حكم الأمويين وهؤلاء هم سبتاني، حنينائي، حسدائي وشلومو بن حسدائي.

وكان وضع اليهود غير مستقر أثناء حكم بني العباس (750-1040م) حيث وجد خلفاء اكتفوا بأخذ الضرائب من اليهود، وسمحوا لهم بممارسة شؤونهم الروحانية بشكل حر، (انظر: إبراهام بن يعقوب ص44)،

(1) إبراهام بن يعقوب ، مصدر سابق ص40.

(2) المصدر السابق ص43-44.

أما د.أحمد سوسة فيذكر أن يهود العراق، قد تمتعوا بحرية تامة وبحياة آمنة منذ قيام الخلافة العباسية حتى وفاة هارون الرشيد (762-809م) ثم عندما وقعت حروب وفتن بين الأمين والمأمون وأصحابهما، سادت الفوضى، ودام الاضطراب الذي شمل جميع أطراف العراق إلى سنة 813م حين انتهى حكم الخلافة إلى المأمون، ومثلما لحق الأذى بالناس بصورة عامة، فقد شمل ذلك اليهود، ولم يكن ما لحق بهم من أذى لأنهم يهوداً، وبمجيء المأمون إلى سدة الخلافة، تغيرت الأحوال، فقد كان متسامحاً ليس تجاه اليهود فقط، بل شمل تسامحه جميع الرعايا، وأطلق الحرية التامة في النشر والكلام، وفي عهده تأسس المركز العلمي المعروف (بيت الحكمة) وفي ذلك يقول بارون في كتابه (تاريخ اليهود الاجتماعي والديني ج3 ص144)، لقد أدت الفتوحات الإسلامية منذ القرن السابع الميلادي إلى توحيد مناطق واسعة من أفريقيا وآسيا، هيأت لليهود محيطاً غنياً بالعدد والأهمية ليس في العراق وحده بل في إيران وفلسطين ومصر أيضاً[1].

كان الحدث المهم بالنسبة لليهود، هو تأسيس بغداد سنة 149هـ (763م) حيث قصدتها مجاميع كبيرة من اليهود، ووصلت المجاميع الأولى من أولئك الذين كانوا يسكنون في طيسفون قرب بغداد،

(1)انظر بارون في كتابه (تاريخ اليهود الديني والاجتماعي). ج3 ص144 و د. أحمد سوسه ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق ص215.

واندفعت المجاميع الأخرى من اليهود، لأن معظم الخلفاء العباسـيين قد تميزوا بالتسـامح والتسـاهل، وتمتع اليهود مثل الآخرين بقدر كبير من الاحترام وعاشـوا بطمأنينة واستقرار، وكان ذلك خلال القرون الأولى من الخلافة العباسية.

ويقول إبراهام بن يعقوب (موجز تاريخ يهود بابل ص45) منذ أن أعلنت بغداد عاصـمة للخلافة الإسـلامية، بدأت الطائفة اليهودية هناك بالازدياد، بحيث أصـبحت الطائفة اليهودية هي العظمى في العراق، واسـتقر رئيس الجالية فيها، وسكن يهود بغداد في ضاحية خاصة سميت باسم (دار اليهود) أو (ديرة اليهود) وسـمي الجسر الذي وجد في الضـاحية الغربية للمدينة باسـم (قنطرة اليهود) أو (جسر اليهود) وكان الرباني أحاي (احا) مسـبحا واحداً من كبار حاخامات فومباديتا القريبة من مدينة بصرى ولد في سـنة (680م) وألف كتاباً باسـم (استفسارات) وذلك سنة (750م) ويعد هذا الكتاب هو الأول بعد اكتمال التلمود، وهو ذو أهمية كبيرة ويسمى (جاؤون) ثم هاجر بعد ذلك إلى فلسطين ومات هناك سنة (752م).

واشتهر يهود العراق بعلم التنجيم والطلسمات، وذهبت شهرتهم بعيداً في القرون الوسـطى إلى أوربا، وكان المنجمون اليهود يدخلون دار الخلافة، ومما ذكره ابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان، أن منجماً يهودياً زعم أن هارون الرشـيد يموت في غضـون تلك السـنة، فاغتم الخليفة لهذا الأمر ولما علم جعفر البرمكي بحال الخليفة ركب إليه، فقال له جعفر : أنت تزعم أن أمير المؤمنين يموت إلى كذا وكذا يوماً،

قال: نعم، قال : وأنت كم عمرك ؟ قال: كذا وكذا ولكي يزيح الهم والغم من نفس الخليفة اقترح عليه أن يفعل ما يثبت أن هذا المنجم كذاب، وتلخص اقتراحه بأن يأمر بقتله، وعند ذاك سـوف ينفضـح أمر عمره، ونفذ الرشـيد ذلك، فشـعر بالارتياح وشكر جعفر البرمكي، وتدلل هذه القصة على أن معرفة اليهود بالتنجيم كان أمراً شائعاً، وأن قصصاً كثيرة حدثت كما تحدثوا بها، الأمر الذي جعل الخليفة هارون الرشيد شبه مصدق لما قاله ذلك اليهودي، ولهذا سارع إلى تنفيذ كل ما من شأنه إثبات كذب ما قاله المنجم.

ومع أن إبراهام بن يعقوب في (تاريخ يهود بابل ص49) يقول : إن وضع اليهود السياسي لم يكن مزدهراً أيام الخليفة هارون الرشيد (809-786م) إذ عانوا كثيراً وبالرغم من حبه للثقافة، فقد كان متعصباً لدين الإسلام فاضطهد اليهود وسعى إلى إذلالهم، وضاعف من فرض الضرائب الثقيلة عليهم، وحدد لهم ملابسهم وتجارتهم وقوانين أخرى، ولا يذكر إبراهام بن يعقوب تفاصيل عن ذلك وأنواع القوانين الأخرى، كما أنه لا يذكر المصدر الذي استقى منه تلك المعلومات، أما يوسف رزق الله غنيمة فيقول في كتاب (نزهة المشتاق ص107-108) منذ نشوء الخلافة العباسية وحتى وفاة هارون الرشيد كان يهود العراق على أتم الراحة والهناء، وكان معظم الخلفاء العباسيين على جانب عظيم من التساهل مع هذا القوم وكان أكثرهم تساهلاً المأمون، فإنه رأف برعاياه، واستفاد من مواهبهم العقلية وذخائرهم العلمية على اختلاف أديانهم وتباين مذاهبهم وأطلق الألسنة والأقلام،

ولما أراد هذا الخليفة أن يدون العلوم ويجمعها في دولته، جمع في بغداد ثلاثمائة عالم من كل فن من الفنون وعلم من العلوم، من كل جنس ودين فألف منهم أكبر ديوان للعلم.

وبالنسبة لليهود تحديداً فقد وقعت الفتن بينهم في زمن المأمون كما يذكر ذلك القس بطرس نصري في كتابه (ذخيرة الأذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان مجلد رقم 1 ص333) فقد تنازع الرئاسة فرق منهم، فحكم الخليفة بينهم وحل المسألة بقرار أن كل عشرة أنفار إذا اتفقوا يقومون لهم رأساً عليهم، فقام النصارى من جانبهم واعترضوا على هذا الأمر الذي لم يوافق مصلحة رؤسائهم.

ومن المراحل الصعبة التي مر بها اليهود بعد حكم المأمون الذي تميز بالهدوء والرخاء والطمأنينة، ما حصل في زمن المتوكل فقد كان شديد الوطأة على أهل الذمة، إذ أمرهم سنة 335هـ (849م) بأن يلبسوا لباساً يميزهم عن المسلمين ويركبوا سروجاً تختلف عن سروجهم، وأن يجعلوا على أبواب دورهم صورة شياطين من خشب مسمورة تفريقاً بين منازلهم ومنازل المسلمين، ونهى أن يستعان بهم في الدواوين وأعمال السلطات التي يجري أحكامهم فيها على المسلمين، ونهى أن يتعلم أولادهم في كتاتيب المسلمين، وأمر بهدم معابدهم المحدثة وبأخذ العُشر من منازلهم وتسوية قبورهم مع الأرض وبغير ذلك مما يذلهم وكتب بذلك إلى العمال في البلاد. (الطبري المجلد 11 ص36).

ولم يكن المتوكل مع أهل الذمة على هذا العسـف وحدهم، بل أغلظ معاملته مع أهل البيت وحرث قبر الإمام الحسـين (Graet z ,History of the Jews , vol 3. P.206).

وقد كان لهذا الأمر مؤثرات مجحفة بحق النصـارى واليهود، على السـواء، فإن منصـب رأس الجالوت تعطل بعد أن تولى المتوكل الخلافة، وكان ذلك المنصـب أفاد اليهود فائدة جليلة مدة سبعة قرون وساعد القوم على إدارة شؤونهم الداخلية إدارة تضاهي الاستقلال الذاتي[1].

ويمكن القول إن القيود التي وضـعها المتوكل لم تطبق كلها بالفعل، ومع كل هذا فإن يهوداً كثيرين تحدثوا بالعربية وتآخوا مع وجهاء العرب، وشـغل اليهود دوراً كبيراً في الحياة الاقتصـادية والأمنية، وبرزوا كأطباء وأدباء ومعلمين، وأدخلوا في الوظائف الحكومية وقد أقيل بعض الموظفين بسـبب شـكاوى متعصـبي الإسـلام ولكن حصـل ذلك في حالات متفرقة، وإن القرار الذي فرض الملابس اليهودية الموحدة زال وألغي مرات عديدة[2].

---

(1)يوسف رزق الله غنيمة، مصدر سابق ص114.

(2)إبراهام بن يعقوب، مصدر سابق ص51.

واختلفت الأمور كثيراً بعد المتوكل، وخففت القوانين فكان الوزير ابن سليمان في عهد المعتصم (902-892م) يقرب اليهود والنصارى المثقفين للعمل بالدولة.

أما الخليفة المقتدر (932-908م) فقد أمر ألا يعين اليهود والنصارى إلا كأطباء وجباة ضرائب، وهذا بشرط أن يلبسوا ملابس صفراء وطاقيات ملونة، وعين الخليفة الراضي (940-934م) عدة موظفين يهود وبينهم يهودي يدعى ابن فضلان والذي أقيل في ما بعد[1].

وفي وقت الخليفة المقتدر، نشب نزاع شديد بين رئيس الجالية السيد عقيبا وبين الرباني كاهون صادق بن يوسف الجاؤون من فومباديتا، كان كلاهما جبارين ومتشددين، وكان سبب النزاع هو مال التبرعات الذي يستلم من طوائف ولاية خراسان، وبتأثير اثنين من اليهود الأقوياء الأثرياء في ذلك الوقت، هما يوسف بن فنحاس وصهره نظيرا، فقد تم عزل رئيس الجالية بقرار من الخليفة ونفاه إلى كرمنشاه وتقع بالقرب منها قرية (سافران) ويوجد فيها قصر للخليفة، حيث اعتاد أن يستريح فيه أيام القيظ وكان عقيبا شاعراً بالعربية وصاحب مواهب، فاسمع الخليفة شعراً وهو يتمشى فأعاد له منصبه.

وبعد فترة ليست طويلة تمكنت مجموعة الجاؤونيين أيضاً من التأثير في الخليفة فصدر قرار جديد تم بموجبه إقالته، فاضطر عقيبا أن يترك العراق، ويهاجر إلى أفريقيا حيث الخلافة الفاطمية،

(1)المصدر السابق ص52.

واستقبله هناك يهود القيروان باحترام كبير، وشغل منصب رئيسهم حتى وفاته، وبعد هذا الحادث بقي منصب رئيس الجالية شاغراً حوالي خمسين سنة إلا أن انتخب دافيد بن زكاي، عم السيد عقيبا (940-920م).

وفي عهد الخليفة القادر بالله (991- 1031م) أغلقت جميع المدارس اليهودية في العراق، ثم تولى المقتدر بأمر الله الخلافة (1094-1075م) وسار على خطا المتوكل في معاملته لأهل الذمة، وألزم اليهود بلبس الغيار والعمائم الصفراء، أما النساء فالأزر العسلية وأن تخالف المرأة منهم بين لوني خفيها، فيكون الواحد أسود والآخر أبيض وأن يجعلن في أعناقهن أطباقاً من حديد إذا دخلن الحمامات.(انظر الكامل لابن الأثير 10 : 68).

وحدثت عام 1178م فتنة كان سببها يهود المدائن، فقد حضروا إلى بغداد وشكوا من يهودها الذين اعترضوا على أذان المسلمين في الجامع المجاور لكنيسهم، فاستمر المؤذن دون أن يأبه لما أرادوا لأن هكذا هو الأذان في الإسلام، فاختصموا وكانت هناك فتنة، واستظهر اليهود في تلك الفتنة كما يصف ذلك (ابن الأثير في الكامل) وأمر ابن العطار وهو صاحب المخزن بحبسهم، ثم أُخرجوا فقصدوا جامع القصر

واستغاثوا قبل صلاة الجمعة، فخفف الخطيب الخطبة والصلاة، فعادوا يستغيثون فأتاهم جماعة من الجند ومنعوهم، فلما رأى العامة ما فعل بهم غضبوا وقصدوا دكاكين المخلطين، لأن أكثرهم من اليهود فنهبوها وأراد حاجب الباب منعهم فرجموه فهرب منهم، وانقلب البلد وخربوا الكنيس الذي عند دار البساسيري وأحرقوا التوراة وأمر الخليفة أن ينقض الكنيس الذي بالمدائن ويجعله مسجداً[1].

وحصل تغير كبير في أوضاع اليهود بالعراق عندما احتل السلاجقة بغداد في سنة (1055م) وحكموا فيها ما يقارب المائة سنة، حتى سنة (1150م) وكانوا الحكام الفعليين للإمبراطورية الإسلامية ولم يبقوا للخلفاء إلا شكلهم الديني فقط، ولم يلحقوا أذى باليهود بل منحوهم عدة وظائف رفيعة، واشتهر في وقتهم يوسف بن دافيد السفوني اليهودي الذي كان مقرباً من الحكم، وكان حاخاماً وشاعراً باللغة العربية.

ويذكر د.أحمد سوسة أنه قد أعيد لليهود في القرن الثاني عشر للميلاد حريتهم وحسن معاملتهم، وذلك على أثر استيلاء السلطان مسعود بن محمد بن ملك شاه سنة 1132م على مقاليد الحكم في بغداد وقد استمر حكمه في عهد الخليفة المسترشد بالله (1118-1135م) وفي عهد الخليفة المقتفي بأمر الله (1136-1160م) استمر معه حسن معاملة اليهود.

(1) الكامل لابن الأثير 11: 183.

وبعد نهاية حكم السلاجقة، تسلم الخلفاء العباسيون بيديهم الحكم مرة ثانية وتحسن وضع اليهود وخاصة في زمن المستنجد بالله (1170-1160م) ومنحهم حكماً ذاتياً، وكتب الرحالة بنيامين التطيلي الذي زار العراق في سنة 1170م عن الخليفة المستنجد بالله بأنه كان يحب اليهود جداً، وكان عارفاً باللغات وضليعاً في توراة إسرائيل ويقرأ ويكتب في اللغة المقدسة (رحلات بنيامين لندن 1897 ص35).

وكان وضع اليهود جيداً في أيام الخليفة المستضيء بأمر الله (1179-1170م) وكتب الرحالة الرباني فتحيا ريجيسنبروغ الذي زار بغداد أيام الخليفة الناصر (1225-1180م) بأن الملك الذي سبقه احترم رئيس الجالية الرباني شلومو، ومال بقلبه إلى دين اليهود (رحلة الرباني فتحيا، القدس 1905،ص27) [1].

(1)هو الرابي بنيامين بن يونا التطيلي اليهودي وقد زار هذه الأماكن حوالي سنة 1160م وروى كثيراً عن يهود العراق، وصدرت الترجمة العربية بعنوان (رحلة بنيامين) ترجمها عن العبرية عزرا حداد، وقدم الكتاب المحامي والمؤرخ عباس العزاوي، طبع المطبعة الشرقية، الطبعة الأولى سنة 1945.

أما الرحالة بنيامين التطيلي فقد وجد في بغداد 40.000 ألف يهودي يسكنون بهدوء وطمأنينة وبينهم تلاميذ حاخامين كبار ورؤساء يشيبوت وأغنياء كبار، ولهم ثمانية وعشرون كنيسة.

وكان لليهود في بغداد عشر جمعيات أو عشرة مجالس ولكل منها رئيس، ولم يكن لأعضائها عمل غير النظر في مصالح الشعب الإسرائيلي في كل أيام الأسبوع ما خلا يوم الاثنين، إذ كانوا يجتمعون اجتماعاً عاماً ينظرون في مصالح الناس من أي دين كانوا والى أي مذهب انتسبوا، وكان للطائفة مستشفيات وكان عددهم في الحلة 10000نسمة.

ولابد من ذكر أن يهود العراق قد تعاطوا التجارة وعلى مختلف الحقب والعصور وازدهرت تجارتهم في العصر العباسي وقد أثروا من تجارتهم تلك ويصف لنا ابن خردازيه في كتابة (المسالك والممالك) ص153 وص154 نشاطهم في مجال التجارة بما نصه :

مسلك التجار اليهود الراذانية الذين يتكلمون بالعربية والفارسية والرومية والإفرنجية والأندلسية، وإنهم يسافرون من المشرق إلى المغرب وبالعكس براً وبحراً، ويجلبون من المغرب الخدم والجواري والغلمان والديباج وجلود الخز والفراء والسمور والسيوف، ويركبون من فرنجة في البحر العربي، فيخرجون بالفر ما ويحملون تجارتهم على الظهر إلى القلزم وبينها خمسة وعشرون فرسخاً ثم يركبون البحر الشرقي من القلزم إلى الجار وجدة ثم يمضون إلى السند والهند والصين فيحملون من هناك المسك والعود والكافور والدارصيني وهكذا.

وكان الصــيارفة اليهود في العراق على شيء من الوجاهة، وكان رجال الدولة العباسـية يودعونهم دراهمهم، وقد قال ابن الفرات وزير الدولة العباسـية إن له عند يوســف بن فنحاس وهرون ابن عمران الجهبذين اليهوديين مبلغاً عظيماً من المال. (مجلة المقتبس ع7 ص425 آب/ أغسطس 1908).

وزار العراق سـنة 1180م السـائح اليهودي الربان بتاخيا من مدينة راتسـبون، و قال إن في بغداد 1000 يهودي يخرجون مقنعين دائماً، و قال بعد و فاة ا لجالوت دانيال بن حسناي: تولى هذا المنصب ابن أخيه يسانده ربان سموئيل بن علي وكان للربان ســموئيل ابنة فقيهة تدرس طلاب العلم وكانت تلقي الدروس عليهم من شباك عال وهم جلوس بحيث لا تراهم ولا يرونها[1].

وظهر في بغداد في النصف الأول من القرن الحادي عشر شعراء مهمون وشخصيات ذات مناصــب رفيعة في الحكومة ونذكر منهم الشــاعر الرباني اليعازر بن يعقوب والفيلسوف اليهود عز الدولة ابن كمونة، وعوائل الماشعييري والكرم وشبر والرباني إسـحق الحوني ويعد هذا من منشـطي العلوم أكثر مما يعد بين المؤلفين، وجاء إلى بغداد من البرتغال الربان موسى بن شثت الشاعر الذي نقل الشعر العبري إلى بغداد.

(1)يوسف غنيمة، مصدر سابق ص137.

يعترف الكاتب اليهودي إبراهام بن يعقوب في كتابه (موجز تاريخ يهود بابل ص80 الطبعة العبرية القدس 1971) أن المغول قد احتلوا بغداد سـنة 1258م بمساعدة اليهود، وتعد تلك السـنة من التواريخ التي لا يمكن أن تنسى في تاريخ بغداد، ففيها دخل التتار مدينة الثقافة والعلم والحضارة، ودمروا كل شيء فيها وأحرقوا مكتباتها، وكان يوم نزول المغول إلى بغداد قد صادف منتصف شهر محرم من سنة 656هـ ودخل حفيد جنكيز خان بغداد وتحت إمرته عسكر جرار، وفي اليوم السادس والعشرين من محرم، تم حصار بغداد من كل جانب، وفي الرابع من صفر اضطر الخليفة العباسي المستعصم بالله إلى الحضور بين يدي القائد المغولي ومعه أهله وأولاده، ثم دخلت عساكر هولاكو وخربت ودمرت وسلبت وقتلت وكان هولاكو قد طوى الصفحة الأخيرة من حكم العباسيين الذين حكموا مدة أكثر من خمسة قرون قام منهم سبعة وثلاثون خليفة.

وبقيت بغداد تحت الحكم المغولي من سـنة 1258 إلى 1335م، وتحسن وضع اليهود في ذلك العهد، وبلغ عدد اليهود الذين يدفعون ضريبة الرؤوس حوالي 3600 يهودي وكان لهم ستة عشر كنيساً.

وفي أيام الملك أرغون خان (1291-1284م) ذاع صيت اليهودي المعروف بـ(سعد الدولة الذي شغل في البدء منصب طبيب السلطان، وعندما وجد السلطان فيه الكفاءة المالية العالية، ولقربه منه عينه في سـنة 1289م وزيراً للمالية وأصبح هو المسؤول عن مراقبة الضرائب، إضافة إلى إشرافه على واردات

وصـــادرات الدولة، وبعد أن حقق نجاحات مالية كبيرة عينه السـلطان المغولي رئيســاً للوزراء على جميع الإمبراطورية المغولية وأعطاه صــلاحيات كبيرة، ولكن عندما مات أرغون-خان توجهت إليه أصــابع الاتهام، وقيل: إنه هو الذي تســبب بموت السـلطان وتوزعت الاتهامات بين كونه لم يقدم العلاج المناسـب له، وبين أن يكون قد دس السـم إليه، وقتل في سـنة 1291، وانعكس ذلك على أوضـاع اليهود وقيل: إنها قد ســاءت وكان قد تم تعيين أخيه فخذ الدولة ناظراً عاماً على مزارع الدولة وأخيه الثالث أمين الدولة حاكماً على الموصل(1).

ويظهر طبيب آخر من اليهود ليحتل موقعاً حكومياً كبيراً، وهو الطبيب الثري الذي اسمه رشيد الدولة وقد بلغ مكانة عالية وعين رئيساً للوزراء في زمن السلطان أولجيتو -خان الذي سـمي أيضـاً محمد خربندر-خان (1316-1305م) وقيل إنه قد دس السم للسلطان أيضاً واعدم سنة (1318م) و ساء و ضع اليهود من جديد كما يقول إبراهام بن يعقوب. ومن المعروف أنه بعد أن سيطر المغول انتقل الحكم إلى الســلا لة الجلائر ية (1376-1336م) و كان وضــع اليهود ســيئاً جداً في زمن الجلائريين، ففي سـنة 1244م وفي عهد السـلطان الشـيخ حسـن بوزورج (بزرك) (1339-1356م) الذي ثبت بغداد عاصمة للسلالة، وقعت فيها مجازر باليهود،

ونهبت أملاكهم وخربت الكنس وأتلفت أ سفار التوراة وا ضطر عدد من اليهود إلى تغيير دينهم،

---

(1) يعقوب يو سف كوريه، يهود العراق، تاريخهم، أحوالهم، هجرتهم، منشورات الأهلية، عمان 1998، ص9.

وحول ما حصــل نظم الشــاعر اليهودي أهارون إبراهام حكيمان الذي عاش في بغداد في النصف الأول من القرن الرابع عشر ، مرثاة في فترة أفول الشعر العبري في الشرق، وكتب في بعض قصائده مديحاً لرئيس الجالية الوزير شلوم بن فنحاس الذي عمل بمنصــبه هذا في بغداد، وفي ســنة 1376م برز في با بل الزعيم دافيد بن هوذي(1).

وفي ســنة 1393م احتل بغداد تيمورلنك ا لذي دمر جزءاً كبيراً من ا لمدينة، وهرب معظم الســكان وبضــمنهم الكثير من اليهود إلى جبال كردســتان والى مدن ســوريا ومكثوا هناك فترة طويلة، وشــمل ذلك مدناً عراقية عديدة أخرى، فخلت بغداد من يهودها لمئة سنة، ويقول (Mendelssohn) : إن اليهود قد خافوا بعد أن دخل هذا الطاغية وان كثيرين منهم قد قتلهم التتار ويقال: إن أصــحاب تيمورلنك قتلوا في تلك الســنة نحو عشرـة آلاف يهودي في البصرـة والموصــل وحصــن كيفا ودمروا مدارســهم وانقطعت الرئاســة بينهم زمناً طويلاً، وتبددت الجماعة في المدن والأقاليم فغدت حالهم مؤلمة موجعة(2).

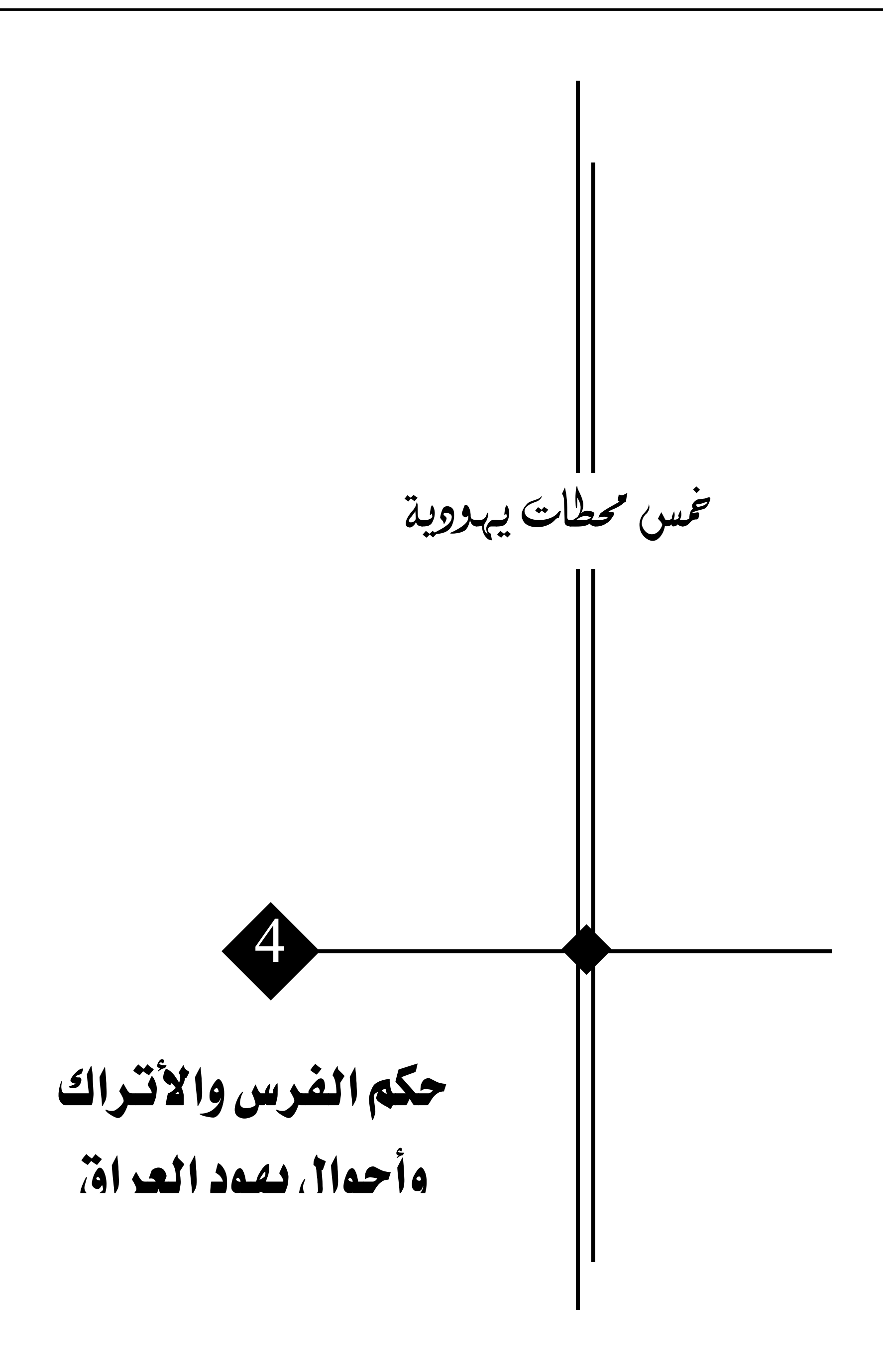
ولما مات تيمورلنك رجع أحمد الجالائري إلى بغداد وتســلم مقاليد الحكم حتى ســنة 1410م عندما اســتولت حكومة (الخروف الأســود) ثانية ، ثم بعدها حكومة الخروف الأبيض وكان مؤسسها حسن الطويل.



(1)إبراهام بن يعقوب، مصدر سابق ص71.

(2)انظر : Mendelssohn : The Jews of Asia p.232.

وانظر : Basnage : History of The Jews Book VII p.696. ويوســف غنيمة (نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق ص150).



حكم الفرس والأتراك
وأحوال يهود العراق

منذ عام (1508م) دخلت بغداد في مرحلة جديدة، من مرحلة تعاقب الحكم الفارسي والتركي، ففي هذه السنة احتل بغداد القائد الفارسي إسماعيل شاه الصفوي وهو مؤسس الدولة الصفوية في إيران وحكم من سنة (1524-1499م) وهو أحد أعقاب صفي الدين الأردبيلي، وكانت له منزلة دينية، وأثناء سيطرة إسماعيل الصفوي لم يتعرض اليهود إلى أي أذى، كما يذكر ذلك إبراهام بن يعقوب (تاريخ يهود بابل ص73)، ويقول ميندلسون في (تاريخ يهود آسيا) إن يهود بلاد فارس افتتنوا بأعمال الشاه العسكرية، وسعوا للحصول على رضائه إلا أنهم مع إعجابهم به وخضوعهم له، لا يظهر أنهم توفقوا لنيل التفات ملكهم المستبد الشديد الشكيمة، ويشير الأب إنستاس ماري الكرملي في كتابه (خلاصة تاريخ العراق ص195) إلى أن الشاه إسماعيل الصفوي قد قتل الكثير من مسلمي السنة وذبح جميع نصارى المدينة (بغداد) أما اليهود فلم يتعرض بهم، وكانوا يهدون إليه الهدايا الجليلة والأموال الطائلة لاحتياجه إليها يومئذ[□].

وعندما خلف الشاه إسماعيل ابنه طهماسب شاه فقد اعتاد الظلم ضد اليهود وتشير بعض المراجع إلى أنهم قد فجعوا بوجوده، ولهذا فإن اليهود سرعان ما بدؤوا بمساعدة أية جهة تساندهم، وقدموا خدماتهم الجليلة للأتراك في احتلال بغداد عام (1534م) على يد القائد العثماني سليمان القانوني

(1)انظر : يوسف رزق الله غنيمة، نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، مصدر سابق ص154.

وأصبحت الطائفة اليهودية في عهده كبيرة في بغداد ولهم كنيس كبير وبرز في تلك الفترة بينهم (إسحاق طيبة) وكانت له مكتبة ضخمة وكان بيته مقراً للحاخامات وسكن به الرباني إبراهام بن الرباني إسحق صهلون من صفد، واعتزل في مكتبته خلال السنوات الثلاث (1591-1593م) وألف هناك ثلاثة كتب[1].

واشتغل اليهود في تلك الفترة بالتجارة، ونشطت رحلات تجارهم مستفيدين من انفتاح الدولة العثمانية على اليهود وفتح حدودها لعبور التجار اليهود إلى أوربا وآسيا.

ووسط التقلبات والحملات العسكرية والتي استمرت منذ الغزو المغولي لبغداد عام 1258م وما أعقبتها من صراعات دموية كانت بغداد مركزاً لها، وتأثرت أيضاً بذلك مدن العراق الرئيسية وانعكس ذلك بالطبع على الكتابة والتوثيق، كما أن الكثير من المراجع قد أتلفت أو أهملت، لهذا فإن حالة من الضبابية ظلت تلف أحوال السكان إبان تلك الحقب.

وفي ما يتعلق بيهود العراق، نجد أن بعض المعلومات تشير إلى أن طائفة يهودية كبيرة كانت تعيش في مدينة عانة على نهر الفرات في الجانب الغربي من العراق، ولا شك أن تلك المنطقة قد مر بها الكثير من اليهود أثناء ذهابهم وإيابهم إلى أورشليم منذ زمن نبوخذ نصر، وبعد أن جاء الملك الفارسي كورش وذهاب أعداد غفيرة من اليهود إلى فلسطين

(1) أسماء الكتب التي ألفها هي (خلاص الله) و(علاج للنفس) و(يد المجتهدين) انظر (موجز تاريخ يهود بابل ص73).

إضافة إلى ا ستخدام المبعوثين للطريق الذي يربط بين بغداد والقدس والذي يمر بمدينة عانه، ووجدت في بداية حكم الأتراك تلك الطائفة في عانه وكان يرأسها الرباني دافيد ثابت، الذي كان حاكماً (وناشراً للتوراة) وتنقسم تلك الطائفة إلى طائفتين غربية وشرقية وكان لكل طائفة كنيس خاص، وكانت لهم علاقات قوية مع بغداد وفلسطين وسوريا والبلدان القريبة، وفي مدينة الموصل وجدت يشيبة كبيرة ترأسها الشاعر والقبلاني الرباني شموئيل أدوناي، ومن بعده ترأست اليشيبة ابنته المتعلمة والشاعرة (أسنت) زوجة الرباني يعقوب بن الرباني يهودا مزراحي، ومن هذه العائلة جلس الكثيرون على كرسي الربانية في بغداد خلال سنوات عديدة حتى سنة 1743م[1].

ومن المعلومات القليلة المتوفرة عن تلك الفترة ما ذكره الرحالة البرتغالي (فريدو تقسيرا) والذي زار بغداد بداية القرن السابع عشر (1604-1605م) وقال: إنه وجد فيها 250 بيتاً يهودياً وكان لهم كنس، واشتغلوا بالتجارة وبحرف مختلفة أخرى، ولهم حي خاص في بغداد.

---

(1) إبراهام بن يعقوب، مصدر سابق ص73-74.

ويمتدح الكتاب اليهود السلطان سليمان القانوني، بعد أن قدمت الدولة العثمانية العون والمساعدة وفتحت أرا ضيها لليهود الذين جاءوا من أ سبانيا عام 1492م في زمن الملك فردناند وزوجته إيزابيلا[1]. ويؤكد ذلك يوسف رزق الله غنيمة فيقول، ما يزيدنا إقناعاً في أن حال يهود العراق كان هنيئاً على عهد السلطان سليمان الأول (القانوني) ما جاء في التاريخ عن حالة اليهود في تركية عموماً قبل ذلك الزمن بنحو قرن، وما يؤكد ذلك الرسالة التي كتبها أحد اليهود في الدولة العثمانية (إسحاق رزفاتي) في أواسط القرن الخامس عشر ووجهها إلى يهود أوربا يدعوهم فيها للهجرة إلى تركيا.

في السنوات (1638-1623م) سقطت بغداد في أيدي الفرس ثانية، وا ستولوا على المدينة ليلاً، ولما ظهر الصباح، سمع الناس الأصوات التي كانت تطلق من أبواق الجيش من أعالي البروج والأسوار، بعد ذلك علموا ما جرى ليلاً، ولما دخل الفرس مدينة بغداد واستتب لهم الأمر فيها، أتوا بأنواع الفظائع من قتل وتنكيل وتخريب وتدمير، وهكذا عملوا في الموصل وسائر المدن التي احتلوها بعد بغداد[2].

---

(1) للمزيد من التفاصيل والمعلومات عن الوجود اليهودي في تركيا، انظر : وليد الزبيدي، (مطر القرون: التأثير اليهودي في القرار السياسي التركي)، جريدة الوطن، مسقط، سلطنة عمان شهر نيسان / ابريل 2001م.

(2) انظر :

C .Huart : Histoire de Bugdad PP , 52-59 .Les vogages et opservations de Sieurdela Boullage le gouz puge 325.

واستمر حكم الفرس لبغداد حتى عام 1638م عندما تمكن الأتراك من احتلال المدينة مرة أخرى، ويذكر أن اليهود قد عانوا كثيراً من حكم الفرس، وسارعوا إلى مساعدة الأتراك (السلطان مراد الرابع) في احتلال المدينة، وحددوا يوم الخامس عشر من طيبت (كيوم معجزة) لكل الأجيال ولم يسجدوا على وجوههم في الصلاة إلى هذا اليوم، وقد منح السلطان مراد الرابع مكافآت إلى اليهود، حيث وسع مكان سكناهم وخصص لهم أماكن مترامية الأطراف لدفن موتاهم، ومنحهم التسهيلات الأخرى.(إبراهام بن يعقوب، مصدر سابق ص74).

وهنا لابد من الإشارة إلى أن بعض المراجع تقول: إن الشاه عباس الأول قد أنعم على الغرباء إنعامات جليلة فأتوا إليها من كل حدب وصوب للإقامة في بغداد وللتجارة وكان بين أولئك جماعة من اليهود الذين استأثروا بالتجارة واعتنوا فيها.انظر Basnage, History of) (the Jews, p. 697 وبرغم كل المحاولات التي قام بها الإيرانيون لإبعاد اليهود عن تجارتهم فإن الشاه عباس لم يقتنع بالكثير من التهم التي ألصقت باليهود حينذاك.

أما فترة السلطان مراد الرابع فتعد من المراحل المهمة في تاريخ يهود العراق في تلك العهود، فيذكر (بولاي كوز) [1] أن جيش السلطان العثماني الذي توجه إلى بغداد، كان يتألف من 150000 رجل من بينهم عشرة آلاف يهودي من كتبة وسعاة

(1) إبراهام بن يعقوب، مصدر سابق ص76.

ورؤساء جيش، ومن غير المستغرب أن تجد هذه النسبة العالية بين الجيش العثماني بعد أن تمكن اليهود من تثبيت ركائزهم داخل القصر السلطاني، وبعد مرور أكثر من قرن على انتشارهم بكثافة في السلطنة، حيث وصلوا إلى هناك عام 1492م وكان السلاطين قبل ذلك التاريخ قد فتحوا أبواب الهجرة أمام يهود أوربا بالدخول إلى الدولة العثمانية.

وسرعان ما انعكس الحضور الواسع والمؤثر لليهود في القصر السلطاني وفي الحملة العسكرية التي دخلت المدينة على أحوال اليهود هناك، فيذكر يوسف رزق الله غنيمة أن السلطان مراد الرابع، دخل أحد بيوت اليهود في بغداد متنكراً، ونزل ضيفاً على صاحبة البيت فأكرمته، ولما غادر البيت سأل هل لها حاجة أو لقومها فطلبت إليه أن ينعم عليهم بأرض لتكون مقبرة لجماعتها، فأجاب طلبها وأعطاهم الأرض المنشودة، ويتفق المؤرخون على أن السلطان مراد الرابع كان قد أحسن لليهود.

تعاقب على حكم بغداد أربعة وثلاثون والياً ما بين السنوات (1704-1638م) وكان يتم تعيينهم من قبل الحكومة المركزية في الإستانة، وكان لكل حاكم هواه في إدارة السلطة، وكان وضع اليهود جيداً بصورة عامة طيلة تلك السنوات.

وبرغم قلة المصادر عن أحوال اليهود في بغداد، إلا أن (إبرا هام بن يعقوب) يعطي ملخصاً عن أهم الأحداث والوقائع التي حصلت خلال الفترة الممتدة من سنة 1733م، عندما حاول الفرس مرة أخرى احتلال بغداد وحتى منتصف القرن التاسع عشر، وعمل اليهود على إفشال محاولات الفرس في السيطرة على بغداد

وغادروها يوم الحادي عشر من آب/ أغسطس سنة 1733م، وحدد اليهود هذا اليوم كيوم معجزة ويوم عيد لكل الأجيال، ولم يسجدوا فيه على وجوههم في الصلاة إلى هذا اليوم وهاتان المعجزتان مدونتان في كل كتب الصلاة حسب منهج يهود العراق، وجعلوهما من بين الأيام التي لا يتكلموا فيها بالاعتراف.

ولم تتوقف محاولات الفرس في غزو المدن العراقية، وبعد مرور عامين تقريباً على خروجهم من بغداد وتحديداً في شهر نيسان/ أبريل من سنة 1775م، حاصرت جيوش الفرس مدينة البصرة في الجنوب، واستمر حصارها حوالي ثلاثة عشر شهراً وولي على المدينة في تلك الأيام سليمان باشا، الذي يقول إبراهام بن يعقوب أنه يحب اليهود (موجز يهود بابل ص75) وكان لهذا الوالي صراف باشي (مبعوثي) يهودي باسم يعقوب بن أهرون جباي، الذي كان يشغل منصب رئيس الطائفة اليهودية في البصرة، وكان من كبار تجار الدولة، وساعد الكثير من الأتراك اقتصادياً في وقت الحصار الذي ضربه الفرس على المدينة، وكان ذلك على حساب جميع سكان المدينة من اليهود والمسلمين، ودعم بأمواله رجال الجيش وجهزهم بملابس وأسلحة الحرب، ونجح عدد من اليهود بسبب سوء الأوضاع حينذاك في الهرب إلى دمشق والى أماكن أخرى، وفي عام 1776م تمكن الفرس من دخول مدينة البصرة وقتلوا بوحشية قسماً كبيراً من سكانها، وقد اضطهدوا اليهود بصورة خاصة وسلبوهم أموالهم، وأقاموا لهم مذبحة كبيرة، وفي الثاني من نيسان/ أبريل عام 1779م، هرب الفرس من المدينة التي احتلها الأتراك من جديد، وحدد يهود البصرة الذين عانوا من الفرس وقسوتهم يوم الثاني من نيسان سنوياً يوم معجزة لكل الأجيال يعيدون فيه.

وتتحدث عن تفاصيل تلك الفترة وخاصة اليهود في البصرة (وثيقة فارس) التي كتبها الرباني يعقوب بن حييم يوسف اليشر، وقد ذكر والي البصرة فضل رئيس الطائفة اليهودية يعقوب بن أهرون جباي، وفي سنة 1780م حضر أمام السلطان عبد الحميد الأول الذي منحه فرمانًا أي (مرسوم سلطاني) واكتسب بذلك حقوقاً خاصة داخل السلطنة، وأفاد بدوره اليهود وعمل الكثير لمصلحتهم، فقد بنى من جديد المقام الذي من حول عزرا الكاتب المدفون في منطقة العزير قرب البصرة، وكان لتجارته العديد من الفروع داخل وخارج العراق[1].

وذكر المستر ريج في كتابه (الإقامة في كردستان المجلد الثاني ص389) يعقوب ابن أهارون جباي، وذكر أنه اهتم بقبر عزرا وأشار إلى الوثيقة الفارسية التي مر ذكرها، وقال: إنها عبرية الخط عربية اللهجة.

أما الرحالة (C.Niebuhr) فقد قال عن اليهود في العراق في تلك الحقبة (إن في الموصل 150 بيتاً من اليهود ويكسب هذا القوم في بلاد الأتراك معيشتهم بحرية تفوق الحرية التي لهم في أوربا، حيث يحظر عليهم معاطاة الحرف، ومع هذا فإنهم لا يجسرون على السير في الطرق في بعض مدن الأتراك إلا مضطرين هرباً مما يصيبهم من الإهانة من الأولاد) [2].

(1) انظر : C .Niepuhr .vogage en Arapie tome ii page 295.

(2) د.إبراهيم الداقوي، فلسطين والصهيونية في وسائل الإعلام التركية، جامعة بغداد، سنة الطبع 1987.

ويؤكد تلك الحقيقة د.إبراهيم الداقوقي في دراسته عن وسائل الإعلام اليهودية في تركيا، ويشير إلى النظرة التي ينظر فيها عامة المجتمع التركي إلى اليهود[□]. أما ما حصل عليه اليهود من دعم رسمي فقد جاء بسبب تغلغل اليهود في مراكز القرار في الدولة العثمانية.

ومن القصص التي تروى عن اليهود في الموصل، فقد حدث كما يذكر ذلك الرحالة الدانماركي نيبهر في سنة 1763م حادث خطير إذ اختفى طفل حديث الولادة ولما كانوا قافلين من زيارة قبر النبي ناحوم في القوش، فقد وجدت جثة الطفل في أحد الآبار وكانت الجثة مثخنة بالجراح وكان لسانه مقطوعاً فاتُّهم اليهود بهذه الفعلة ولعدم وجود شهود على الحادثة فقد دفعوا ألف أشرفي (دوقية) إلى الباشا وهكذا انتهت هذه الحادثة.

وقد كتب روسو[□] في بداية القرن التاسع عشر، واصفاً حال يهود العراق بقوله، إنهم يسكنون في محلة واحدة وفي زاوية من مدينة بغداد، والأتراك يحتقرونهم ويبغضونهم في كل آن، وحالتهم السياسية والعمرانية منحطة كل الانحطاط، ومع هذا كله فإنهم كانوا يتوصلون إلى دخول السراي ودار المكوس وبيوت الوجهاء حيث يجدون من يستخدمهم في خدم مختلفة.

---

(1) انظر : Description du pachalik de Bagdad par M edite en 1809 page 12.
وانظر يوسف رزق الله غنيمة، مصدر سابق ص166.

(2)إبراهام بن يعقوب، مصدر سابق ص77.

خلال سـبعين سـنة ومن (1821-1750م) حكم بغداد اثنا عشرـ والياً من المسـلمين المماليك الأتراك، ويقول إبراهام بن يعقوب (تاريخ يهود بابل ص76) أن معظمهم قد أسـاءوا لليهود، وكان القليل منهم فقط ولاة عادلين، وكان أعظمهم سـليمان باشـا الكبير (1802-1780م) وكان الوالي داود باشـا (1831-1817م) قد اضـطهد اليهود، واضـطر العديد من كبار اليهود إلى الهروب من بغداد في زمن حكمه، وفي بغداد كان حينذاك المصرـفي والأكثر ثراءً في العراق، رئيس الطائفة اليهودية حزقيال بن يوسف بن نسيم بن مناحيم جباي، وقد ساعد السلطان محمود الثـاني (1832-1809م) في التغلـب على والي بغـداد الـذي تمرد عليـه، ومنحـه السـلطان منصـباً رفيعاً ليكون بذلك رئيس المبعوثين في الدولة (صراف باشي) وقد أُنيطت به عدة مناصب عالية ولم يستبدلوه إلى يوم موته سنة (1824م).

وجد في بغداد سـنة 1827م حوالي سـتة آلاف يهودي كان وضـعهم الاقتصـادي جيداً، وعمل معظمهم في التجارة وكان بعضـهم تجاراً كباراً وأغنياء مشـهورين، تاجروا في المدن المختلفة في داخل العراق، وكانت لهم علاقاتهم التجارية مع الدول، منها حلب ودمشـق وفارس وتركيا واليمن والهند، ومارسـوا الكثير من الحرف مثل الصياغة والصباغة، وهنا لابد أن نمر على أهم رؤساء الجالية اليهودية حتى منتصف القرن التاسع عشر،

إذ كان اختيار رئيس الطائفة يتم من قبل الوالي (البا شا) ومن شروط الاختيار أن يكون رئيس الطائفة غنياً، وغالباً ما يعين مسـؤولاً عن المالية، وكان يلقب باسـم (صراف باشي) وكان يعد رئيس الطائفة في بغداد رئيساً لجميع الطوائف، وكان بعض هؤلاء، قد حصل على ذلك المنصب بالرشوة فأساءوا إلى اليهود[1].

ومن الأسماء المعروفة على مدى قرن ونصف تقريباً، موشى بن الرباني مردوخاي شندوخ، وأخوة حزقيال ودافيد بن مردخاي الكاهن والرباني إسحاق بن دافيد بن يشوع جباي، وساسون بن الرباني صالح بن الرباني دافيد أبو عائلة ساسون المشهورة، وقد اضطر إلى الهرب مع ابنه دافيد سوية إلى إيران، بسبب الوالي داود باشا، ومن ثم هرب دافيد ساسون إلى الهند وأصبح رئيساً للطائفة هناك، وبعده جاء عزرا بن يوسف جباي وإسحاق جارح ويوسف بن الرباني موشي بن دافيد بنيامين وكان الرئيس الأخير.

ومن المصادر المعتمدة في معرفة أحوال يهود العراق، ما سجله الرحالة اليهودي بينامين الثاني وهو من مواليد فولتش في مولدافيا، واسمه الحقيقي (يوسف إسرائيل) وأطلق على نفسه اسم بنيامين الثاني تيمناً باسم الرحالة اليهودي بنيامين التطيلي الذي زار العراق في القرن الثاني عشر– وسبق الحديث عنه، ونشرت انطباعات بنيامين الثاني بالفرنسية عام 1856م وبعدها باللغة الألمانية في عام 1858م وترجم كتابه الألماني إلى اللغة العبرية من قبل ديفيد غوردون واختير له عنوان (رحلات اليهود) عام 1859م (أفاريم نيهارق، رحلة إلى بلاد الشرق ص17)

(1) انظر : Eight years in Asia and Africa from 1846-1855 pg J .J. Bengamins II From Foltischeny in the Moldavia.

وذكر بنيامين الثاني في رحلته أنه يوجد في بغداد 3000 بيت يهودي وتساعد صناعتهم وعلمهم وترفهم على توسيع تجارتهم، ويسيطر اليهود على زمام التجارة وبينهم تجار كبار، (وأشغالهم واسعة النطاق مع البلاد الشاسعة، ويزاحمون الوطنيين والأجانب، وإنهم أفضل حالاً من يهود المشرق، وإنهم يعيشون في رخاء، وقال : إن ثلاثة ربانيين قلدوا سلطة القضاء ويدعونهم (جانيم) رأس القضاء الرأب يعقوب بن يوسف ومعه الراب إيلياهو عوبديا والراب عبد الله، ولا يحق لهذه المحكمة إنزال القصاص بأحدٍ، بل إنما ذلك من حقوق رئيس الحاخاميين (حاخام باشي) الذي يعينه الباب العالي لهذا المنصب، ويمثل الجماعة أمام الحكومة ويجمع لها الخراج من أبناء ملته، وو صف بنيامين الثاني أحوال اليهود، والزواج وقدم و صفاً دقيقاً لحياتهم يوم الجمعة بعد الظهر ويوم السبت، وقال: إنهم متمسكون بسبتهم، ونزل في بغداد عند عبد العزيز بن عبد الناوي، وزار مدينة الحلة وو جد هناك خمسين بيتاً من اليهود، ولهم كنيس واحد، وزار الكفل والعزير، والبصرة و قال: إنهُ و جد فيها خمسين بيتاً من اليهود، ويقول يوسف غنيمة أن هدف بنيامين الثاني من زيارته هو للبحث عن الأسباط العشرة المفقودة، وعندما بدأ رحلته كان عمره ستاً وعشرين سنة، ثم توفي في لندن بينما كان يتأهب لرحلة ثانية للبحث عن يهود الصين[1].

(1)إبراهام بن يعقوب ، مصدر سابق ص83.

بعد أن أصـدر السـلطان عبد المجيد سـنة 1856م مرسـوماً منح بموجبه اليهود والنصارى حقوقاً واسعة في إدارة شؤونهم الشخصية، وسلطة رؤسائهم الدينية، وتدبير مؤسساتهم، وتمت مساواتهم بموجب الفرمان الذي صدر مع جميع السكان، انعكس ذلك على أوضـاع اليهود في أرجاء السـلطنة العثمانية، ومن بينهم يهود العراق، ومنذ أن انتهى حكم المماليك سـنة 1831م الذين حكموا العراق حكماً مطلقاً وحتى منتصف القرن التاسع عشر، ظلت المصادر الخاصة بدراسة أوضاع يهود العراق قليلة، ومنذ انتهاء حكم المماليك حتى نهاية حكم الأتراك(1831-1917م) حكم العراق 42 والياً، وتشـير المصـادر اليهودية إلى أن أوضـاع يهود العراق قد تحسـنت كثيراً أبان حكم الولاة، وأولى الإشـارات عن تحسـن أوضـاع اليهود منذ أن بدأ الوالي الأول علي رضا باشا (1842-1831م) بفرض النظام في المدينة، وعمل على إلغاء التعصب الديني وقام بعدة إصلاحات وفي أيامه تمتع اليهود بحرية تامة (إبراهام بن يعقوب، مصدر سابق ص82).

ومنذ وقت مبكر أصـبح اليهود يمثلون قوة مؤثرة، من خلال اتصـالاتهم مع الجمعيات اليهودية وعلاقاتهم مع عواصـم دولية، فنجد أنهم قد تمكنوا من إزاحة الوالي مصـطفى نوري باشـا (1861-1860م) بعد أن قالوا : إنه يريد سـلب قبر النبي حزقيال المدفون في الكفل ومنع اليهود من زيارته، فرفعوا أصـواتهم عالياً وتوجهوا إلى الآستانة ولندن والقدس وتمت تنحيته بعد سنة من توليه الحكم[1].

(1)حاييم كوهين، النشاط الصهيوني في العراق، مركز الدراسات الفلسطينية، بغداد 1973، لم يذكر اسم المترجم، وسبق أن صدر الكتاب باللغة العبرية عن المكتبة الصهيونية بالقدس عام 1969.

وقبل إن نسلط الأضواء على جوانب حياة اليهود خلال تلك السنوات، نمر بسرعة على الولاة الذين تضايق منهم اليهود وتمكنوا من إزاحتهم عن السلطة، ومنهم الوالي العشرون مصطفى عاصم باشا (1889-1887م) فقد تحركوا باتجاه الآستانة ولندن والقدس أيضاً، ونجحوا في إزاحته، هذا ما أعلنته المصادر اليهودية، أما تحركاتهم على صعيد تغيير قرارات وإصدار تعليمات وإزاحة مناصب ثانوية ومسؤولين كبار، فهذا الأمر لا تتوفر معلومات تفصيلية عنه، ولكن يمكن استقراء ما حصل من خلال ما ذكرته مصادرهم من أنهم كانوا وراء عزل بعض الولاة وكما أشرنا إلى ذلك.

كان وضع يهود العراق جيداً في أربعينيات القرن التاسع عشر والنصف الثاني منه، حيث كانوا المسيطرين على التجارة في الدولة، وكانوا معروفين ومؤثرين في أوساط السلطة، ومنح اليهود حق السكن في أي مكان يرغبون، وحسب ما ذكره عدد من الرحالة فقد وجد في بغداد سنة 1845م حوالي 16000 يهودي وفي سنة 1854م بلغ عددهم 1300 عائلة يهودية وفي سنة 1860م 20000 يهودي وبلغ عددهم في سنة 1880م حوالي 24000 يهودي، وفي 1884م بلغ عددهم 30000 يهودي، وفي سنة 1899م حوالي 35000 يهودي.(انظر: إبراهام بن يعقوب ص85)، ولا شك أن تلك الأرقام لم تعتمد من خلال الإحصاءات الرسمية، بل إنها كانت تقدم إلى الرحالة من خلال زعامات اليهود،

وهي غالباً ما تكون تقديرية ولهذا تجد تفاوتاً في الأرقام التي ذكرها الرحالة في كتاباتهم، والتي أصبحت مراجع مهمة في دراسة أحوال اليهود في العراق وفي دول المشرق بصورة عامة.

وشكل يهود العراق في العهد العثماني قوة مؤثرة، وبتقادم السنين أصبح اليهود أقلية مهمة في العراق، وتولوا مناصب كبيرة في أجهزة الدولة (فيليب حتى، تاريخ العرب ج2 ص450)، وكانت الأقلية اليهودية تشتغل بأخطر وأهم الأعمال التجارية والمصرفية، وكانت تسعى إلى حماية أجنبية، وتاريخها حافل بتلك الشواهد، وإن الإحصاءات المهمة التي قدمتها عن الجوانب الاقتصادية إلى المقيم البريطاني في بغداد كلوديوس جيمس ريج مطلع القرن التاسع عشر، يثبت ذلك، وتؤكد الدراسات اليهودية على المنهج الذي اتبعوه في سبيل تحقيق مصالحهم، والتعاون مع أية جهة أجنبية في سبيل ذلك، ومر بنا كيف أن رياحهم تسير مع من يأتي ويتم التعامل معه بمقدار قوته، وتشير الكاتبة الصهيونية (براشاكس) التي كتبت سيرة حياة ديفيد بن غوريون أول رئيس لإسرائيل عام 1948 إلى أنه في كل فترة عاش فيها يهود العراق، كان الحنين إلى صهيون هو القوة الرئيسة التي تعتمل في نفوس التجار والحرفيين والباعة اليهود، الذين كانوا يعملون من أجل اليوم الذي سيأتي فيه المسيح المنتظر ليعيدهم إلى أرضهم.

وشهد النصف الثاني من القرن التاسع عشر توجهاً يهودياً مكثفاً نحو التعليم، وتزامن ذلك مع التحرك الصهيوني، الذي ازداد واخذ اتجاهات متعددة، تهدف في مجموعها إعداد الجاليات اليهودية في الوطن العربي والعالم إعداداً جيداً، وترسيخ المفاهيم التي جاءت في التوراة والتي تكرس الفكرة الصهيونية، ومن هذا المنطلق اتجهوا لتأسيس المدارس وتكثيف المناهج التعليمية، وفي سنة 1865م أسست جمعية الاتحاد الإسرائيلي مدرسة عامرة في بغداد عهدت رئاستها إلى رجل خبير بفن التدريس هو المسيو ماكس وإسحاق لوريون الساعاتي، ونظمت منهاجاً على مثال المدارس الابتدائية الأوربية وأدخلت فيها تعليم الفرنسية والإنجليزية من اللغات الأوربية والعبرية والعربية والتركية من اللغات الشرقية والتاريخ والجغرافية والحساب والطبيعيات وعلم الأشياء والكيمياء من العلوم الحديثة، وأخذت هذه المدرسة بالتوسع ولا سيما بعد أن شيدوا لها داراً عامرة (السر ألبرت داود سلمان)، وكان الأساتذة يأتون من لندن وباريس، واهتمت بها الحكومة العثمانية اهتماماً كبيراً وتخرج في هذه المدرسة معظم رجال اليهود في بغداد وتهذبوا فيها فنزلوا معترك الحياة.(يوسف غنيمة ص178).

تتناول الدراسات التاريخية أحوال يهود العراق، وتتوقف جميعها عند فترة تولي مدحت باشا الحكم في العراق سنة 1869م، ويذكر المؤرخون حجم الرعاية التي أولاها ليهود العراق وما قدمه لهم من تسهيلات كثيرة،كما أن كتابات اليهود تنصب على كيل المديح له،

ومن خلال بحثنا في تاريخ اليهود في الدولة العثمانية (مطر القرون- التأثير اليهودي في القرار السياسي التركي) وجدنا أن الوالي مدحت باشا من أصل يهودي وتجمع على ذلك العديد من المصادر وتؤكد أنه من يهود الدونمة (أفردنا لهذه الطائفة فصلاً في كتابنا المذكور أعلاه).

نجد إبراهام بن يعقوب يقول في (تاريخ يهود بابل ص82) أن الوالي الثاني عشر ـ مدحت باشا، قد اعتمد المساواة في الحقوق الكاملة للدولة، ومنع مهاجمة اليهود، ويقول يوسف غنيمة من ولاة بغداد الذين أفادوا اليهود في العراق مدحت باشا، وهناك الكثير من الكتابات التي تؤرخ للدعم الذي لقيه اليهود إبان حكم مدحت باشا، وكان قد شجع على تأسيس وتوسيع المدارس اليهودية، وفتح أمام التجار أبواب التعاملات التجارية مع الدول الخارجية، وليس ثمة مآخذ نسجلها على فترة حكم مدحت باشا لبغداد، ولكن لا بد من ذكر الحقائق التاريخية خاصة وأن الأحداث اللاحقة أثبتت أن رجال يهود الدونمة في تركيا هم الذين قادوا الانقلاب الذي أطاح بالسلطان عبد الحميد الثاني سنة 1909م، وهم يشكلون غالبية قيادة جمعية الاتحاد والترقي، وكشف السلطان عبد الحميد الثاني من خلال مذكراته، إن سبب عزله جاء لأنه رفض السماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين، وكان قد رفض العروض التي قدمها إليه هرتزل أثناء مقابلاته معه (انظر: أورخان محمد علي، عبد الحميد الثاني بغداد 1987).

يقول حاييم كوهين في كتابه (النشاط الصهيوني في العراق):

لقد باشر مدحت باشــا، الذي عين والياً لبغداد عام 1869، بفرض النظام والسلطة، فنجح إلى حد كبير في أن يطبق شعاره، حرية، مساواة، عدالة..على جميع المواطنين، فقمع البدو الذين استوطنوا تخوم بغداد والجنوب، وأنشــأ في بغداد مدارس حكومية. وهكذا بدأ اليهود يشــعرون بالأمن والطمأنينة، ولم يفارقهم هذا الشعور حتى عندما نقل من وظيفته في مايو/ آيار 1872م.

وفي أيام مدحت باشــا، أخذ اليهود يســكنون في مدينة الرمادي ومدينة المســيب التي تم فيها إنشاء أول كنيس عام 1778م.

وفي عام 1870م بدأ اليهود يقطنون في مدينة العمارة التي أُنشــئت عام 1861، وفي عام 1881م انتهي من إنشاء أول كنيس بها. وتم عام 1884م إنشاء أول كنيس في (قلعة صالح).(انظر: ديفيد ساسون، رحلة بابل، ص 154).

ويذكر حاييم كوهين، أنه في تلك الفترة أيضــاً، كبرت الجاليات اليهودية في الحلة والبصرـة، وأصـبح يقطن في الحلة (500) نســمة، وفي البصرـة ارتفع عدد العوائل ليصل إلى (1500) نسمة.

ويشير كوهين إلى أنه في هذه الفترة –يقصد حكم مدحت باشا– شرع في تعيين اليهود لشغل مناصب القضاة وممثلين في المجالس البلدية في أماكن عديدة من العراق، كذلك وظف عدد كبير من اليهود في وظائف حكومية(□).

ويمتدح اليهود أيضاً الوالي الثالث والثلاثين حسين ناظم باشا (1910-1911م) ويقولون: إن اليهود تمتعوا إبان حكمه بالمساواة الكاملة ولم يتجرأ أحد من التعرض لليهود.

وقبل أن نصل إلى نهاية القرن التاسع عشر لابد من عرض ما قدمه الرحالة اليهودي (أفاريم نيمارق) في رحلته إلى العراق سنة 1848م وظهرت في طبعة منقحة بقلم إبراهام يعري في القدس سنة 1947م بعنوان (رحلة إلى بلاد الشرق) (□).

يقول (أفاريم نيمارق) يوجد في بغداد نحو 130 ألفاً من إخوتنا السفارديين ولديهم نحو 30 كنيساً للصلاة وهي ذات بناء شامخ، وتشتمل هذه الكنس على 4أو5 مناطق مخصصة للصلاة، وتدعى جميعها باسم واحد، ومن وجهاء الطائفة المعروفين بو جاهتهم وثرائهم ا لحا خام يوسف كورجي، ا لحا خام حييم جباي، والحاخام يعقوب شاؤول ويقطن هناك حاخامات بارزون

(1) ظهرت ترجمة كتاب (أفاريم نيمارق) ضمن مشاريع الترجمة للدراسات العليا-قسم اللغة العبرية، بكلية اللغات، جامعة بغداد وترجمها لؤي علي حسن الدليمي عام 2000م، وهي غير منشورة.

(2) أفاريم ينمارق، رحلة إلى بلاد الشرق، بقلم أبراهام يعري القدس 1947م، ترجمة لؤي علي حسن الدليمي، كلية اللغات، جامعة بغداد 2000م، ص72.

حيث يجلسون في اليشيبات الكبيرة الواقعة ضمن الكنيس الذي يدعى بيت زيلخا المبني في الطوابق السفلى من الكنيس ويسكن كذلك القضاة في هذه الدار وفي الطابق العلوي يقيم نحو 15 حاخاماً والرباني المسن الكبير هو الحاخام عبد الله (عوبدياه) سوميخ (نشر له كتاب في بغداد سنة 1904م وذلك بعد وفاته بعنوان (الذبح الصحيح) وهناك أسماء أخرى مثل الحاخام ساسون سموخاه، الحاخام أليشع، حاخام موشيه هليل، وكان رئيس الحاخامات شلومو باخور حوتصين.

ويذكر عن أنماط الحياة، فيقول : إن أوضاع أخوتنا (اليهود) في هذه المدينة (بغداد) عجيبة، إذ أنهم ومنذ حوالي 80 سنة (كانت زيارته سنة 1848 حسب ما تشير مقدمة الكتاب المترجم، أما طبعة القدس 1931 فتقول : إن زيارته لبغداد كانت عام 1874م ولكن من الواضح أن هذا التأريخ غير دقيق لأنه ورد أن تلك الرحلة طبعت إبان الخمسينيات من القرن التاسع عشر) قد انقسموا إلى حزبين بخصوص انتخاب الحاخام الأكبر، وهما حزب الحاخاميين وحزب الأسياد، ومنذ ذلك الحين ولحد الآن فإنه قد توفي مؤسسو الأحزاب الأوائل وأن هذا الخلاف في أوج كماله حالياً، وحتى لو أنه قد يهدأ أحياناً لعدة سنوات فانه حينذاك يثار بعد ذلك من جديد وبقوة أعظم، (يعلق على ذلك إبراهام يعري عام 1947 بقوله: إن الخلاف مازال مستمراً حتى الآن).

وعند عبور نهر دجلة من جهة الغرب وعلى نصف ساعة من مدينة بغداد يوجد بناء جميل يضم في داخله قبر يهوشع بن يهوتصيدق الكاهن الكبير ويقول: إنها لظاهرة شائعة في بغداد أن ترى طفلاً من عامة الشعب يرجم اليهودي بالحجارة أو يضرب المسلم اليهودي على خده كما أن أخوتنا قد اعتادوا على هذا الأمر فلا يتقدمون بشكوى إلى القضاة الذين يقفون إلى جانب الساكن ويحكمون له ضد اليهودي حسب القضاء التركي[1]. ونجد أن (أفاريم نيمارق) يتحدث عن أحوال سيئة، يعيشها اليهود في مرحلة، تشير أغلب المصادر إلى أنهم كانوا يعيشون بصورة جيدة، خاصة بعد حكم مدحت باشا، وللدعم الذي يلقونه من أروقة القصر السلطاني في الآستانة وقادة الجيش، الذين كانت غالبيتهم من يهود الدونمة، ولا توجد مصادر تؤيد ما ذهب إليه وبالأخص في تلك الفترة.

وزار الرحالة اليهودي مدينة الحلة، وذكر أنها تقع على بعد يومين من بغداد ويقطن فيها حوالي 200 من اليهود أما الذباح والمراقب هناك فهو الحاخام موشيه وتبعد منطقة الكفل حوالي 5 ساعات عن مدينة الحلة ويوجد فيها قبر النبي حزقيال، وأقيم على هذا القبر كنيس فخم وفي إحدى غرفه توجد مغارة تدعى (مغارة الياهو)

(1) المصدر السابق ص74.

كما توجد بجوار هذا القبر 4 قبور أخرى تابعة لغاؤونيم من زمن غاؤونيم بابل، والذين اختفت أسماؤهم في الوقت الحاضر، وهذا النبي مقدس في نظر المسلمين من ساكني القرية، فكلما أصابتهم حادثة جاءوا إلى هذا الكنيس كي يصلوا فيه(□).

أما في منطقة الهندية والمسيب فيوجد في كل منهما حوالي 20 من اليهود، ويوجد في مدينة كربلاء حوالي 10 من اليهود من أصحاب العوائل(□).

مع اقتراب نهاية القرن التاسع عشر، توسعت المدارس اليهودية ففي سنة 1893م تم إنشاء جمعية الاتحاد الإسرائيلي مدرسة لتهذيب البنات، وشمل ذلك التوسع المدن الكبيرة الأخرى،

---

(1) المصدر السابق ص75.

(2) المصدر السابق ص89، عبد الله بن الرباني إبراهام سومخ، وعاش (1889-1813) وكان قد أسس بيت همدراش للربانيين (بيت زلخا) سنة (1849م) وكان يرى أن دراسة التوراة قد اضمحلت وتقلصت فأخذ عشرة شبان مختلفين من متعلمي التوراة، وبدأ بتدريسهم التوراة بحرص كبير مجاناً، وتوسع بيت همدراش الذي كان يضم في سنة 1863 ثلاثين ربانياً من المتعلمين.

ومن أبرز تلامذة الرباني سومخ كان الرباني ساسون يسرائيل (1911-1820م) وهو رباني وكاتب ترتيل وصدر له كتاب شعري بعنوان (أشعار ساسون) بغداد 1913م والرباني جبرائيل يعقوب بن الرباني اليشع جبرائيل المتوفى سنة 1876م، وصاحب كتاب (تعليم البيت) بغداد سنة 1855م، الرباني عزرا ابن ساسون عزرا، ألف أغاني شعبية لعيد البوريم، الرباني موشى بن عزرا توفى سنة 1878م والرباني شلومو بخور حصين (1892-1843) وهو تلميذ حاخام مشهور، وكاتب من الطراز الأول وكان يكتب في العديد من الصحف الخارجية مثل (هلبنون) و(المتكلم) و(الإكليل) وغيرها وألف حوالي عشرة كتب في مواضيع مختلفة وطبع معظمها في مطبعته التي أنشأها في بغداد وكان تاجر كتب وأخيراً الرباني شمعون بن الرباني أهرون أجاسي (1914-1851) وهو رباني وقبلاني وكاتب تراتيل وألف كتاب (أبناء أهرون) حول التناسخ ونشر في بغداد 1908 و(أموال شمعون) (القدس 1969).

التي تضم أعداداً من الجالية اليهودية ففي سنة 1903 أنشئت مدرسة في البصرة وفي سنة 1907م تأسست مدرسة في الحلة، وفي العام ذاته أنشئت مدرسة في الموصل وفي سنة 1910م في مدينة العمارة لوجود قبر النبي عزرا هناك، وقد ساعدت مدارس الأليانس على رفع مستوى اليهود العلمي، ومثلوا في أول مجلس مبعوثان (بعد دستور عام 1876م) وفي ثاني مجلس مبعوثان (بعد دستور 1908م) (يهود البلاد العربية، د.علي إبراهيم وخيرية قاسمية ص46).

وقد انتخب من يهود بغداد في مجلس المبعوثين سنة 1876 مناحيم أفندي دانيال فسافر إلى الآستانة وحضر جلساته.

يقول يوسف غنيمة: كان اليهود عائشين في حرية، ولم يكدر صفاء حياتهم منذ ولاية مدحت باشا إلا حادث واحد سنة 1889م في عهد ولاية مصطفى باشا، وهو حادث دفن الربان عبد الله سوميخ، فإن الطائفة أرادت دفنه في مقبرة يهوشع كوهين كادول (نبي يوشع)، إلا أن هذا الأمر لم يرق في عيون سكان بغداد من العامة، لأنهم كانوا يدعون بملك هذا المقام، فاستفحل الأمر فاضطر القوم إلى نقل رفات فقيدهم إلى مكان آخر، وتدخل عقلاء المسلمين وكبارهم وسكنوا العامة، فلم يحدث ما كان يحاذر منه وهذه ميزة مسلمي العراق فإنهم كانوا في كل حين يظهرون بهذا المظهر من الشمم مع اليهود والمسيحيين في المواقف الحرجة.

أما تلك القصة وتفاصيلها فيذكرها إبراهام بن يعقوب على الوجه الآتي يقول: توفي الرباني عبد الله سومخ في الثامن عشر من أيلول سنة 1889م وحدث جدال حاد حول موته، والذي هز اليهودية العالمية عامة ويهود بابل (العراق) والإستانة خاصة، وقد توفي الرباني متأثراً بمرض الطاعون، الذي انتشر في المدينة في تلك السنة، وقد كان يحكم بغداد حينذاك الوالي مصطفى عاصم باشا الذي كان عدواً لليهود، فحينما أراد اليهود دفن ربانيهم في ساحة قبر يهو شع الكاهن الكبير الموجود في منطقة الكرخ غرب بغداد، وحصلوا على إذن من أجل ذلك، ونظموا له موكباً كبيراً وأثناء دفنه انهال العرب بقيادة رئيس جانب الكرخ ونشب نزاع بين العرب واليهود، وبعد ذلك نجح اليهود في دفن الرباني دون أن يعرف العرب بذلك، ووشى العرب باليهود أمام الوالي وقالوا: إنهم هاجموا المسلمين وتمردوا على الإمبراطورية، وسجن الوالي جميع رؤساء اليهود والربانيين والوجهاء على حد سواء، فأرسل اليهود بطلب المساعدة من الرباني الأعلى في الآستانة ومن (جمعية الإخاء) والى أسرة ساسون البابلية في إنجلترا، واستمر الحال لمدة سنة تقريباً، وبعدها أُقيل الوالي من منصبه، وفي اليوم الرابع عشر من آيار/ مايو سنة 1892م أطلق سراح جميع المسجونين المتهمين(1).

(1) يهود البلاد العربية د.علي إبراهيم عبده، وخيرية قاسمية، ص49-50.

وقابل يهود العراق إعلان الحكومة الدستورية في الدولة العثمانية سنة 1908 بهتاف الترحيب والفرح وقاموا بمظاهرات الارتياح، وقد أثرت الأجواء الجديدة في الدولة العثمانية على يهود العراق، فاستثقلوا النفوذ الذي كان يفرضه ربانيهم من حيث الأمور المدنية، وقاوموهم في مسالة الضرائب التي يتقاضونها من ذبح الأغنام في الأسواق وألف فريق منهم جمعية وأنشؤوا لها نادياً إلا أن تلك الحركة ماتت في مهد طفولتها لأنها لم توافق منفعة الجماعة.

وبصورة عامة، فقد تمتعت الأقليات الدينية في العهد العثماني باستقلال ذاتي في الإشراف على أمورها الدينية وإدارة مؤسساتها الخيرية والتعليمية، وقد كان على رأس الطائفة اليهودية جهاز ديني ومدني، فكانت الأمور الروحية بيد رئيس الحاخامية (حاخام باشي) والإدارات الطائفية بيد أحد أعضاء أرفع الأسر، ولم يكن الحاخام باشي زعيماً روحياً بل كان في الدرجة الأولى رجل أعمال يمثل الطائفة أمام الحكومة وينقل أوامرها إلى الطائفة، وكان للطائفة في بغداد مؤسساتها الخيرية والتعليمية والدينية التي تتلقى دخلها من صندوق الطائفة وحتى بداية القرن العشرين كانت الحكومة التركية تعين سنوياً مبلغاً (يعرف ببدل العسكرية) تدفعه الطائفة كمجموعة وتعين لجنة لتقرير حصة كل فرد من هذا المبلغ، وقد أعفى القانون التركي القديم رجال الدين وأولادهم من دفع الضريبة العسكرية[1].

(1) وردت تفاصيل عن تلك العوائل في كتاب (موجز تاريخ يهود بابل) ص93.

وبمرورنا عند وجهاء الطائفة اليهودية وأغنيائهم في بغداد نستطيع أن نعطي صورة شبه كاملة عن حياة هذه الطائفة في العراق حتى نهاية الحكم العثماني، ومن أهم هذه الأسماء[1]:

1. حزقيال بن راؤيين منشي واثنان من أبنائه منشي و ساسون، اللذان انتسبا إلى اسم أمهم زبيدة و سميت عائلتهم باسم (بيت زبيدة) وأنشؤوا على نفقتهم الخاصة بيت همدراتس للربانيين.
2. يوسف بن عزرا إبراهام جباي الملقب يوسق جورجي.
3. شاؤول حي ابن الرئيس يوسف بن موشي دافيد بنيامين وابنه يعقوب، وكانا من كبار الأغنياء وقد بنيا كنيساً في بغداد.
4. إليعازر بن صالح خضوري ولد في بغداد سنة 1867 وتوفي في هونك كونك 1944، وسميت مدرسة على اسم (خدوري) في فلسطين.
5. عائلة مناحيم دانيال، وهي عائلة غنية جداً في العراق وتملك جزءاً كبيراً من مدينة الحلة، وكانوا ذا تاثير كبير على السلطات.
6. عائلة شلومو دافيد، وهي عائلة غنية جداً وبنى أحدهم وهو مئير بن إلياهو شلومو دافيد مستشفى كبيراً في بغداد سمي باسمه، وكان المستشفى اليهودي الوحيد في العراق وبنى كنيساً ضخماً في بغداد وسمي على اسمه أيضاً.

(1) المصدر السابق ص114.

وعملت تلك العوائل على إنشاء العديد من المؤسسات الخيرية والخدمات الاجتماعية والصحية وبفضلها كانت الحالة الصحية ومستوى التعليم بين اليهود فوق المعدل العام للسكان.(يهود البلاد العربية ص57)، وكانت تلك المؤسسات تقدم الدعم للطلبة الدارسين إضافة إلى العوائل الفقيرة والمحتاجين وفي سنة 1860 تأسست في بغداد جمعية لزيارة المرضى، كما تأسست جمعيات لأهداف روحانية واجتماعية مثل (ملتزمي التوراة) و(من هم في سن الالتزام) و(جمعية المفلسين) و(جمعية قديشا) وهذه الجمعية تتولى دفن الموتى وجمعية إيواء الضيوف، وتخصص هذه الجمعية لاستقبال المندوبين والزائرين الذين يأتون من فلسطين ودول مختلفة لزيارة يهود العراق ومتابعة أحوالهم، وحرص اليهود على إرسال المو فدين إلى المناطق التي تتوا جد فيها ا لجاليات اليهود ية، ومن الجمعيات الكثيرة التي أسسها اليهود في العراق، جمعية (حقوق الربانيين) و(مؤيدي التوراة) و(دارسي الشريعة) و(محبي السلام) و(بين الرجل وزوجته) و(تجهيز العروس). (وردت أسماء تلك الجمعيات في موجز تاريخ يهود بابل ص113)، ويتضح من وجود عدد كبير من الجمعيات أنها تشمل جميع مناحي الحياة، وإن الحرص على التنظيم داخل المجتمع اليهودي العراق كان منذ وقت مبكر، كما أن انبثاق تلك الجمعيات في التو سع في الدرا سة والتعليم جاءت بعد النصف الثاني من القرن التا سع عشر وهي المرحلة التي ازداد فيها التحرك الصهيوني ونشطت فعالياته.

وفي المرحلة ذاتها، نشط ميدان النشر والطباعة عند الجالية اليهودية فقد تأسست المطبعة الأولى في بغداد من قبل موشي باروخ وذلك في سـنة 1863م والتي طبعت فيها صحيفة (الناطق) و(ناطق المستقيمين) وظهرت في السنوات (1871-1863) وأسـس حميم بن راؤبين مردخاي وشريكاه موشي وأهرون فتيا مطبعة ثانية في سـنة 1866م، وطبع فيها حوالي 55 كتاباً واستمرت حتى سنة 1882م وأسست مطبعة ثالثة في سنة 1888م من قبل الرباني شلومو نجور حصين واستمرت إلى سنة 1913م وطبع فيها ما يزيد على السـبعين كتاباً، وفي سـنة 1904م أسـس الرباني عزرا دنكور (والذي شـغل منصـب الرباني الأعلى في بغداد) مطبعة رابعة، واسـتمرت لفترة طويلة وطبع فيها حوالي 150 كتاباً، وأسـس صـيون عوزير مطبعة خامسـة في سـنة 1922م باسم (الوطنية الإسرائيلية) وطبع فيها حوالي 30 كتاباً وفي سنة 1924م أسس إليشع شوحيط مطبعة جديدة وطبع فيها حوالي 50 كتاباً.(تفاصيل ذلك في المطبعة العبرية في البلدان الشرقية) (لإبراهيم يعري ج2 القدس 1940) [1].

ولا شـك أننا لا نمتلك تفاصيل الموضـوعات التي كانت تتناولها تلك المؤلفات والبحوث التي تم التركيز على طبعها، ولو اهتم عدد من الباحثين في الجامعات ومراكز البحث العلمي ودرسـوا مضـامين وتوجهات النشر باللغة العربية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر،

(1) المصدر السابق ص117.

لتبين حجم وطبيعة التوجه الصـــهيوني المبكر الذي بدأ يخاطب العقلية اليهودية، ويهيئ الكوادر المتعلمة منها في ســـبيل قيادة الطوائف اليهودية وتقبل الطروحات الصـــهيونية، التي توجها المؤتمر الصـــهيوني الأول في مدينة بال بســـويسرـا وبزعامة هرتزل عام 1897م، ونجد أنه في العراق وحده قد تم نشرـ أكثر من خمســمائة كتاب يقول عنها إبراهام بن يعقوب أن أغلبها كانت كتباً دينية، وأن هذا الرقم بالإمكانات الطباعية آنذاك وقياساً بعدد الجالية اليهودية في بغداد وبعض المدن العراقية الأخرى يعد رقماً كبيراً.

وانتشر اليهود في المدن الأخرى بالإضافة إلى بغداد، فكانت هناك أعداد منهم في الرمادي ومدينة عانة خاصـــة كما ســـبق ذكر ذلك، والفلوجة وأبو صـــيدا، وبهرز وبعقوبة فيها مجموعة يهودية قديمة، وخانقين ومندلي و شهربان، وفي مناطق الكوت والديوانية والمنتفك والعمارة في القلعة وعلي الغربي.

ومن المناطق الجديرة بالتوقف عندها، هي مدينة البصرـــة، فقد أحرزت طائفة البصرـــة المرتبة الثانية[1] بعد مدينة بغداد، وهذه الطائفة كانت غنية جداً واشـــتغل يهودها في التجارة والصـــناعة وكانت لهم علاقات تجارية مع بغداد وســـوريا وإيران والهند واليمن، وغدت تجارتهم تتعاظم وترأس الطائفة (الصرـاف باشي) الذي كان يحاكم ويعاقب بالجلد المتجاوزين على أمره.

(1)وثيقة سرية-برقم المصادر 9199 348 / 371 (F.O) سنة 1906.

في سنة 1813م وجدت في البصرة مئة عائلة يهودية وجميع أفرادها يشتغلون في التجارة وأصحاب أعمال ووكلاء وسطاء، وقد سيطروا سيطرة تامة على الحياة التجارية في المدينة، وفي سنة 1824م انخفض عددهم إلى ستين عائلة، وما أصاب المدينة أصابهم، إذ مات الكثيرون منهم بالطاعون سنة 1831م وهرب عدد منهم إلى خارج المدينة وكان الرحالة اليهودي بنيامين الثاني الذي مر ذكره سبق أن زار البصرة أثناء رحلته المشار إليها.

وانعكس افتتاح قناة السويس على تجارة العراق وبالأخص مدينة البصرة ميناء العراق الرئيسي، فنشطت تجارة يهود البصرة في ا ستيراد وتصدير البضائع المختلفة واغتنوا غنى كبيراً، وكان ذلك بعد سنة 1870م، وفي عام 1881م ازداد عددهم إلى ألف نسمة وبعد أقل من ثلاثة عقود تضاعف عددهم، ونصل إلى أول تعداد رسمي ليهود البصرة وكان عام 1920م إذ وجد فيها ستة آلاف وتسعمائة وثمانية وعشرون يهودياً.

حدثان يهوديان حصلا مع بداية القرن العشرين، كان لهما الأثر الكبير على أحوال العراق، وشمل ذلك الجالية اليهودية، وهما الانقلاب العثماني الذي أسفر عن الإطاحة بالسلطان عبد الحميد الثاني، ونشوب الحرب العالمية الأولى وألقت تلك الأحداث بظلالها على أوضاع يهود العراق، فبالنسبة للإطاحة بالسلطان عبد الحميد الثاني والذي نفذته جمعية الاتحاد والترقي في الثالث والعشرين من نيسان/ أبريل سنة 1909م

بعد أن أصر على رفض مطالب اليهود باقتطاع أرض فلسطين وتأسيس وطن يهودي هناك، ولهذا فإن اليهود والماسونيين اعتبروا يوم عزل عبد الحميد الثاني، عيداً لهم ابتهجوا به وساروا بتظاهرة كبيرة في مدينة (سلانيك) وطبعوا صورة هذه التظاهرة في بطاقات بريدية لتباع في أسواق تركيا العثمانية ولمدة طويلة. (د.أحمد النعيمي، اليهود والدولة العثمانية ص159) ولا شك أن ذلك الفرح الغامر قد وصل إلى يهود العراق، الذين كانوا مرتبطين بزعاماتهم في الآستانة ارتباطاً وثيقاً وظلت شبكة اتصالاتهم قوية، كما كانوا يتابعون تحركات هرتزل داخل الدولة العثمانية وخارجها. (زار هرتزل استانبول خمس مرات كانت على التوالي 1898،1896 وآيار/ مايو 1901 وشباط،فبراير 1902 وأخيراً تموز/ يوليو 1902).

ورد وصف لأحوال المدارس اليهودية في العراق في الوثيقة البريطانية 9199 348/ 371 (F.O) وتضمنت طلباً من السيد رامزي الممثل السياسي في جزيرة العرب إلى وزير حكومة الهند في وزارة الخارجية، كلكتا، والمؤرخة، بغداد في الثامن من كانون الأول/ ديسمبر 1906م. وطلب فيها دعماً مالياً للمدارس اليهودية في بغداد وجاء فيها: إن المدرسة اليهودية، مؤسسة مزدهرة لغاية، وتضم حوالي 500-600 طالب، وسوف تزداد هذه الأعداد بعد أن يتم استكمال الجناح الجديد الذي هو قيد الإنشاء حالياً، ويتكون كادر تدريس اللغة الإنجليزية في الوقت الحاضر من السيد سانغر (Sanger)

ويساعده بعض الطلاب المعنيين، وسانغر هو بولوني نشأ في إنجلترا، وهو على معرفة جيدة باللغة الإنجليزية. وكان قد أرسل من قبل الاتحاد الأنجلو-يهودي، أما بالنسبة للإدارة العامة للمدرسة فهي بيد الأليانس الإسرائيلي في باريس، ولذلك فإن اللغة الفرنسية هي لغة التعليم، ولكن يبدو أن مطلب تعلم اللغة الإنجليزية في تزايد، الأمر الذي سينعكس لصالح التجارة الإنجليزية ومعروف أن الكثير من مجالات التجارة في بغداد هي بيد اليهود(1).

يقول الكولونيل رامزي الممثل السياسي في جزيرة العرب التركية والقنصل العام في بغداد لصاحب الجلالة : إن الطائفة اليهودية في بغداد مرفهة وهم يملكون أفضل المساكن، وقد رفعت منافساتهم للسكن في المناطق الراقية التي يسكنها الأوربيون الإيجارات بشكل كبير، وكان لإنشاء مدرسة جيدة يديرها الأليانس الإسرائيلي دور كبير في رفع المستوى الاجتماعي لليهود، ولا أعتقد بأن لديهم أية مظالم معينة (الوثيقة البريطانية المرقمة 3717 560/ 371 (F.O) رقم 942 بتاريخ التاسع عشر من أكتوبر/ تشرين الأول 1908 بغداد).

و يذكر الدبلو ماسي الإنجليزي، أنه بعد أن قامت جمعية تركيا الفتاة بنشر مواعظها عن المساواة، راح بعض اليهود الأقل ذكاءً يظنون لبعض الوقت، بأنهم يستحقون المعاملة كأنداد من قبل المسلمين،

(1) وثيقة سرية من السير جيرارد لأوثر إلى السير إدوارد غربي رقم الوثيقة 2837 1067/ 371 (F.O) القسم 1 ، الرقم 11232 في 4 من نيسان/ أبريل 1910.

وبدؤوا يشعرون بأن لديهم ما يكفيهم من الدعم من تلك الجمعية، ولهذا السبب راح اليهود، أو بعض منهم، يُظهرون استقلالية في مواقفهم، وأن بعض اليهود أساؤوا معاملة المسلمين، بل وإنهم كانوا يقابلون العنف بالعنف، وكانوا في حالات المشاحنات يطالبون بالمساواة المطلقة مع المسلمين، أن مثل هذه الأمور لم يكن يحلم بها اليهود في بغداد، مما حدا بالناس المحافظين جداً إلى التفكير بأن هيمنة الدين الإسلامي باتت موضع تهديد من قبل تركيا الفتاة.

ويقال: إن العديد من أفراد تركيا الفتاة لا يصومون شهر رمضان، وكان البعض منهم أحمق بما فيه الكفاية ليعلن إفطاره بالتدخين في الشوارع، (وملاحظة الدبلوماسي الإنجليزي جاء تأكيداً لاحقاً عندما كشف الأتراك أن غالبية أعضاء تركيا الفتاة هم من يهود الدونمة، وتفاصيل ذلك في مذكرات عبد الحميد الثاني وما نشره القائد التركي جواد رفعت أتلخان المعاصر لتلك الحقبة).

وعن الاضطرابات المحدودة التي حصلت في الرابع عشر من تشرين الأول/ أكتوبر 1908 يذكر أنها حصلت بعد أن قيل: إن عدداً من اليهود، حضروا إلى جامع المدينة أثناء الخطبة، وحصلت بعض المشادات ويقول: إنه في حوالي الساعة التاسعة من مساء اليوم نفسه قد جاءه ترجمان الوالي ليؤكد له من طرف صاحب الجلالة بعدم حصول أي شيء خطير، وأن هناك بعض القصص المبالغ بها.

ويعلق السيد رامزي على ذلك، وقبل أن يذكر بعض الحقائق عن تلك المواجهة بقوله (يُعد اليهود من المساندين الرئيسيين للتجارة البريطانية وإن أي هجوم ضدهم سوف يمس مصالحنا،

ويبدو لي أن هناك حاجة ملحة لحكومة أقوى من حكومة بغداد، فيما لو أريد تفادي الاضطرابات الخطيرة.) وقدم ترجمان الوالي الرقم (12) عن الذين تعرضوا للضرب أو السرقة من اليهود، أما الرقم الذي قدمه رئيس الطائفة اليهودية، فكان على الوجه الآتي: جروح خطيرة (12) شخصاً، جروح بالسكاكين والخناجر والعصي من (80-100) شخص، ضرب وإهانة وتجريد من الطرابيش والملابس والمجوهرات ما يقارب الـ (2000) شخص.(الوثائق البريطانية، المصدر السابق).

في اليوم التالي خطب الشيخ سعيد بحشد من الناس وقال : إن اليهود والمسلمين وغيرهم يعيشون تحت حماية المسلمين، ويجب ألا تُساء معاملتهم، لأن ذلك يتعارض مع التعاليم الإسلامية.

ويقول الدبلوماسي البريطاني:

إن مسؤولية الشرور التي وقعت على اليهود، يجب أن تقع بشكل رئيسي على جمعية تركيا الفتاة المحلية.

وفي مجمل سرده لأوضاع اليهود وعلاقاتهم مع الآخرين يذكر في الوثيقة السرية المذكورة أن أحد اليهود أخبره أنه بين الطبقات المتدنية لليهود تقوم الأمهات بتعليم صغارهن أن مساعدة أحد الكلاب أفضل من مساعدة أحد المسلمين.

أما بالنسبة لأحوال الطائفة اليهودية وتفاصيل حياتها في مطلع القرن العشرين، وهي الفترة التي شهدت بداية أفول نجم السلطة العثمانية خاصة بعد صعود جمعية تركيا الفتاة، وسيطرتها على زمام الأمور في الإستانة،

والذي تزامن مع ازدياد نشـاط الحركة الصـهيونية، ففي تلك الأثناء وتحديداً في الثلاثين من آذار/ مارس 1910 أرسـل القنصـل العام البريطاني في بغداد سرداً مفصـلاً عن الطائفة اليهودية في المدينة وقال في رسـالته (وثيقة سرية) : إن هذه الطائفة قد تلعب دوراً مهماً في مستقبل الإمبراطورية العثمانية.

وحصـل القنصـل العام على تقرير من الأليانس (الاتحاد) الإسرائيلي العالمي والاتحاد الأنجلو-يهودي يقّر فيه عدد اليهود في بغداد بحوالي (45) ألف شـخص. ويقسـم الطائفة اليهودية إلى أربع طبقات، (ونسـبتهم غير واضـحة) وتتكون من التجار والمصرـفيين، وطبقة صـغار التجار وتجار المفرد والموظفين والطبقة الفقيرة تشكل (60) بالمائة من الطائفة والشحاذين (5) بالمائة، ويأتي معظم الشحاذين من كركوك والموصل وضـواحيها وهم في حالة سيئة جداً (الوثيقة السرية رقم 2837 استلمت في 4 نيسان/ أبريل 1910) [1].

وتتحدث الوثيقة عن كبار الحاخاميين، وأنه مزود بفرمان من السـلطان العثماني وأن هناك المجلس الكهنوتي، وهو مؤلف من ثلاثة حاخاميين لحسـم النزاعات الدينية البحت وبعض الحاخاميين يدرسـون الأدب العبري، وتقوم الطائفة بدفع رواتبهم وخلافاً للأزمنة السـابقة على ذلك التاريخ (1910) فإن رجال الدين لا يتمتعون بالنفوذ على إخوتهم في الدين اليهودي، وقد يعزو هذا إلى أثر التعليم المتفشي بين طبقات الطائفة.

---

(1) الوثيقة السابقة.

ويُعد كبار التجار وأصــحاب الأراضي من الذين يملكون رؤوس أموال كبيرة أهم الطبقة المتنفذة، ويخضع الحاخام الكبير لنفوذ هؤلاء الأشخاص، وهو، أن صحّ التعبير، ليس ســوى دمية في أيديهم، وهناك اثنان منهم وهما إلياس ودانيال، وهما كرماء جداً في الأمور المالية، والجميع أذكياء ولبقون ومفعمون بالحيوية، أما بالنسـبة للتجارة، فقد احتكر اليهود التجارة المحلية بصورة فعلية، ولا يستطيع المسلمون أو المسـيحيون منافسـتهم، وحتى كبار التجار من المسـلمين فيعزون ثراءهم إلى اليهود ذوي الكفاءة ممن وظفوهم لعدة سـنوات، وأن المواد الرئيسـية في التجارة اليهودية، هي سلع مانشستر النسيجية التي تأتي من بريطانيا. وقد جمع التجار اليهود المحليون ثروات كبيرة من استيراد هذه السلع من مانشستر وتصديرها إلى إيران وغيرها.

وقلة من اليهود يتجهون لامتلاك الأراضي، ومن أبرز مالكي الأراضي دانيال وعائلته وبعض الأفراد ويقال: إن ملكياتهم من الأراضي تســاوي حوالي (400) ألف باوند.

وبخصــوص التعليم فإن جميع ما تضــمنته الوثيقة البريطانية، هو متداول ومعروف، إلا أن ثمة نقطة لابد من التوقف عندها، وهي إنشاء مدرسة لتعليم اللغة التركية في تلك الأثناء، وهو ما لم يشـار إليه في المصـادر التي تناولت أوضـاع التعليم لدى الطائفة اليهودية، وتعليم اللغة التركية له دلالة معينة وهدف محدد، إذ قام في عام 1910 سبعة يهود من الجيل الصاعد بتشكيل لجنة وأنشؤوا مدرسة لتعليم اللغة التركية والغرض من إنشائها نشر اللغة التركية بين الشباب،

وتأهيلهم للخدمة العسكرية العليا، وتمكينهم بذلك من الحصول على مراكز الضباط وليس مجرد الخدمة كجنود.(الوثيقة البريطانية المذكورة سابقاً). ولاشك أن هذه الخطوة، تأتي امتداداً لما عمله اليهود في سالونيك وأزمير قبل تلك المدة بفترة طويلة عندما دفعوا أبناءهم للانخراط في العسكرية، حتى تمكنوا من تشكيل الاتحاد والترقي، الذي كان غالبية قيادته من يهود الدونمة. أما على سبيل ذكر المدارس، فقد كانت المدارس الوحيدة في بغداد التي تدرّس الإنجليزية هي تلك التي تُدار من قبل اليهود.

وبالنسبة للضرائب، فقد تم فرض ضريبة كبيرة على اللحوم وقبل عدة سنوات، كان قد تم الاعتراف بها من قبل السلطات التركية وهي تعرف باسم (Salielle) وأصل هذه الضريبة، هي أن الخراف بعد ذبحها يجب أن تفحص من قبل أشخاص مدربين (Shohets) مزودين بشهادة من السلطات، وتدفع الطائفة رواتب هؤلاء الأشخاص.

وفي ما يلي كشـف تقريبي لحسـاب عوائد ضرائب الدخل لدى الطائفة اليهودية، وكيفية إنفاق الأموال المستحصلة:

المدخولات	باوند تركي
1/ ضريبة الملح	2650
2/ ضريبة الدخل	800
3/ رسوم على التحقق من التواقيع وما شابه	100
4/ رسوم الزواج	180
المجموع	3730

الأنفاق	باون تركي
1/ التبرع السنوي للمستشفى	500
2/ التبرع السنوي لمدرسة الأليانس	365
3/ التبرع السنوي للمدرسة التركية الجديدة	200
4/ رواتب الحاخام الأكبر وبقية الحاخامين	
5/ الجزارين والموظفين الآخرين	1900

6/ المدرسة العبرية	
7/ مستوصف اليهود والفقراء	380
8/ مساعدة الطوائف الأخرى	185
9/ متفرقات	200
المجموع	3730

وبالنسبة للعادات والصفات العامة ليهود بغداد، يقول الدبلوماسي البريطاني، إن اليهود طموحون جداً ومجدون في عملهم، وذوو قابليات ومقتدرون وهم بارعون ودمثون ولبقون، وفي كل يوم يزدادون غنىً نتيجة للتعليم، وهناك العديد منهم يفهمون الآن أن السعادة في الحياة لا تتكون إلا من تكديس الأموال فقط، وكذلك بالعيش الرغيد في الوقت الحالي، وتروق لهم مناطق سكن المسيحيين في المدينة لأنها أنظف وأبهج نسبياً، وفي مناطق السكن المسيحية لا يمكن الحصول على منزل جديد بأقل من أربعين ليرة سنوياً. وهذا الإفراط في الإيجارات عائد إلى اليهود فقط، وهو مصدر إزعاج للمسيحيين،

لقد تفوق اليهود على المسيحيين في التعليم والمستوى المعاشي وما شابه ذلك. وهم يأملون أن تحصل بغداد الآن على أهمية متزايدة من وراء تشغيل مشروع خط سكة الحديد المقرر عبر الصحراء السورية. وهم يعتقدون بأن بغداد سرعان ما ستصبح مركزاً مهماً جداً للتجارة والسكن، وبذلك سيكونون قادرين على رمي أنفسهم في تيار المضاربات(1).

وجاء الاحتلال البريطاني للعراق الذي وصفه الكاتب الإنجليزي (R.C.Thompson) بأنه يشبه دخول الفرس في زمن كورش بابل، وكان يصف دخول القائد الإنجليزي مود بغداد في الحادي عشر من آذار/ مارس 1917 ، ولم يأت هذا الربط من قبل الإنجليز اعتباطاً، وإنما كان القصد واضحاً وهو فتح نوافذ جديدة أمام يهود العراق لبدء مرحلة أخرى في نشاطاتهم، وكان الوضع الاقتصادي أهم المؤشرات خلال تلك السنوات، فبعد أن نشطت الوسائل التجارية، أصاب اليهود الذين كانوا يستحوذون على نسبة كبيرة من التجارة، الرخاء الاقتصادي إذ حققوا أرباحاً كبيرة من تجارتهم، وقد تنفس اليهود الصعداء مع احتلال الإنجليز للمدينة (إبراهام بن يعقوب ص97) واشترك اليهود في فترة الانتداب البريطاني في جميع مؤسسات الحكومة، وأمسكوا بزمام التجارة في الدولة،

(1)د.خلدون ناجي معروف، وضع اليهود في العراق في الخمسين سنة الأخيرة (بحث مقدم لمعهد البحوث والدراسات العربية العليا) القاهرة، آذار/ مارس 1970، ص19-23)، وانظر: يهود البلاد العربية، مصدر سابق ص53.

وساعدت في ذلك نسبة كبيرة من المثقفين اليهود وخريجي مدرسة اليانس، الذين تعلموا بدقة اللغات الإنجليزية والفرنسية والعربية والعبرية أيضاً، وكان قسم من اليهود يعملون في الاستيراد حوالي (70٪) وفي التصدير حوالي (40٪) وكانت النسبة الكبيرة من اليهود، يعملون في البنوك وكان هناك الأطباء والمحامون والصيادلة وباقي المهن الحرة، وكان لشركة (نتنأل ترانسبورت) اليهودية علاقات مع جميع بلدان الشرق الأوسط.

وبعد انتهاء الحكم العثماني وفي فترة الانتداب 1921-1932م كان لليهود دورهم الكبير في الحياة الاقتصادية، فعملوا كدائنين بمبالغ صغيرة لأهل البلاد، الذين كانوا يجهلون أو يشكون بأساليب البنوك الأوربية، كما كانت لهم (بنوك) كبيرة مثل بنك (زلخا) وبنك (كريديه) وبنك (أدوارد عبودي) كما احتكروا تجارة أهم البضائع في أسواق العراق كصناعة الأبسطة والحصران والأثاث والآجر والأحذية والأخشاب والأدوية والأسلحة والأقمشة والتبغ والأرز والحلويات وكانت أكبر الشركات في بغداد (شركة خضوري وعزرا ميرلاوي) أصحابها الوكلاء الوحيدون لاستيراد دهون وشحوم شركة موبل أويل الأميركية للبترول بفروعها في البصرة والموصل وكركوك ويشكل اليهود غالبية تجار سوقي (الشورجة) و(دانيال) في بغداد[1].

(1) يوسف ميئر (يهود شفاط)، خلف الصحراء، الحركة السرية الطلائعية في العراق، إصدار معرخوت، جيش الدفاع الإسرائيلي، شعبة النشر 1973، ترجمة حلمي عبد الكريم الزعبي، جامعة بغداد، مركز الدراسات الفلسطينية كانون الآخر/ يناير 1976، ص 31-32، وكان شلومو هيلل الذي سبق ذكره قد وضع مقدمة هذا الكتاب الذي صدر بجزئين.

يقول يوسف ميئر: كانت التجارة في العراق، تخضع لسيطرة اليهود والبريطانيين وكان من بين مصانع النسيج الصوفي الأربعة في القطر مصنع واحد يملكه اليهود، كما كان من بين الشركات الأربع للنقل النهري اثنتان يملكها اليهود. أما القطاع المصرفي فقد كان يخضع للسيطرة اليهودية، وكان البنك الوحيد الذي كانت له فروع في الخارج (في بيروت ودمشق) يمتلكه أحد اليهود وهو خضوري زنخه (نسبة اليهود كانت إلى السكان حوالي 3 بالمائة فقط) [1].

يذكر حنا بطاطو: أنه لم يكن حجم الوجود اليهودي في شؤون العراق التجارية شيئاً حديث الظهور، ويشير تقرير قنصل بريطاني يعود تاريخه إلى العام 1879م، بلا لبس، إلى تمركز الكثير من عمليات بيع وشراء البضائع الإنجليزية في بغداد في أيديهم، وتقول رواية سرية أخرى صادرة عن بغداد في العام 1910 : إن «اليهود احتكروا التجارة المحلية بكل معنى الكلمة ولا يستطيع المسلمون ولا المسيحيون منافستهم في هذا، وإذا كانوا قد لعبوا في الموصل دوراً اقتصادياً ضئيلاً جداً، فقد كان جزء جيد من تجارة البصرة تحت سيطرتهم حتى العام 1920 على الأقل، وبعض الحوادث الصغيرة التي كانت تقع بين الحين والآخر كانت تدل على مدى قوة وضعهم المالي، وعلى سبيل المثال، ففي آذار/ مارس 1926،

(1) حنا بطاطو، العراق، الكتاب الأول، مصدر سابق ص 281.

عندما أعلن تاجر يهودي يعمل في تجارة المرور (الترانزيت) الفارسية أنه قد أفلس، حدث ما يشبه الأزمة الاقتصادية في بغداد، وحتى في بلدات صغيرة مثل دلتاوه وشهربان، أدى رفض تجار يهود في شباط/ فبراير 1918 قبول العملات التركية الصغيرة إلى حصول تشويش واضطراب في البازار[1].

كان للربا دور كبير في جمع الثروات الضخمة التي كدسها التجار-الصرافون اليهود، فبينما كان كثير من الملاكين يودعون أموالهم السائلة لديهم بلا فائدة قبل ظهور المصارف، كانوا هم أنفسهم يتقاضون معدلات فائدة عالية جداً، وأحياناً فادحة، ومن هذه الناحية كان مقرضو المال المسيحيون والمسلمون بجرأة أمثالهم من اليهود، وليس واضحاً ما كانت عليه معدلات الفائدة في بغداد في القرن التاسع عشر، ولكن المزارعين كانوا يدفعون في الثمانينيات من ذلك القرن ما يتراوح بين 30 و40 بالمائة في ولاية الموصل للأموال الجاهزة فوراً. وبعد ذلك بعقدين، كان الصرافون يتقاضون 24 بالمائة في مدينة البصرة، وحتى العام 1919 كان يتم تقاضي فوائد تبلغ 58 بالمائة، وتصل أحياناً إلى 100 بالمائة، من مزارعي التبغ في لواء السليمانية بطرق احتيالية. ولكن في العام 1907م، أي بعد حوالي عقد من ظهور المصارف، كان صرافو بغداد يتقاضون في العادة ما يتراوح بين 10 و13 بالمائة على حسم الكمبيالات (حنا بطاطو، العراق، الكتاب الأول ص 288) [2].

(1)حنا بطاطو، المصدر السابق، ص 288.

(2)يوسف ميئر، خلف الصحراء، الجزء الأول، مصدر سابق، ص29.

وعاش اليهود في تلك الفترة مرحلة رخاءٍ وظهرت في عام 1920م أول إحصائية رسمية عن عدد اليهود في المدن العراقية نشرتها حكومة الاحتلال وتبين أن اكبر جالية كانت في مدينة بغداد إذ وجد فيها 50000 وفي سامراء 300 وفي ديالى 1689 وكوت الأمارة 381 والديوانية 6000 والشامية 530 والحلة 1065 والدليم 2600 والموصل 7635 وأربيل 4800 وكركوك 1400 والسليمانية 1000 والبصرة 6928 والعمارة 3000 والمنتفك 160 وتبين من ذلك أن مجموع اليهود في العراق بلغ 87487 نسمة.

ولا شك أن تلك الإحصائية لم تكن دقيقة لكنها قد تكون قريبة من الواقع، والسبب أن إمكانات الإحصاء الدقيق لم تكن متوفرة في ذلك الوقت، إضافة إلى عدم وجود مؤسسات دولة بالمعنى الكامل، التي يمكنها متابعة الأمر والتدقيق فيه، وقد يكون أعداد من اليهود يترددون في ذكر انتمائهم الديني في تلك المرحلة، التي أعقبت الحرب الأولى وانتهاء السلطة العثمانية، ومع ذلك فإن ذلك الإحصاء يسجل أولى المراحل التي يمكن دراستها بصورة أكثر دقة من المعلومات التي كانت تسجل في كتابات الرحالة، الذين لا يمكن معرفة هواجسهم وأحاسيسهم وهم يسجلون معلوماتهم، كما أننا لا نعرف بالدقة أهداف من يزودهم بتلك المعلومات.

أما الإحصـاء الذي سـبق ذلك، فهو إحصـاء خاص بعدد التلاميذ من الذكور والإناث من الدارسـين في المدارس اليهودية، ومصـدر تلك الأرقام نشرـة جمعية الاتحاد الإسرائيلي لسـنة 1910 ويبين أن هناك 2719 طالباً وطالبة في المدارس وتقرير لجنة مشـارفة المدارس الإسرائيلية عن سـنة 1920-1921 وكان عددهم 5511 تلميذاً وتلميذة، ويذكر التقرير أن عدد الإناث كان 1481 (المصدر يوسف غنيمة ص185).

وفي سنة 1907، أنشأت الطائفة اليهودية في بغداد (لجنة المدارس) التي أشرفت على جميع مدارس الطائفة، وتم تغيير اسـمها بعد ذلك إلى (لجنة المدارس اليهودية) وهذه اللجنة عملت الكثير في ميدان التعليم والثقافة، وحققت منجزات كبيرة، ومنذ وقت مبكر تم إنشاء مدرسة خاصة بضريري البصر، ففي سنة 1929 تأسست تلك المدرسة التي سميت على اسم (سلاس خضوري خدوري) وكانت تضم 150 شاباً أعمى ودرس عدة مئات من التلاميذ اليهود في المدارس الحكومية ولا سيما في مدن الضواحي[□].

(1) انظر: Sylvia G. Haim, Aspects of Jewish life in Baghdad under the Monarchy. P188. إن هذا البحث الذي نعتمد بعض المعلومات التي وردت فيه مقدم إلى المؤتمر الدولي للطوائف اليهودية في الأراضي الإسـلامية المنعقد في خريف 1974 في الجامعة العربية والغرض من كتابته محاولة معرفة الظروف التي عاش فيها اليهود في بغداد.

تتركز أكثر الرسائل القنصلية منذ بداية القرن (العشرين) على الطائفة اليهودية في بغداد وتشدد على أهميتها، وكان القنصل الفرنسي قد قدر عددها سنة 1904 بـ 40 ألف نسمة وكان القنصل البريطاني قدر عددهم سنة 1910 بحوالي 45 إلى 50 ألف نسمة(انظر المجلة العربية، ع 66 في 21 تشرين الأول/ أكتوبر 1917)، والاهتمام بالطائفة اليهودية ينبع من كون هذه الطائفة تتميز بكثرة عددها وكونها متجانسة ولها أهميتها الكبيرة في حياة المدينة، وعكس العدد الكبير للطائفة أهميتها الثقافية والاقتصادية، ويعود ذلك إلى دور مدارس الإليانس الإسرائيلية وما أدخلته من طرق حديثة وفعالة في تعليم أبناء الطائفة وأعدادهم لممارسة الأعمال الشاقة[1] ويبرز دورهم الاقتصادي من خلال نشاطاتهم التجارية والصناعية والزراعية المتعددة، وقد ثبت الحاكم العسكري سنة 1919 أن عدد الأغنام التي تذبح يومياً في شرق بغداد الجانب المزدحم من المدينة، حصة القصابين اليهود 1220 رأساً، في حين كانت حصة المسلمين 60 رأساً (التايم البغدادية 24 آذار/ مارس 1919)، ويعكس ذلك القدرة الشرائية لأفراد الطائفة اليهودية في بغداد وحجم الأموال التي يسيطرون عليها، وبالتالي مدى تأثيرهم في الحياة اليومية.

(1)المصدر السابق ص 192.

في عام 1921، تقدم أحد يهود بغداد، ويدعى «هارون ساسون ألياهو ناحوم» بطلب إلى المندوب السامي البريطاني ببغداد، لتشكيل جمعية باسم «الجمعية الصهيونية» فحصل على موافقة بذلك بتاريخ 5/ 3/ 1921[1].

وعن ذلك يقول «هارون» أنه منح وكالة رسمية عن الجمعية الصهيونية في فلسطين لتشكيل جمعية صهيونية في العراق. وقامت وزارة المستعمرات البريطانية بإرسال تلك الوكالة عن طريق المندوب السامي في العراق.

وبعد مرور أيام قلائل على تأسيس تلك الجمعية أخذ هارون يدعو اليهود إلى الانضمام إليها، كاشفاً عن الوجه الحقيقي لمنظمته وقال عن ذلك: إن عملية انتساب اليهود إلى منظمته يُعد انتصاراً للوحدة الصهيونية، فسارع اليهود إلى الانضمام إلى تلك الجمعية، الأمر الذي مكن هارون من تشكيل أول هيئة عامة للجمعية من اليهود، ويُعد ذلك أول تشكيل تنظيمي رسمي للجمعية (رغد صالح الهدلة، مجلة دراسات تاريخية 1999، ص259).

(1) كتاب وزارة المعارف العراقية إلى وزارة الداخلية-ذي الرقم س/ 40 في 24/ 1/ 1935 (وثيقة لم تنشر)..وجاء ضمن هوامش دراسة رغد صالح الهدلة، من أوراق النشاط الصهيوني في العراق..معلومات تنشر لأول مرة، مجلة دراسات تاريخية، العددان 67-68 كانون الآخر-حزيران 1999، بغداد ص 258.

إن تشكيل تلك الهيئة[1]، يُعد نقطة انطلاق لعمل الجمعية التي تابع مؤ سسوها وأعضاؤها العمل على ترغيب اليهود بالسفر إلى فلسطين، وتحريضهم على الهجرة إليها، وشراء الأراضي فيها، كما أن رئيس وأعضاء الجمعية، أخذوا يشتركون في الجرائد والمجلات الصهيونية الأجنبية باسم «الجمعية الصهيونية العراقية» ومنذ ذلك الحين، أخذت الجمعية تبث الفكرة الصهيونية في العراق باسمها الصريح دون تمويه، أو تستر وراء اسم آخر[2].

إن المنعطف المهم في حياة الجمعية الصهيونية، كان عند قيام الحكم الوطني في العراق عام 1921، وتشكّل الحكومة العراقية، حيث لم يتم الاعتراف بالجمعية الصهيونية، ولم تقبل بوجودها، بل أعلمت «هارون» نفسه بأن جمعيته لم تشكل حسب القانون في العراق، ولهذا فإن كل اشتغال بهذا العنوان معاقب عليه، وأن الحكومة لا تعترف بأية جمعية قائمة من هذا القبيل ما لم يتم تشكيلها وفق قانون تأليف الجمعيات[3].

(1)تم تشكيل الهيئة العامة للجمعية الصهيونية على النحو الآتي: هارون ساسون الياهو ناحوم، رئيساً، وعضوية كل من داود نوري، أنور شاؤول، عزرا حداد، سلمان مواد، وسلمان شينا.

(2)انظر: كتاب شعبة التحقيقات الجنائية المركزية إلى وزارة الداخلية، ذي الرقم ش.ح 1648 في 10/ 10/ 1934 (وثيقة لم تنشر) ورغد صالح الهدله، مصدر سابق.

(3)رغد صالح الهدله، مصدر سابق ص 261.

إلا أن هارون ساسون وجمعيته لم يتوقفوا عن ممارسة نشاطهم الصهيوني، حتى جاء عام 1929، الذي تمكنت فيه الجمعية الصهيونية من افتتاح «مدرسة الفردوس اليهودية» في محلة «تحت التكية» وسط بغداد بجانب الرصافة، قرب الشورجة، وأصبح هارون مديراً لها حسب الإجازة الصادرة من معارف منطقة بغداد برقم 3/ 87/ 845 في 15/ 3/ 1930، فاستغل هارون فترة إدارته للمدرسة المذكورة بعقد اجتماعات الجمعية الصهيونية في المدرسة بعد أوقات الدوام الرسمي.

وفي أوائل عام 1931م، ولأجل تفعيل نشاط الجمعية، تم تشكيل فرع لها باسم جمعية «شيمش» وعين حزقيال أفندي رئيساً لها، وأخذت تعقد اجتماعاتها في منطقة التوراة في محلة تحت التكية ببغداد. وتم افتتاح مكتبة في منطقة بني سعيد ببغداد أيضاً، وأخذ أبناء الجالية اليهودية يترددون على تلك المكتبة لقراءة الصحف والمجلات والكتب العبرية[1].

وبقي هارون صهيونياً متعدد النشاطات إلى أن هاجر من العراق عام 1935، بعد أن تم اعتقاله وإطلاق سراحه بكفالة، وبهجرة «هارون» لم يبق للجمعية الصهيونية أي نشاط بعد أربعة عشر عاماً من العمل[2].

---

(1) المصدر السابق ص 263.

(2) إبراهام بن يعقوب، مصدر سابق ص106.

زاد الوضـع بين يهود بغداد اضـطراباً حين قام وزير الاقتصـاد والمواصـلات العراقي الجديد أرشـد العمري في آب/ أغسـطس 1934 بجملة تنقلات وتغييرات في وظائف وزارته، ولما كانت وزارته تضم عدداً كبيراً من اليهود كموظفين، فقد بدا وكأن الوزير قام بإجرائه ذلك متقصداً، لكي يتمكن المسلمون من تسلم منا صبهم كما يفسر ذلك (حاييم كوهين، النشاط الصهيوني في العراق، ص 146) بالرغم من أن حملة التنقلات شـملت المسـلمين والمسـيحيين (صـادق السـوداني، مصـدر سـابق ص84)، وفسر اليهود الحملة بأنها ضدهم، فعطلوا أ شغالهم ومتاجرهم لثلاثة أيام احتجاجاً على ذلك، وأعلن أرشـد العمري أن وزارته قد أوقفت التغييرات وأن ليس هناك نية لإخراج أحد.

ويرى المؤرخ العراقي عبد الرزاق الحسني أن ما حصل ساعد الصهاينة ليحفزوا اليهود على الهجرة، والادعاء بأنهم في ضـيق وعنت في العراق (الحسـني، الوزارات، ج4 ص29). وعلى أثر ذلك نشـط هارون سـاسـون، وانعكس ذلك على الهجرة اليهودية التي ازدادت بصورة ملحوظة الأمر الذي دفع السلطات إلى أخذ كفالات قدرها (خمسون ديناراً) عن كل يهودي يرغب في الذهاب إلى فلسطين.

أما الجمعيات الصهيونية التي تأسست لنشر الفكر الصهيوني العنصري والتعاليم الصـهيونية والتي كانت موجودة في بغداد بين 1930-1935 فإنها كانت تلفظ أنفاسـها الأخيرة ويشـير (حايين كوهين) إلى أنها كانت خمس جمعيات هي: جمعية الشبان العبرانيين، جمعية نشر منتوجات فلسطين، جمعية أحيعيفر (الشبيبة)،

منظمة الشبيبة العبرية وجمعية مكابي التي تختلف عن سابقاتها وهي من المنظمات الرياضية ذات الطابع والأغراض الصهيونية، ومن المرجح أنها تأسست عام 1927(صادق السوداني، مصدر سابق ص87) وكانت تمارس شتى ضروب الرياضة وبواسطة ذلك تخفي نشاطها الصهيوني، وكان فريق مكابي يتبع رسمياً إلى الجمعية الصهيونية، إلا أن هذا الفريق حل نفسه في 1933 وهاجر معظم أعضائه إلى فلسطين بسبب نمو الوعي القومي العربي في العراق وازدياد النشاط القومي المعادي للصهيونية العنصرية.

مع حلول عام 1935، بدأ التحرك المضاد للصهيونية في العراق، وكان لوجود ياسين الهاشمي على رأس الوزارة العراقية في تلك السنة ونشاطه المعروف لصالح القضية الفلسطينية وتعاطفه القومي معها كان من جملة الأسباب التي لعبت دورها في تشديد القبضة على الحركة الصهيونية ونشاطها في العراق آنذاك، فضلاً عن التعاطف النسبي الذي كان يبديه الملك غازي على القضية[1].

ولابد من الإشارة إلى أنه بعد قيام دولة العراق الحديثة 1921 توسعت نظم المدارس اليهودية وزاد عدد طلابها وقد أشار تقرير عن هذه المدارس في بغداد سنة 1930 إلى وجود عشر مؤسسات تعليمية بعضها يعود إلى القرن التاسع عشر، وبعضها إلى فترة متأخرة، أقدمها مدرسة تلمود توراة 1833

(1) يهود البلاد العربية، مصدر سابق ص60.

وفيها 27 صــفاً (2049 طالباً) وهي مدرســة للتعليم الديني مع تعليم ابتدائي بالعربية، ثم مدرســة دافيد ســاســون التي قدمها ابنة البرت إلى الإليانس 1874 وتحوي 475 طالباً فيها 12 صــفاً وتدرس فيها الإنجليزية والفرنســية إلى جانب العبرية والعربية (الفرنســية تعلم فيها جميع المواد بينما العبرية للغات والدراســات الدينية) (A.sasson,History of the Jews in Baghdad ,London , 1949 p 171). إضــافة إلى مدارس عديدة أخرى، والى جانب المدارس الابتدائية والثانوية، توجد كليات للدراسات العليا، ومدارس لتعليم البنات الأشغال اليدوية منها (مدرسة عزرا ساسون ومدرسة نوريل أسستها ربيكا نوريل) (□).

يدخل النشــاط التعليمي ضــمن ما يســميه الكاتب اليهودي إبراهام بن يعقوب بالتحفز الصـهيوني ويشـير إلى أنه خلال السـنوات (1918-1935) أصبح النشـاط الصــهيوني كبيراً في العراق وقد عبر عن نفســه ليس بامتلاك الشــكل الصــهيوني بالإسـهامات للطائفة وللصـندوق التأسـيسي- (وهو الجهاز العالي الأسـاسي للمنظمة الصـهيونية تأسـس عام 1920) ولكن سـاهم أيضـاً بتأسـيس جمعيات للشـبان ودور لنشر الصحف والمؤلفات في اللغة العربية والعبرية لأهداف صهيونية وثقافية،

(1) نشر- أهرون سـاسـون سـنة 1909 كتاباً باللغة العبرية بعنوان (قصـائد الأحياء) في ثلاثة أجزاء، وكان نائبه المحامي يوسـف إلياهو جباي، وكانوا يحثون الشـعراء اليهود للترويج لأرض إسرائيل: انظر موجز يهود بابل، مصدر سابق ص104.

وازداد نشاط الصهيونية في العراق، ودخل مرحلة أكثر حضوراً وفاعلية بعد أن تأسست في التاسع والعشرين من تموز/ يوليو عام 1920 منظمة (الآداب العبرية) لنشر اللغة العبرية وآدابها،

وفتحت نادياً عبرياً لقراءة الصحف وإلقاء المحاضرات حول مواضيع التعليم والثقافة اليهودية، وفي سنة 1921 صدرت صحيفة شهرية باسم (المستقيم) وفي الخامس من آذار/ مارس صادق المندوب السامي للعراق على تأسيس (اتحاد صهيوني لارام النهرين) برئاسة أهرون ساسون بن الرباني الياهو ناحوم وكان من رؤساء الصهاينة النشطين في العراق[1].

وبعد مدة قصيرة لم تتجاوز الثلاث سنوات، ازداد عدد أعضاء الاتحاد ليصل إلى حوالي ألف شخص، وتأسست له فروع في مدن البصرة، خانقين، العمارة، واتسع نطاق ذلك الاتحاد ليشمل اليهود في شمالي العراق، بعد أن افتتح فرعاً له في أربيل، كما تم إنشاء جمعيات عبرية وصهيونية أخرى منها (الجمعية العبرية الأدبية) تأسست سنة 1920، و(جمعية إخوان العبريين) لتوزيع الكتاب العبري، و(جمعية أبناء يهودا) و(جمعية الشبان العبريين) 1931 وجمعية رياضية باسم (مكابي) التي سبق وأشرنا إليها.

---

(1) يوسف ميئر، خلف الصحراء، الجزء الأول، ص 29.

يقول يوسف مئير: لقد تغلغل أعضاء رابطة «مكابي» في جميع المدارس اليهودية في بغداد تقريباً، ووصـــل نشـــاطها الرياضي إلى الأوج في عامي 1931، 1932، حيث وصل عدد الأعضاء المسجلين حوالي (50) عضواً. وقد حددت رابطة «مكابي» الزي الموحد لجميع اللاعبين التابعين لها –قميص أزرق وبناطيل زرقاء– وكان اللاعبون يتجولون في الشوارع في زيهم هذا دون خوف من الاعتداء، بل كانوا يعلقون شارات «مكابي» التي أرسلت إليهم من فلسطين[1].

وســاهم في التثقيف الصــهيوني وبث الأفكار التي تريدها الجمعيات اليهودية ما أسسوه من صحف ومجلات ودور نشر. فبين السنوات 1909-1948 ظهرت في بغداد ثماني صــحف أصــدرها اليهود، واحدة منها بالعبرية والباقية بالعربية وهي (المستقيم) وهي مجلة شهرية أدبية واجتماعية وتاريخية و صدرت بالعبرية سنة 1921 ورأس تحريرها تسيون الدرعي.

وفي سنة 1909 ظهرت (الزهور) وأصدرها نسيم يوسف سومخ ورشيد أفندي الصفار، وبين السنوات 1924-1928 صدرت المصباح مجلة شهرية أدبية علمية ترأس تحريرها ابن سمول و(الحصاد) صدرت 1929-1939 وترأس تحريرها أنور شاؤول وهي أسبوعية، إضافة إلى (البرهان) و(الميثاق) و(العصبة) و(بريد اليوم).

---

(1) إبراهام بن يعقوب، مصدر سابق ص103-104.

ومع أن اليهود عملوا قليلاً في السياسة بسبب وضعهم الخاص، فقد نظموا عدة صحف يومية صدرت هناك باسم المسلمين مثل صحف (الشعب) و(الحوادث) و(الزمان) و(العراق) و(الأهالي) وغيرها ومن بين الصحفيين اليهود: منشي زعرور، نعيم طويج، سليم الباسون، وجاك شاؤول وماكس داني وآخرون[1].

أما من حيث المبدأ فيمكن القول بأن أي روح صهيونية لم تكن سائدة أو مؤثرة بين يهود العراق إلا بعد سنين عديدة من بداية القرن العشرين (صادق السوداني النشاط الصهيوني في العراق ص31). وهذا ما دفع بقيادة الحركة الصهيونية إلى تكثيف نشاطاتها وتوسيع رقعة تحركها مستفيدة من المستوى التعليمي المتقدم، الذي بدأ يركز على الجالية اليهودية منذ عدة عقود قبل نهاية القرن التاسع عشر، ولهذا نجد أن هناك صهاينة نشطين برزوا من بين صفوف يهود العراق وأشرنا إلى بعض أسمائهم، وفي بداية الحرب الأولى طلب كل من أهارون ساسون وبنيامين ساسون بصورة تحريرية من المنظمة الصهيونية العالمية تخويلهما تشكيل جمعية في العراق فرعاً لمنظمة الكيرن كمث الصهيونية (وهي كلمة عبرية تعني الصندوق القومي اليهودي) إلا أن مكتبها الرئيس في كولون طلب منهما إرجاء ذلك لحين استكمال إنشاء فرع المنظمة في الآستانة[2] ولكن بقيا على اتصال مع كولون يتسلمون المطبوعات ويديمون الصلة مع ما يستجد من أفكار وتوجيهات.

(1) د. صادق حسن السوداني، النشاط الصهيوني في العراق 1914-1952، وزارة الثقافة والإعلام 1980، ص32.

(2) المصدر السابق ص34.

أما في البصرة فقد بدأ الاهتمام بالصهيونية قبيل الحرب العالمية الأولى، إلا أن أول اتصال بالحركة الصهيونية من قبل اليهودي (إسحاق) كان في اذار/ مارس 1913م حين وصلته نشرات ورسالة وكتب وأدبيات صهيونية واستفسار من برلين، حيث كان هناك مركز للصهيونية عما إذا كان هناك استعداد لفتح جمعية صهيونية في البصرة، وكون إسحاق بن إسحاق أهرون مجموعة صهيونية صغيرة ضمت حوالي عشرة أشخاص باشرت نشاطها في آب/ أغسطس 1913م وخمد النشاط الصهيوني أثناء الحرب، ولم يستعد نشاطه إلا في عام 1919م[1].

ولم يلبث النشاط الصهيوني الذي تجمد أثناء الحرب بسبب ظروفها وملابساتها، أن عاد ثانية بعدها، فعاد الاتصال بين صهاينة العراق والمؤسسات الصهيونية في الخارج إلى ما كان عليه سابقاً، ففي رسالة لأهرون ساسون، الذي زار فلسطين في أواخر 1918 إلى مسؤول صهيوني في يافا في نيسان/ أبريل 1919 جاء فيها (أننا نتشرف بإعلامكم بأن الفكرة الصهيونية قد رسخت جذورها في قلب كل واحد من أبناء طائفتنا، وتلبية لطلب الجمهور فقد قررنا أن نؤسس هنا جمعية صهيونية حتى لا يكون نصيبنا في مساعدة الشعب أقل من نصيب بقية أخوتنا، ومساعدة أولئك الراغبين في الهجرة إلى البلاد بهدف الاستيطان وإحياء اللغة العبرية في أوساط شبان طائفتنا في العراق التي يربو عددها على المائة ألف، وطلب إعلامه عن مستلزمات تأسيس الجمعية. (صادق السوداني، المصدر السابق ص35).

---

(1) يوسف ميئر، مصدر سابق، ص 24.

في ســنة 1920 وزعت 400 شــيقيل «شــهادة تمنح لمن يدفع بدل الاشــتراك في المنظمة الصهيونية العالمية، على أعضاء الجمعية في بغداد» وفي عامي 1922-1923، أرســلت إلى العراق ما لا يقل عن 5000 (شــيقيل). وقد ازداد جمع الأموال بعد الزيارة التي قام بها مبعوث الصــندوق التأســيسي ـ اليهودي «كيرن هايســود» في عام 1923 وهو بن يسرـائيلي، وقد اســتقبل من قبل الملك فيصــل الأول، وحصــل على ترخيص رسمي بتنظيم جباية لصالح الصندوق التأسيسي وكان بن تسيون يسرائيلي، قد قام بنقل شتلات النخيل من العراق إلى فلسطين[1].

احتل اليهود مناصب حساسة في الدولة العراقية بعد إنشاء أول حكومة أهلية عام 1920 فقد عُيِنَ ســاســون حســقيل، وهو من مشــاهير يهود العراق وأكثرهم خبرة ودراية وزيراً للمالية في عدة وزارات متتالية من عشرـينات القرن العشرـين، ولم يلق تعيينه اعتراضــاً من الناس،لأن علاقة اليهود بإخوانهم في المواطنة كانت حســنة، وحافظ الدســتور العراقي على حقوق اليهود، أما عمليًا فلم يكن هناك، حســب اعتراف الصــهيوني حاييم كوهين، أي تمييز ضــد اليهود فضــلاً عن أن علاقة الملك فيصل الذي اعتلى عرش العراق في آب/ أغسطس 1921 باليهود كانت طيبة وإيجابية (حاييم كوهين، النشاط الصهيوني في العراق ص23).

(1) انظر: Sylvia G. Haim, Aspects of Jewish life in Baghdad under the Monarchy. P192

وحين انعقد المجلس التأسيسي- العراقي المؤلف من مئة عضو سنة 1924 كان منهم خمسة من اليهود ممثلين الطائفة اليهودية في العراق، وحين سن قانون الانتخابات سنة 1924 تقرر أن يكون عدد النواب اليهود أربعة، واحد عن الموصل، وإثنان عن بغداد، والرابع عن البصرة من مجموع عدد أعضاء المجلس البالغ عضواً، وقد زيد العدد في قانون الانتخابات لسنة 1946 إلى 6 توزعوا على الشكل الآتي: ثلاثة أعضاء عن بغداد، 2 عضو عن البصرة، وواحد عن الموصل من مجموع عدد النواب البالغ عضواً، أما مجلس الأعيان (الشيوخ) فقد مثل اليهود فيه عضو واحد من مجموع عدد أعضائه البالغ عشرين عضواً.(انظر د.عبده وقاسمية، ص54).

وكان دستور العراق عام 1925م قد أعطى ضمانات مشابهة لحقوق الأقليات، ولأجل تطبيق هذه التعهدات صدرت عدة قوانين لتنظيم أحوال الطوائف المختلفة، وطريقة تعيين رؤسائها الروحيين، و مجالسها الطائفية، وأعمالها وإدارة أوقافها ومدارسها ومؤسساتها الخيرية، وقد نظمت شؤون الطائفة اليهودية في القانون رقم 77 لسنة 1931م، واعتبر يهود العراق أعضاء في جماعات ثلاث (بغداد،والموصل، والبصرة) وأضيف لها جماعة رابعة في ديالى عام 1932م وتتمتع هذه الجماعات بقدر كبير من الاستقلال الذاتي في شؤونها الخاصة.(المصدر السابق ص54).

ومن أجمل الحوادث التي يدونها المؤرخ في تاريخ يهود العراق، كما يقول يوسف رزق الله غنيمة، هي تلك الحفلة الشائقة الفذة، التي أقامتها جماعة اليهود في بغداد ترحيباً بسمو الأمير فيصل

قبل أن يبايعه العراقيون الملك، أقام اليهود ذلك المهرجان يوم 18 تموز/ يوليو 1921م وحضره سمو الأمير فيصل، واشترك بتلك المظاهر أعيان العراق وعلماؤه وأدباؤه على اختلاف نحلهم وتباين مللهم، وألقى الأمير خطبة في ذلك الاحتفال، وإن علاقة سمو الأمير بيهود العراق كانت متينة بشكل ملحوظ، ويكفي أن نذكر أن جلالته قد استخدم كل من قصر شعشوع وقصر مناحيم دانيال في بغداد مقراً لإقامته لفترات متباينة، وعند زيارته إلى لندن فقد كان قصر إليعازر خضوري يضع تحت تصرف الملك وحاشيته طيلة مدة إقامتهم هناك(يعقوب يوسف كوريه، يهود العراق ص29).

وفي الحفلة المذكورة آنفاً جرت مراسيم بيعة الملك بحسب تقاليد الإسرائيليين (كتاب فيصل بن الحسين، مديرية الدعاية والنشر- بغداد، 1945م) فقدم كبير حاخامات العراق إلى سمو الأمير فيصل بن الحسين نسخة من التوراة المذهبة، وقد حوت لوحاً برونزياً كتبت عليه آية التوراة المذهبة (بارك يا رب قوله، وارتضى- بعمل يديه، وحطم متون مقاوميه ومبغضيه حتى لا يقوموا) واعتاد الإسرائيليون أن يقدموا هذه الآية على لوح ثمين إقراراً للملوك بسلوكيتهم عليهم، كما أخرج الحاخامات التوراة في هذه الحفلة بمراسيم دينية، وفقاً لأحكام شريعتهم في مثل هذه المواقف ولدى مقابلة الملوك العظام.

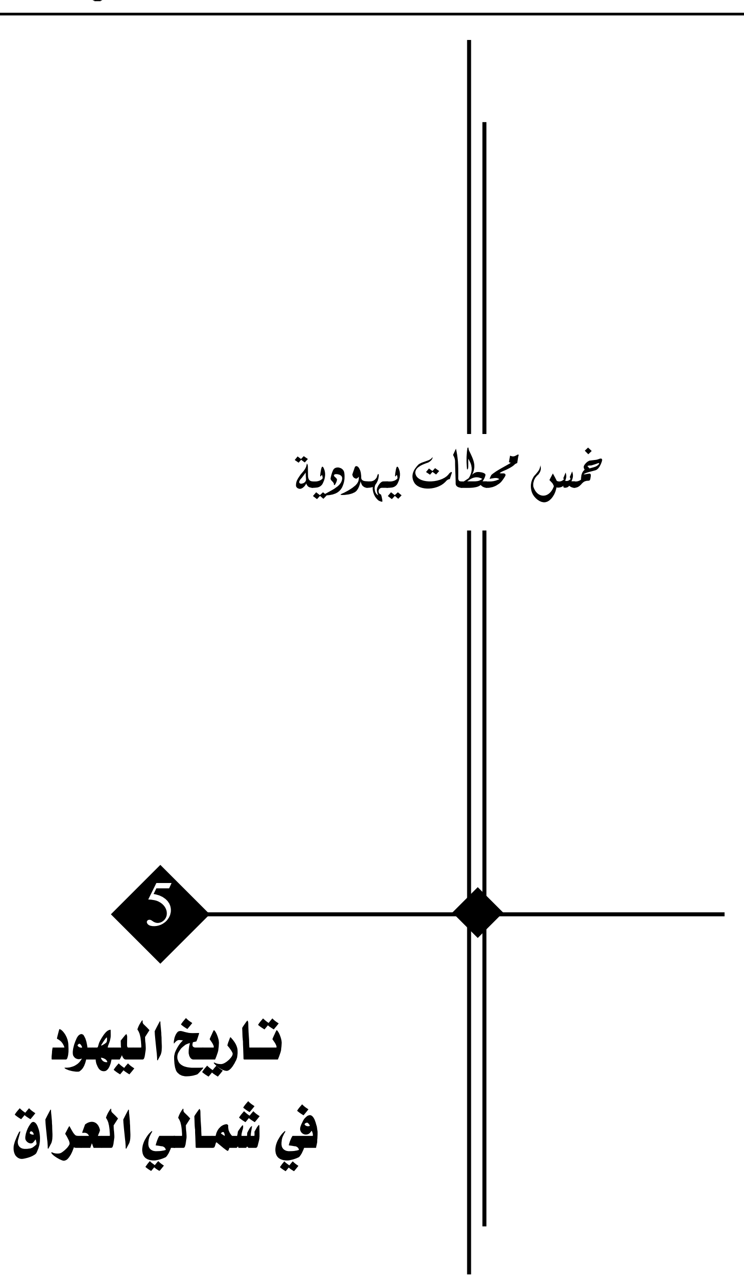
ومن بين ما جاء في خطبة الأمير فيصل قوله (أشكر أبناء وطني الإسرائيليين الذين هم عضو عامل في الأمة العراقية) وشكرهم على احتفالهم به.

أدى وفاة الملك فيصل الأول سنة 1933 إلى تغيير واضح في حياة الطائفة اليهودية، وأثناء حكومة ياسين الهاشمي، بالضبط قبل انقلاب بكر صدقي سنة 1936، كانت هناك هجمات على أفراد من اليهود، وقد أشير إلى مقتل اثنين أو ثلاثة. ويمكن القول إن تلك الحوادث كانت فردية ولا تشكل ظاهرة، إلا أن الشعور بعدم الأمان كان يتنامى، وقد حدث إضراب ليوم واحد لرجال أعمال يهود قبل أن تتخذ الحكومة إجراءاتها لإيقاف مثل تلك الحوادث[1].

ومن المراحل المهمة والحساسة في تأريخ يهود العراق، السنوات الممتدة من عام 1921م إلى عام 1952م، وهي الفترة التي شهدت تأسيس الحركة الصهيونية في العراق واتساع نشاطها، وأصبح الحديث عن يهود العراق إبان تلك العقود، لا ينفصل عن النشاط الصهيوني، والذي تمخض عنه ازدياد حالات تهريب اليهود، ولهذا سيتم التعرض إلى أحوال يهود العراق خلال الحديث عن الهجرة بشقيها السري والعلني.



(1) المصدر السابق.



خمس محطات يهودية

5

تاريخ اليهود في شمالي العراق

يســود اعتقاد واســع، لدى الكثيرين، من أن أرض العراق قد اســتقبلت اليهود للمرة الأولى في زمن الملك الكلداني نبو خذ نصر ــ عام 597ق.م وســيطر ذلك الاعتقاد نتيجة لكثرة ما يتردد اسم بابل وعلاقتها باليهود، إضافة إلى ارتباط الحديث عن وجود اليهود في بابل في ذلك الوقت، وما حصل لتلك الإمبراطورية الجبارة من انهيار، بعد أن سيطر الملك الفارسي كورش على المدينة سنة 538ق.م وما تردد عن التســهيلات التي قدمها اليهود للملك الفارسي في حربه ضــد الدولة الكلدانية، وتحدثنا عن تلك المرحلة بالتفصــيل، ولكن في الواقع كان أول تواجد لليهود في شــمالي العراق قد حصل قبل سنة من حملة نبوخذ نصر، وحصلت أول حملة سنة 732ق.م، وكان ذلك في زمن الإمبراطورية الآشــورية، إذ إن أقدم وجود لليهود في العراق، يرجع إلى القرن الثامن قبل الميلاد، وذلك عندما حرر الآشوريون فلسطين من اليهود في عدة حملات قاموا بها ونقلوهم إلى شــمالي العراق في أماكن جبلية نائية (د.أحمد ســوســة، ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق،ص20)، وبرغم توزع اليهود منذ ذلك الوقت على منطقة كردســتان بأسرها، التي تشــمل تركيا والعراق وإيران إلا أن الغالبية العظمى من اليهود ســكنوا في الأراضي العراقية، وربما كان ذلك بسبب قربها من مركز حكم الإمبراطورية الآشورية في شمالي العراق، وتقسموا على شــكل طوائف اســتقر في العراق (146 طائفة) وفي تركيا (24 طائفة) أما في إيران فكانت هناك (19 طائفة) فقط (إبراهام بن يعقوب، مصدر سابق ص120).

وتوزع اليهود داخل العراق في المنطقة الشمالية في منطقة الموصل (55 طائفة) وفي أربيل (62 طائفة) والسليمانية (10 طوائف) وكركوك (19 طائفة) واستقر يهود أكراد قليلون في منطقة ديالى وخاصة في مدينة خانقين، وهنا نعطي تعريفاً مختصراً لتاريخ الكرد الذين عاش معهم اليهود منذ العصر الآشوري حتى منتصف القرن العشرين، عندما تم تهجيرهم من العراق.

بخصوص أصل الأكراد يقول الباحث الدكتور شاكر خصباك في كتابه (الأكراد دراسة جغرافية أثنوغرافية ص504) لا يزال هناك نقاش حول ذلك وإن كان أغلب الباحثين متفقين على أنهم ينتمون إلى المجموعة الآرية، وفي ما يتعلق بأصل تسمية الأكراد (كرد) فهناك نظريتان راسختان الأولى تربط الشعب الكردي بشعب (كوتو) Guto وهم الأقوام الذين عاشوا في مملكة (كويتام) Gutium الواقعة على الضفة الشرقية من نهر دجلة، بين نهر الفرات الصغير ونهر ديالى، أما النظرية الثانية فتربط الأكراد بالكرتيين Kyrtii، وهم قوم كانوا يعيشون أصلاً في المنطقة الجبلية في غربي بحيرة (وان)، ويعتقد نولدكه Noldeke أن الكرتيين كانوا قد تفرقوا بصورة واسعة في بلاد إيران وميديا وبقية المناطق التي يقطنها الأكراد في الوقت الحاضر[1].

(1) د. شاكر خصباك، الأكراد، دراسة جغرافية أثنوغرافية، مطبعة شفيق، بغداد 1972 الطبعة الأولى ص504.

ويذكر محمد أمين زكي في كتابه (خلاصة تاريخ الكرد وكردستان ص2) أنه قد عرضت كتب التاريخ القديم ولا سيما بعد القرن السابع ق.م لذكر جميع مملكة (كوردوئين) أو لإقليم منها، وتقع هذه البلاد على ما ورد في خرائط (سير مارك سيكس) بين منابع الزاب الكبير ونهر دجلة في جنوب بحيرة (وان) وتقول (دائرة المعارف الإسلامية) إن لفظ (كردستان) وضع للإطلاق على المواطن التي سكنها ولا يزال يسكنها الكرد[1].

ويقول د.عبد الكريم قاسملو (كردستان والأكراد ص39) إن المساحة الكلية للمنطقة الكردية تبلغ زهاء 409650 كيلو متراً مربعاً تقع منها في تركيا 194.400كم^2 وفي إيران 124.950كم^2 وفي العراق 72.000كم^2 وفي سوريا 18.300كم^2،

(1) محمد أمين زكي، (خلاصة تاريخ الكرد وكردستان من أقدم العصور التاريخية حتى الآن)، ألفه باللغة الكردية سنة 1931 ونقله إلى العربية الأستاذ محمد علي عوني سنة 1936 ، مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر سنة 1939، الطبعة الأولى ص2، وكان المؤلف وزيراً للأشغال والمواصلات سنة 1925 واستمر في منصبه في وزارتي عبد المحسن السعدون وجعفر العسكري حتى 1927 وأصبح بعدها وزيراً للمعارف ثم نائباً عن السليمانية، وتقلد عدة مناصب أخرى، وله العديد من المؤلفات منها (مشاهير الأكراد) و(تاريخ السليمانية وولاتها) الذي صدر ببغداد باللغة الكردية سنة 1939.

وبخصوص أصل الأكراد يقول: ينتمي الأكراد إلى أعرق أمم الشرق الأوسط الذي يعتبر مهداً للحضارة القديمة، ولا تزال دراسة التاريخ الكردي غير وافية، الأمر الذي أوجد مختلف الآراء حول أصل الأكراد وتطورهم التاريخي، وبالنسبة لديانة الأكراد، فقد كانوا يدينون بالزرادشتيه وبعد ظهور الإسلام، ودخول كردستان (الفتح الإسلامي عام 640م) تقبله الأكراد واعتنقوه، ويتناول تفاصيل حياة الأكراد في العراق الباحث العراقي ماجد عبد الرضا في كتابه (المسالة الكردية في العراق إلى 1961) [1] ويعطي أي. أم هاملتون تفاصيل كثيرة عن طبيعة وحياة وعادات وتقاليد الأكراد في شمالي العراق في كتابه (طريق في كردستان) ولكنه لا يتعرض لليهود في المنقطة الشمالية إلا قليلاً، فيذكر في ص54 أن اليهود يعيشون مع المسيحيين في المناطق الكردية بدعة وبسلام وفي ص148 يقول: إن اليهود في شمالي العراق أحفظ الطوائف لشعائر دينهم، فلا ترى يهودياً واحداً يشتغل يوم السبت، وهم يعيشون في القرى في كنف شيوخ العشائر الكردية، ويعاملون معاملة طيبة، ووجدنا أن العديد من الرحالة والباحثين الذين كتبوا عن المنطقة الكردية في العراق، لم يتناولوا الأوضاع الحياتية والاقتصادية للطائفة اليهودية المنتشرة في القرى والمدن هناك في حين اهتم بأوضاع اليهود الرحالة من اليهود الذين سنأتي عليهم لاحقاً.

(1) ماجد عبد الرضا، المسالة الكردية في العراق إلى سنة 1961، منشورات مكتبة بغداد 1969، الطبعة الأولى ص18.

وقبل الخوض في تفاصـيل حياتهم وتعدادهم، لا بد من دراسـة المرحلة التي وصلوا خلالها إلى شمالي العراق، وذلك في زمن الحكم الآشوري، ويقسم المؤرخون العهد الآشـوري (612-911) إلى ثلاثة أدوار: دور الإمبراطورية الأولى (911-824 ق.م) والثانية (824-745 ق.م) والدور الثالث (745-612 ق.م) ويقول أندري بارو عن الآشـوريين في كتابه (بلاد آشـور نينوى وبابل): لم يكن الآشـوريون الذين ظفروا بالسيطرة على بلاد الرافدين من الوافدين الجدد إلى المنطقة قط، فالواقع أنه من بين كل الشعوب التي حكمت بلاد الرافدين خلال الألفي سنة السابقين لا يوجد أقدم منهم من يزعم انتسـابه إلى هذه البلاد، فنحن نجدهم يسـتوطنون منطقة أعالي دجلة منذ بداية فجر التاريخ، وإن رقيماً مكتوباً يعود إلى القرن الثامن قبل الميلاد، يدرج أسماء ما لا يقل عن مئة وسبعة عشر ملكاً، ومثل هذا الاستمرار يغدو أكثر وضوحاً عندما نقارنه بأحد عشر ملكاً من أكد، وبخمسة ملوك من أور الثالثة وبأحد عشر ملكاً من بابل الأولى، وحتى بالستة وثلاثين ملكاً كشياً[1].

وكان أول احتكاك بين الآشوريين وإسرائيل قد حدث في زمن شلمنصر الثالث (859-824ق.م) خلف وابن الملك آشـور نـاصر بـال الثـاني فورث عن أبيـه إمبراطورية شاسعة برهن على أنه كفء للمحافظة عليها ودعم نفوذه فيها بل وعلى توسيعها أيضاً[2].

(1) أندري بارو، بلاد آشور نينوى وبابل، ترجمة وتعليق د.عيسى سلمان وسليم طه التكريتي منشورات وزارة الثقافة والإعلام سلسلة الكتب المترجمة (77) بغداد سنة 1980 ص17.

(2) د.أحمد سوسة، ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق، مصدر سابق ص22.

ويبدو أن شلمنصر الثالث كان مشغولاً أغلب الوقت في سوح المعارك، وقد كرس واحداً وثلاثين عاماً من عهد حكمه، الذي دام خمسة وثلاثين عاماً لشن الحروب على الأعداء، فوطأت أقدام الجنود الآشوريين أماكن نائية لم يبلغوها من قبل، في أرمينيا وكليكية وفلسطين وفي قلب جبال طوروس وزاكروس وسواحل الخليج العربي (جورج رو، العراق القديم ص397) ، وفي سنة 853 ق.م خاض حرباً مع الآراميين، الذين ألّفوا اتحاداً مع بقية الممالك الآرامية وفينيقيا وإسرائيل، ومع أن هذه المعركة التي وقعت في القرقار على نهر العاصي في سورية لم تكن حاسمة، إلا أن الآراميين وحلفاءهم تكبدو خسائر جسيمة في الأرواح والمعدات وقد تمكن شلمنصر الثالث من إخضاعهم للجزية(1).

وفي منتصف القرن التاسع عشر، عثر على المسلة السوداء في معبد نمرود، وهي معروضة في المتحف البريطاني، وتتكون هذه المسلة من كتلة ارتفاعها ستة أقدام مصنوعة من المرمر الأسود تنتهي بعدة دكات تشبه الزقورة الصغيرة، دون حولها نص مسهب يقدم تعريفاً بحروب الملك، بينما تبين لنا خمسة ألواح منقوشة في كل جانب دفعات الجزية المقدمة من قبل البلدان الأجنبية المختلفة، بضمنها مملكة إسرائيل وتبين المنحوتات أن ملكها (جيهو) وهو يحبو عند قدمي الملك الآشوري(2).

(1) المصدر السابق ص23.

(2) جورج رو، العراق القديم، مصدر سابق ص396.

وفي الجهة العليا من المسلة يشاهد الملك شلمنصر الثالث بنفسه، يتلقى الجزية من شـوعه ملك (جلزام) وفي الثاني، يتلقى الجزية من يهو ملك إسرائيل في أرض عومري، ويرى الملكان ساجدين يقبلان الأرض عند أقدام شلمنصر. وهذا النص ورد في الحقل الثاني من المسلة، (الجزية من يهو التابع لبيت عومري فضة وذهب: كأس ذهبية، طوس ذهبية، كأس كبير من الذهب، أباريق ذهبية، كمية من الرصاص، عدد من الصولجانات، أدوات مصنوعة من خشب البلسام، كل ذلك تسلمت منه) [1].

ولما كان ملك يهو ملكاً على إسرائيل بين سنة 841و813 ق.م فمعنى ذلك أن شلمنصر كان قد أخضع إسرائيل للجزية طيلة مدة حكمه.

وجاء إلى الحكم تجلات بلاشر الثالث (727-746 ق.م) الذي وسع من مساحة الإمبراطورية الآشورية، ومن بين الحملات العسكرية التي قادها كانت حملته على مملكة آرام، إذ استولى على عاصمتها دمشق سنة 732 ق.م ثم توجه إلى إسرائيل، واستولى على جميع أراضيها ما عدا السامرة، وضمها إلى آشور وحمل سكانها اليهود إلى المناطق الجبلية، وورد ذلك أيضاً في التوراة وسميت بيت عومري بمملك إسرائيل (2مل 15: 29؛1 أخ 26:5) وقد عثر على مسلة آشورية، نقش عليها شرح كامل لحملة تجلات بلاشر الثالث على بلاد آرم وعلى إسرائيل [2].

---

(1)انظر Keller , The Bible as History , pp. 234-235 ود. أحمد سوسه ، المصدر السابق ص23.

(2)د. أحمد سوسة المصدر السابق ص24.

ولكثرة ما تتردد كلمة مملكة إسرائيل في سرد الأحداث التي حصلت إبان الحكم الآشوري، يناقش العلامة الدكتور أحمد سوسه هذه المسألة ويقول، : إن التوراة هي المصدر الوحيد الذي يدعي بوجود مملكة تسمى إسرائيل، كما أن المعلومات عن مملكة يهوذا والعصر الذي كان قد سمي قبلاً بمعبد الملوك (شاؤول وداود سليمان) مستقاة من التوراة وحدها أيضاً، والتوراة كما معلوم من وَضعْ الكتبة اليهود في وقت متأخر، دونت في بابل وهي مشحونة بالأساطير والمبالغات، التي لا مجال لتصديقها ويعالج قصص التوراة بتفاصيلها كمال الصليبي في كتابه (خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل، دار الساقي 1998).

وتعمدنا الإشارة إلى هذه المداخلة، لأن المرحلة التي نتحدث عنها مهمة في تاريخ يهود العراق خاصة، وتاريخ اليهود بصورة عامة، وهي الفترة التي سبقت مرحلة نبوخذ نصر، وحصلت قبل أن يبدأ حاخامات اليهود في بابل كتابة التوراة بعدة قرون، وهنا لابد من الإشارة إلى أن أحبار اليهود تعمدوا جعل تاريخ كتابة تلك الأحداث في بابل مجهولة، حتى لا يقارن الدارسون، بدقة بين الكثير من الأحداث، مع ما يحصل في ذلك الوقت من أحداث ووقائع أخرى.

ويعود ذكر مملكة إسرائيل عند الحديث عن الحملة الآشورية الثالثة على السامرة، والتي حصـلت في زمن سرجون الثاني، بعد أن حاصر المدينة القائد الآشـوري شـلمنصر الخامس (722-727 ق.م) والذي توفى بعد أن حاصر جيشـه المدينة ثلاث سـنوات، واتم خلفه سرجون الثاني احتلال السـامرة والقضـاء على مملكة إسرائيل نهائياً (2مل 9:18؛17: 6) وأضاف سرجون الثاني إلى يهود المناطق الجبلية في حملته تلك سبعة وعشرين ألفا ومئتين وتسعين شخصاً من اليهود في السامرة[1].

وعندما جاء سنحاريب بعد سرجون الثاني قرر عام 701 ق.م القيام بحملة قوية على مملكة يهوذا، ويلخص الملك الآشـوري قصـة حملته تلك في كتاباته التي أوردتها (The) Catholic Encyclopedia VoI :II. ويقول فيها الملك الآشـوري: أما حزقيا اليهودي فلم يرضـخ لسـلطتي، فحاصرت 46 مدينة من مدنه المحصـنة عدا القرى المجاورة التي لا يحصى عددها، واستوليت عليها كلها باستخدام أنواع الآلات الحربية والمنجانيق مما سـاعدنا على الاقتراب من الأسـوار واختراقها، وقد أخذنا منهم مائتي ألف ومائة وخمسين نسمة من الرجال والنساء والأطفال والشيوخ مع حيواناتهم، و(حزقيا)

(1)في عام 1843 عثر الخبير الآثاري بوتابين على أطلال مدينة (سمأل) (زنجرلي) عاصمة الآراميين في شمال غربي سورية على مسلة سرجون الثاني، نقشت عليها باللغة الأشورية وبالخط المسماري تفاصيل حملة سرجون الثاني، على السامرة.

جعلته حبيساً في أورشليم في قصره كالطير في القفص، وأحطته بأكوام من التراب للتضييق على كل من يحاول الخروج من المدينة، وقد أرسل سفيره ليتفاوض معي بشأن الجزية. ومن الجدير بالذكر أن (حزقيا) (686-715 ق.م) كان قد استنجد بملك مصر ضد الملك الآشوري ويقول يوسف رزق الله غنيمة في كتابه (نزهة المشتاق) : إن خبر حملة سنحاريب يوجد في الألواح المحفوظة في دار التحف البريطانية في الرواق الآشوري المرقم 810و811و829و840 وهي جزء من ثور من الحجر عثر عليه المنقبون في إطلال قويونجق.

ويشير د.أحمد سوسة إلى أن أورشليم لم تسقط بيد سنحاريب، إلا أن الجيش الآشوري ترك البلاد خراباً، ولم يستطع ملك يهوذا الاحتفاظ بعرشه، إلا بعد دفع الجزية واعترافه بسيادة الآشوريين.

وتعد فترة الحكم الآشوري من المراحل المهمة التي عاشها يهود العراق، لأن اليهود الذين جلبوا من فلسطين، لم يسكنوا منطقة واحدة، بحيث يكونون طائفة متجانسة لها تقاليدها وتأريخها وتجارتها وتعليمها، كما حصل بعد ذلك بالنسبة ليهود بابل، وما حصل في المناطق الجبلية أن الملوك الآشوريين، وزعوا اليهود على مناطق متعددة، ولم يكن القصد من ذلك لتفريقهم كما يذهب بعض المؤرخين، لكن يبدو أن الآشوريين أرادوا الاستفادة من هؤلاء في الزراعة، ونظراً لتعرج المنطقة في شمالي العراق ووجود الجبال الكثيرة، فقد أصبح الاتصال في ما بينهم من المسائل الصعبة في ذلك الوقت،

ومعروف أنه حتى الوقت الحاضر وبعد أن دخلت الآليات الحديثة في شق الطرق وتعبيدها داخل الجبال، فإن مناطق نائية لم يتم الوصول إليها بيسر وحتى قبل عدة عقود وكانت قرى كثيرة شبه معزولة ولا يصل إليها أحد إلا بصعوبة بالغة، بسبب ارتفاع الجبال وتشعب سلاسلها.

وظل اليهود يعملون على تتبع أثر أبناء طائفتهم، ولا شك أن وعورة المنطقة وخطورة التنقل بين أجزائها، حال دون الوصول إلى جميع اليهود القاطنين هناك، ويقول بهذا الصدد الرحالة اليهودي (أفاريم نيمارق) في كتابه (رحلة إلى بلاد الشرق) : لم يتوقف مبعوثو (أرض إسرائيل) من التعطر بعبق يهود دول الشرق في جميع العصور، وكانوا دائماً الجسر الذي يصل بين مبعدي اليهود وبين (أرض إسرائيل) ويتحدث عن مهمة المبعوث بصورة عامة من جمع التبرعات إلى جلب الكتب وإدامة الصلة الدينية، وتشير الدراسات التاريخية وكتب الرحلات إلى أن أهم رحلة تحدثت عن اليهود في الشرق، بما فيها اليهود في شمالي العراق كانت رحلة الربي بنيامين التطيلي الأندلسي، والذي قال عن يهود العمادية: إنه يقيم فيها نحو خمسة وعشرين ألف يهودي، وهم جماعات منتشرة في أكثر من مائة موقع من جبال خفتيان (وهم جبال كردستان بنواحي الموصل، كما جاء في معجم البلدان لياقوت) عند تخوم بلاد ماري ويهودها من بقايا الجالية الأولى، التي أسرها شلمنصر ملك آشور ويتفاهمون بلسان الترجوم (يقصد اللغة الآرامية الشرقية، حسب ما ذكر ذلك عزرا حداد مترجم رحلة بنيامين)

وبينهم عدد من كبار العلماء والعمادية على مسيرة يوم من تخوم بلاد العجم، يؤدي يهودها الجزية للمسلمين شأن سائر اليهود المقيمين في الديار الإسلامية وقدرها دينار أميري ذهباً، أو ما يعادل مرابطياً وثلث مرابطي ذهباً لمن بلغ منهم الخامسة عشرة من عمره، ويذكر بنيامين التطيلي وهو رحالة يهودي كما أسلفنا ما حصل في العمادية قبل زيارته بعشر سنوات (رحلته كانت 1165-1173) يقول: حصلت في ذلك الوقت فتنه داود بن الروحي، وكان هذا قد تلقى العلم في بغداد عند حسداي رأس الجالوت وعند على رأس مثيبة (نماؤون يعقوب) فتضلع بالتوراة والفقه والتلمود وسائر العلوم وبرع بلغة المسلمين وآدابهم ونبغ بفنون السحر والشعوذة، فدخل في روعه أن يعلن العصيان على ملك العجم، ويجمع حوله اليهود القاطنين في جبال حبتون ومقاتلة النصارى المتمكنين من أورشليم والاستيلاء عليها وطردهم منها، فشرع بنشر دعوته بين اليهود ويدعم دعوته بالبراهين الباطلة، كان يقول لهم: (إن الله قيضني لفتح القدس وإنقاذكم من نير الاستعباد) فآمنت به جماعة من بسطاء اليهود وحسبته المسيح المنتظر، وبعد أن وصل خبره إلى ملك العجم زجه في السجن الكبير في طبرستان (رحلة بنيامين التطيلي ص154-155).

ويروي بنيامين التطيلي قصة داود الساحر مع ملك العجم، ونقرأ بين سطور تلك القصة أن هناك اتصالات قوية ومستمرة بين الجاليات اليهودية في بغداد والمناطق الشمالية وفي إيران، وكانت هناك شبكة من الدارسين الذين يقصدون الأماكن التي توجد فيها مراكز التعليم اليهودي

برغم بعدها وصعوبة المواصلات، كما نجد أن روابط تجمع بين الطوائف اليهودية، ومن بينها الحرص على عدم إلحاق الأذى بجالية بسبب أخرى، وهذا ما تكشفه مكاتبات حاخامات بغداد إلى داود في العمادية للتوقف عن أعمال السحر التي كان يمارسها داود خشية ما يلحق من أذى بالطائفة اليهودية في إيران بعد أن هدد ملك الفرس بذلك، وهذا التهديد أورده الرحالة اليهودي بنيامين التطيلي.

وقال: إنه زار نهاوند ووجد فيها أربعة آلاف يهودي، يقيمون في أرض الملاحدة حيث الجبال المنيعة بين الحشيشيين في تلك الجبال، وقال: إن هناك تقطن هذه الجماعة التي تتبع (شيخ الحشيشيين) ويشارك اليهود أولئك حياتهم ويرافقونهم في غزواتهم وحروبهم، وهم أشداء لا يقدر أحد على قتالهم، وبينهم العلماء التابعون لنفوذ رأس الجالوت ببغداد، وهذه المنطقة تبعد مسيرة خمسة أيام عن العمادية[1].

ولا خلاف بخصوص أصل اليهود في المناطق الشمالية من العراق، وحتى أولئك المتوزعين في المناطق الجبلية في كل من إيران وتركيا، والذين يعودون جميعهم إلى العصر الآشوري، ويقول أولئك اليهود إن تاريخهم يعود إلى تلك الفترة ويؤيد ذلك Henry Field في كتابه (The Anthropology of Iraq)

(1) رحلة بنيامين التطيلي الأندلسي، مصدر سابق ص154.

مستنداً إلى ما يردده سكنة بلدة سندور اليهودية الكردية في شمالي العراق، وما تناقلوه عن أجدادهم من أنهم من أرض فلسطين، ويقول : إن يهود هذه المنطقة يحفظون صلاتهم على ظهر قلب بالعبرية من غير أن يفهموا معناها، ولم يتزاوجوا طيلة هذه المدة إلا من بين طائفتهم اليهودية الكردية وهم لا يأكلون اللحم الذي لا تتوفر فيه الصفات التي تمليها عليه ديانتهم[1].

وتشير التقاليد القديمة في المنطقة الشمالية من العراق، إلى أن اليهود هناك من الأسباط العشرة منذ زمن آشور، ويذكر الرحالة بنيامين التطيلي، أن اليهود هناك لديهم كتاب مقدس باللغة الكردية.

وفي القرن الثاني عشر الميلادي، قامت في المنطقة حركات مشيحانية لمناحيم بن شلومو بن روحي دوكي، ولدافيد الروئي، ومنذ بداية القرن السادس عشر، كما يذكر إبراهام بن يعقوب (موجز تاريخ يهود بابل ص120) وُجِدَ ربانيون من عوائل أدوناي ومزراحي ودوكي وحريري وغيرها، اهتم عدد منهم في الخيالات العلمية ورويت عنهم أساطير مختلفة، ومعروف لدينا حوالي ثلاثين شاعراً دينياً وشعراء من سكان الموصل والعمادية وحرير وزاخو، ألفوا أكثر من مئة وثمانين قصيدة دينية ودنيوية باللغة العبرية والآرامية

(1) لمزيد من التفاصيل عن ذلك انظر: H . Field , the Anthropology of Iraq II , NO .2,Kurdistan.Vol . xlvl , 1952 ,PP .71-72. ود. أحمد سوسة المصدر السابق ص34.

ومن البارزين بينهم: الرباني شموئيل بن نتنال اللاوي برزاني وابنته أسنت التي كانت رئيسة يشيبة في الموصل في بداية القرن السابع عشر، والرباني فنحاس بن الرباني إسحاق حريري، وابنه الرباني جرشوم بن الرباني رحميم والرباني شمعون بن الرباني يونا مزراحي، والرباني باروخ بن الرباني شموئيل مزراحي صاحب قصائد (الصفوة) [1].

وتعد رحلة بنيامين الثاني الذي سبق وتحدثنا عنها، هي الأولى بعد رحلة بنيامين التطيلي في القرن الثاني عشر وكتب في مقدمة كتابه (منذ أيام الرحالة المشهورين التطيلي والرباني فتحيا ولغاية اليوم، لم يتذكر شخص من إخواننا أبناء اليهود من مواطني أوربا أن يتوجه نحو دراسة أثار جاليات اليهود في دول الشرق وما وراء البحار ويقول في (ص16 من الطبعة العبرية) من كتاب (رحلة إلى بلاد الشرق) قررت في فكري أن اجتاز ثانية جبال كردستان التي لم تطأها منذ زمن قديم هناك قدم رجل أوربي.

ويقول بهذا الشأن (أفاريم نيمارق):لقد ذهب إلى هناك-يقصد شمالي العراق- بعض الحاخامات من القدس، لكن غالبية مثل هؤلاء الرحالة كانوا يذهبون ولا يرجعون مرة أخرى، لأنهم يموتون في الطريق من شدة التعب والعناء أو من قبل اللصوص، وفي عام 1768م توجه الرباني مردخاي بن اليعزر سيدون وأخوه الرباني موشيه سيدون في بعثة صفد إلى إيران وكردستان،

(1)إبراهام بن يعقوب، مصدر سابق ص121.

وتعرض الأول لسرقة من قبل أحد اللصوص فوصل خالي الوفاض إلى منطقة العمادية، فكتب يهود العمادية إلى يهود الموصل ليكونوا عوناً له، وجاء في الرسالة (لقد حل بنا بلاء، سماحة ا ستأذنا الرباني مردخاي سيدون الذي جاء مرتين في بعثة إلى مدن إيران قد خرج له لصوص في الطريق فسرقوه ولم يتركوا له نقوداً أو ما يساوي النقود إضافة إلى الوثائق التي كانت بحوزته، وجاء إلى مخيمنا وعملنا معه خيراً، وكان يريد أن يرجع إلى (أرض إسرائيل) ونحن لم نقبل حيث قلنا له كيف ترجع إلى البلاد بأيد فارغة، وتوسلنا إليه من أجل كتابة هذه السطور إليكم) [1].

وحسب ما يذكر (أدم متز) فإن الرابي بتاحيا، الذي زار العراق بعد بنيامين التطيلي بنحو عشرين عاماً قدر عدد يهود العراق بستمائة ألف، ويقول: هناك يهود في جميع المدن والقرى، التي تقع على نهر دجلة، ويقول كذلك كان في الموصل سبعة آلاف وفي مدينة حربة أقصى- الشمال خمسة عشر- ألفاً وفي عكبرى وواسط عشرة آلاف، ولكن من العجيب انه لم يكن يوجد في بغداد إلا ألف يهودي (ويشكك آدم متز بهذا الرقم) وكانت المدن التي بها يهود كثيرون على الفرات في الحلة وكان بها عشرة آلاف والكوفة وكان بها سبعة آلاف، والبصرة وكان بها ألفان [2].

(1) أفاريم نيهارق، مصدر سابق ص8.

(2) آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار الكتاب العربي، بيروت 1967، ص83.

وضــمن هذا الإطار من النشــاطات اليهودية، كانت جولات المبعوثين، الذين كانوا غالباً ما يتظاهرون بأنهم رحالة يهمهم تسجيل مظاهر الحياة وتقاليد الشعوب وعادات الأمم، ولكن في الحقيقة كانت لهم أهدافهم المحددة، وفي ما يتعلق بالمنطقة موضوع الدراسة، فإنّه خلال السنوات (1789-1788) كان في شمالي العراق ما لا يقل عن أربعة مبعوثين من القدس والخليل وطبرية، ويقول عنهم أفاريم نيمارق، إنهم وصــلوا إلى غاية العمادية ولم يتجرأوا على الدخول إلى أعماق مناطق الجبال، وبسـبب ذلك فقد أرسـلوا مبعوثين ثانويين من اليهود المحليين، أو أرسـلوا رسـائل من الطوائف المنتشرـة على وجه المعمورة، وكان أحد هؤلاء المبعوثين الرباني أهرون إشكنازي مبعوث طبرية، الذي عين كمبعوث ثانوي ليهود العمادية، لكنه وصل إلى مدينة (نيروا) فقط وخاف أن يذهب مرة ثانية لأنه وكما يقول: (أرعبوني وقالوا لي بالتأكيد سيسرقونك) ولهذا لجأ إلى الرسائل طالباً التبرعات، وكتب مبعوث آخر من مدينة العمادية إلى طائفة (كالا) قائلاً: أنا مبعوث الخليل ليت أن يعاد بناؤها وإنشاؤها في أيامنا بسرعة آمين وشرح لهم مخاوفه من السفر إليهم بسبب مصاعب الطريق ووعورته وكثرة الجبال وختم رســالته بالقول: أرجوا من قداســتكم أن تتشـجعوا كالأبطال لتخصـيص أموالكم هبة للرب ومن أجل مدينة الخليل، لأنكم ومنذ نحو 20 ســنة لم تعطوا بروطاً للطائفة المذكورة ويحذر الذين قد يمتنعون عن التبرع بقوله: بأنهم سيقاطعون وينعزلون عن طائفة اليهود.

وتأكيداً لما أشرنا إليه، نجد أن هناك تدقيقاً في التواريخ والمبالغ التي يتم التبرع بها، ولهذا يشير المبعوث إلى مرور عشرين عاماً، دون أن يتبرع اليهود في تلك المنطقة، ويدلل التحذير على أن الروابط في ما بينهم بقيت قوية برغم الأماكن النائية والمنعزلة التي كانوا يعيشون فيها بين الجبال الكثيرة.

وفي مدينة أربيل وتحديداً في عام 1848 م توفي المبعوث اليهودي الرباني فتحيا، وصادفت وفاته في ذات السنة، التي زار فيها بنيامين الثاني مدينة أربيل وكتب عنه يقول:

(توفي في هذه السنة الرباني فتحيا في أربيل والذي كان قد جاء إليها مع وفد أبناء اليهود الساكنين في القدس، وذلك من أجل جمع الهبات من أغنياء المدينة لصالح إخوانهم الفقراء في القدس) وقال انه قد تم حفر قبره وأخرجت جثته والقوها في إحدى الحفر، فذهب اليهود إلى القبر وملؤوه بالتراب ولم يتجرؤوا على عمل أكثر من هذا بأنفسهم[1].

وإذا كانت الأخبار تذكر أن هناك مبعوثاً أو اثنين، فنجد بنيامين الثاني يذكر، أن وفداً كان في أربيل من يهود القدس، وهذا يعني أن اليهود كانوا ينظمون حملات لتفقد أبناء طائفتهم في شمالي العراق ولجمع التبرعات وتعميق ارتباطهم بالفكر اليهودي.

(1)فاريم نيهارق، المصدر السابق ص11.

في عام 1854م، أي بعد ست سنوات من زيارة بنيامين الثاني، كان مبعوث طبريا الرباني نسيم حنوخاه في كردستان وإيران وفي عام 1867 أصبح مبعوث طبرية إلى تلك المناطق، وبعث بر سالة من أربيل في تلك السنة إلى جمعية(كل اليهود أصدقاء) في بغداد، يصف فيها معاناة يهود أربيل على أيدي الجيران وطلب أن تسعى الجمعية للدفاع عنهم[1].

وهناك مبعوثون آخرون كثر، من بينهم الرباني دافيد دبيت هليل الذي زار شمالي العراق عام 1826 إضافة إلى مناطق أخرى من العراق وإيران. وما ألفه من كتب الطبيب اليهودي البوهيمي الأصل الدكتور يعقوب إدوارد فولق، الذي زار المنطقة ثم استقر في طهران (1855-1851).

في عام 1884 زار الرحالة اليهودي أفاريم نيمارق مدينة الموصل، واستناداً إلى المعلومات التي حصل عليها من السكان، بصورة خاصة من رئيس الجالية اليهودية هناك، يذكر أن في مدينة المو صل ألف يهودي، ولهم كنيسان كبيران، ويلاحظ الزائر هناك كأنه يقف على حدود مدينة بابل، لأن أساليبهم وملابسهم وعمائم رؤوس أبنائهم الكبيرة وأيضاً لكنة لغتهم العربية وبناء منازلهم يتم وفق النظام البغدادي، وهي تختلف تماماً عن أساليب إخوتهم في ضواحي حلب.

(1)نشرت الر سالة في (هماكيد) السنة الثانية عشر، ع4 (منذ يوم 26 طيبت لسنة 1768) كما ورد ذلك في هوامش كتاب (رحلة إلى بلاد الشرق) ص11.

ومن وجهاء المدينة الحاخام يعقوب موســى، وكبير الحاخامين هناك أهرون برزاني، يوجد في المدينة حرفيون وصناع يهود،

ولكن عدد الحرف التي يشتغل بها السكان عموماً واليهود خصوصاً تعتبر قليلة. لا أخطئ إذا قلت أن الشخصية الكردية أو شخصية الناس غير المثقفين تسود أرجاء المدينة الكبيرة. وعلى بعد ساعة من هذه المدينة يرى السكان قرية نينوى التي تضم قبر يوناه بن متي (النبي يونس) الذي أقيم عليه مســجد للمســلمين وهو آية في الجمال. وينتقل الرحالة اليهودي إلى مدينة أربيل فيقول عنها: إنها تبعد مسافة يومين عن الموصــل ويوجد فيها حوالي 200 يهودي وبينها وبين كركوك مســافة يومين أيضــاً، ويوجد فيها 400 يهودي ويشــاهد ســكان كركوك قبري حنيناه ميشــال وعزراياه.أما اليهود ساكنو الجبال –يقصد المناطق الأخرى في شمالي العراق– فمنهم من يسكن مدينة السليمانية وفيها حوالي 200 بيت يهودي، كويسنجق وفيها 120 بيتاً يهودياً وراوندوز حوالي 120 بيتاً، وتضــم شــقلاوة 10 منازل، وفي بيت واتاه حوالي 20 أما عقرة فتضــم حوالي 100 منزل، ســوســا حوالي 50 منزلاً، ســيند فار حوالي 100 بيت، وتحتوي دهوك على حوالي 100 بيت أيضاً، لغة هؤلاء اليهود هي اللغة الجبلية، وهي قريبة جداً من اللغة الآرامية، أما وضــع اليهود الروحي هناك فهو في أسوء حال، فمنهم من يعيش في وضع بدائي بكل ما تعنيه هذه الكلمة، وعلى بعد يومين من كركوك تقع مدينة طوزخورماتو

والتي يقطن فيها نحو عشرين يهودياً، ومن هذه المدينة مسيرة يومين حتى يصل المسافر إلى كفري وفيها نحو 50 يهودياً ومن هناك مسيرة يومين إلى خانقين أو حجي قارا وتقع قريباً من إيران وفيها نحو 80 يهودياً، وفي مناطق شهربان، بعقوبة ومندلي فيوجد تقريباً نحو 10 أو 20 يهودياً[1].

يقول نيمارق: سكن يهود كردستان منتشرين في حوالي مائتي مدينة وقرية بين العرب والأكراد والأتراك والإيرانيين وطوائف دينية مختلفة يكره بعضها بعضاً. مثل الكلدان والنساطرة (الآثوريين) و(اليعاقبة) و(اليزيدين) و(طائفة الشبك) [2].

ويذكر إبراهام بن يعقوب، أن اليهود في تلك المناطق، قد تعرضوا للاضطهاد دون أن يستند في ذلك إلى واقعة أو مصدر معين، وإنما يسير في كلامه مع ما درج عليه الكتاب والمؤرخون اليهود من زج كلمة اضطهاد اليهودي أينما وجدوا مكاناً لتلك الكلمة، والتي أصبحت بفعل ذلك الزج مألوفة لدى القراء أينما وجدوا كتابات عن حياة اليهود في مختلف بقاع الأرض. ويضيف الكاتب اليهودي قائلاً: لقد أخذت منهم أموالهم بالقوة ولكي يقووا موقفهم فقدا ضطروا إلى إيجاد حماية في ظل رؤساء العشائر الذين سموا باسم (الأغوات) وكان (الأغا) قوياً ويتسلم ضرائب ثقيلة من اليهود الموجودين تحت حمايته،

---

(1) أفاريم نيمارق، مصدر سابق ص69.

(2) طائفة الشبك: هم من بقايا فلول جيش نادر شاه الشهير بـ(طهماسب) الذي حاصر مدينة الموصل عدة أشهر، لكن شجاعة أبنائها منعته من أن يحتلها وبقي هناك عدد من أفراد جيشه المتقهقر فاستوطنوا في بعض القرى ولغتهم هي الفارسية، انظر هوامش موجز تاريخ بابل، مصدر سابق ص121.

بالرغم من أنه لم يأت دائماً لمساعدتهم في وقت الضيق، وأحياناً كان يدعوهم عبيداً وجواري، ويرسم صورة أكثر قتامة فيقول، : إن اليهود كانوا في كل مذبحة هم الضحايا دون أن يذكر تلك (المذابح) وحجم (الضحايا) من اليهود. ويقول كانوا يضطرون إلى الارتحال من مكان إلى آخر بسبب وضعهم الأمني المهزوز، كما أن وضعهم الاقتصادي لم يكن مزدهراً، حيث عاش معظمهم بفقر وفاقة. وعمل المتمدنون منهم بالأساس في التجارة والصناعة : نساجين و صباغي أقمشة و صاغة للفضة والذهب ونجارين واسكافيين ودباغي جلود ومصرفيين وحمالين ومجصصين وبنائين ومزارعين وسراجين وخياطين وحياكين ورمائين وأعمال وضيعة وما شابه ذلك، كان اليهود أيضاً أصحاب أملاك وفلاحين، وقسم منهم ارتزقوا كختانين وقصابين ومراقبين ومعلمين، وعمل المزارعون اليهود في تربية البهائم وإنتاج الرز والسمسم والعدس والتبغ وما شابه ذلك. (موجز تاريخ يهود بابل ص122).

أحياناً كان لهم بساتين وحدائق وقطعان من الضان والبقر، ولقد وجدت قرى فلاحية كان جميع سكانها يهوداً مثل سندور وتل كبار و سندوخا وغيرها، وتنقل الكثير منهم يومياً للممارسة التجارة إلى المدن القريبة، ويعودون إلى بيوتهم وقت الغروب.

وفي وقت الشحة والمحنة ينتقل معظمهم إلى مدينة بغداد، ويبحثون عن عمل كخدم في بيوت الأغنياء ولقد عرف عن اليهود الأكراد أنهم أصحاء وأقوياء ومؤهلون لكل عمل قاس،

ومن هذا المنطلق نجد أن الدعوة الصهيونية استخدمت جميع وسائل الإغراء والعطف الديني لحث يهود شمالي العراق على الهجرة إلى فلسطين منذ وقت مبكر، وكان ذلك قبل الحرب العالمية الأولى، لاستخدامهم في الأعمال الزراعية لقوتهم وخبرتهم في هذا المجال، وجرت محاولة لتوطينهم في مستعمرات الجليل وعمل بعضهم مع الهاشومير الأوائل. (د.عبده وقاسمية، يهود البلاد العربة ص69).

ويتحدث إبراهام بن يعقوب عن الجوانب الروحانية لليهود في شمالي العراق فيقول : أنها تركزت بالأساس حول الكنس التي منها ما هو قديم جداً إثنان منذ السنوات 1210-1228م، وغالباً ما يكون على رأس الطائفة (رئيس) ويسمى أيضاً حاكماً أو رئيساً، إلا أن هذا المنصب ألغي في القرن التاسع عشر، بعد ذلك ترأس الطائفة كلها (الحاخام) الذي كان خزاناً وواعظاً وجابياً وختانا وذباحاً ومراقباً، وكتب بعض منهم تعويذات وأحاجي، كانت جماعات صغيرة خاضعة لجماعات كبيرة في مختلف شؤون الدين والحكم،

وكانوا يتوجهون إلى الرباني في بغداد، وكان التعليم في المناطق الشمالية معتمداً على تعليم التوراة، وافتتحت شركة (كل إسرائيل رفاق) مدارس في مدن الموصل سنة 1900و1906م وفي مدينة كركوك سنة 1912.

وكانت لغة التحدث ليهود كردستان هي الآرامية المتداخلة مع كلمات فارسية وتركية وكردية وعربية وعبرية، وقد سميت بأفواههم بأسماء (لشون ترجوم) و(ليشنا يهوديا) و(لشون الجالوت) و سماها العرب (جبلي)، ويعني: الجبلي، بسبب أن من تحدث بها بالأساس هم سكان الجبال، ويقدر الباحثون عدد المتحدثين بهذه اللغة بين 15-20 ألف نسمة (حسب تقديرات عام 1970م) [1].

وهناك بجوار (ساسون) تقطن عشيرة صغيرة يطلق عليها اسم (بالكي) لا هي مسلمة ولا هي نصرانية تتكلم لهجة غريبة جداً، وهي عبارة عن خليط (كردية، عربية، أرمنية) وهنالك أيضاً في جهات عديدة بكردستان، يقطن بعض من العشائر والجماعات الغربية، وهم في الأصل سلالة هؤلاء الفارين المعتصمين بشوامخ الجبال الكردية، حيث عاشوا فيها إلى أن اندمجوا في الكرد وصاروا أكراداً مع احتفاظهم ببعض كلمات من لغتهم الأصلية في لغتهم الحديثة التي يتكلمون بها الآن وهي الكردية[2].

وهناك لغة عجيبة في قضاء (سعرد) يتكلم بها أهالي تلك البلاد، ويشوبها كثير من الكلمات الآرامية يطلق عليها تارة اسم (كاوار ناي) أو لغة (كوار) وكلمة (كوار) هذه تطلق على قضاء على مقربة من الحدود ببلاد (الهكارى)

(1) موجز تاريخ يهود بابل، مصدر سابق ص122.

(2) محمد أمين زكي، مصدر سابق ص22.

وهذه اللهجة عبارة عن خليطة كردية كلدانية، والظاهر أنها كانت لغة قدماء نصارى تلك الجهات، الذين اعتنقوا الإسلام في ما بعد، وهناك تفاصيل عن جهات كثيرة منها (مكري) ولغة (الظاظا) [1].

وفي إشارة إلى تأثير اليهود في بعض الطوائف في المنطقة الشمالية، يقول الميجر راولنسون: إن بعضاً من أقسام عشيرتي الكلهر والكوران والعشائر المجاورة لهما، ينتحلون عقيدة فيها شيء من الديانة اليهودية، ويشير إلى أن الكلهريين أنفسهم، يزعمون أنهم يسكنون هذه المنطقة من قديم الزمان وأنهم من سلالة (رهام) الذي ما هو إلا (بختنصر) فاتح المملكة اليهودية الشهير، ويوجد بين الكلهريين أسماء يهودية بحت، ويقول العلامة الكردي محمد أمين زكي بك الوزير العراقي في كتابه (خلاصة تاريخ كردستان سنة 1931 ، ص308) في الواقع إذا كان منفى اليهود هي منطقة الكلهريين الحالية هذه، فلا يستبعد أن يكون ذلك سبباً قوياً في تسرب شيء كثير من العقائد اليهودية إلى السكان المحليين [2].

ويذكر محمد أمين زكي بك، أنه ليس من البعيد أن جبل (هفتون) الذي بنى بنيامين (يقصد الرحالة اليهودي بنيامين الثاني) بيعة له (سيناغوغوزة) أن يكون جبل (زاغروس) كما انه ليس من المنكر أن يكون (هفت تن)

(1) المصدر السابق ص399.

(2) محمد أمين زكي، المصدر السابق ص308.

على الإلهيين مقتبساً من (هفتون) بنيامين، الذي يعترف بنفسه أنه رأى (50.000) أسرة يهودية تسكن هذه المنطقة (المصدر السابق ص309) ويقول المستشرق راولنسون عندما تكلم عن عقيدة (لوربزرك) أي البختياريين، إن هؤلاء الناس مسلمون غاية من بساطة العقيدة وضعف المذهب، وأما (اللورا الصغير) فعقائدهم في غاية من الغرابة والإبهام، وليس لهم كبير علاقة واهتمام بالإسلام، ولهم طقوس دينية غريبة جداً ومع ذلك فانهم يخضعون للإسلام في أكثر المبادئ والأحوال، ويذكر المستر (ماكدونلد كينز) معلومات كثيرة وقيمة عن الاحتفالات الليلية لمن يسمون (شمع كشان- حملة الشموع) والتي استمرت حتى أواسط القرن الثامن عشر [□].

يذكر الأستاذ الدكتور كمال مظهر أحمد: أنه قبل نشوب الحرب العالمية الثانية، كان يوجد في مدينة السليمانية ناد واحد، تقابله عشرات المقاهي الصغيرة والكبيرة بما في ذلك مقهيان لليهود في محلتهم «جوله كان» وكان وجودهم في السوق يلفت النظر، ولئن كان عدد المسيحيين من كلدان وارمن أقل بكثير من عدد اليهود (وفق تقديرات 1920 في حدود المائة فقط) [□].

(1)نفسه ص310.

(2)د.كمال مظهر أحمد، كورد السليمانية وبغداد بين الحربين العالميتين، ترجمه عن الإنجليزية لاوك، والدراسة من بحوث المؤتمر الدولي الذي أقامه المركز الوطني للبحث العلمي في فرنسا، بعنوان (الأكراد والمدينة) خلال الفترة 19-21 أيلول/ سبتمبر 1996 في باريس ونشرت البحث مجلة متين، العدد (75) نيسان/ ابريل 1998، ص136.

في أواســط العقد الثالث (الثلاثينات) من القرن العشرــين بلغ عدد العرب الموجودين في لواء السليمانية شخصاً فقط، ارتفع الرقم قليلاً فيما بعد بسبب ازدياد عدد الموظفين العرب العاملين هناك. بينما كان بوسع المرء أن يجد اليهود في كل مكان من اللواء (وفق تقدير لجنة العصبة) ففي كركوك سنة 1920 حوالي (600) يهودي، وفي أربيل في السنة ذاتها (4800) يهودي[1].

من المفيد أن نشــير إلى أنه وفق شــمس الدين ســامي، كان عدد ســكان لواء السليمانية قبل الحرب العالمية الأولى يبلغ (51.600) نسمة من بينهم (2100) من اليهود و(900) كلدان. أما المدينة نفسها مركز اللواء، فقد كانت تضم (15) ألف نسمة بينهم ألف يهودي و(170) كلدانياً[2].

يقول د.كمال مظهر أحمد أنه لم يجر في العراق إحصاء سكاني على أساس قومي سوى مرة واحدة، وذلك في العام 1957، ولم يخل ذلك الإحصاء بدوره من نواقص جدية[3].

(1)المصدر السابق، ص 132.

(2) شمس الدين سامي، قاموس الإعلام، استانبول، ص 1622 ود.كمال مظهر أحمد، المصدر السابق ص132.

(3)د.كمال مظهر أحمد، المصدر السابق، ص137.

وبقي اليهود منتشرين في مناطق عديدة من شمالي العراق، حتى بدأت محاولات تهجير يهود العراق في أربعينيات القرن العشرين، وحتى عام 1950 كانوا يتواجدون في العمادية وعقرة ودهوك وزاخو والزيبار وبراواري العليا والسفلى والمزوري والدوسكي ولهم قريتان مختصتان بهم وهما (سندور) في منطقة دهوك و(بيت النور) (بي تنور) في برواري العليا، وكثير منهم في قرية براش، ويمتهنون الفلاحة وغرس الاشجار وتربية المواشي، ومنهم من يعمل في الصناعة والتجارة والحياكة، وكان لهم كنيسان في العمادية فوق القلعة وآخر في سندور ورابع في بيت النور ولهم مزار يدعى (ابن خران) داود بن يوسف بن أفرايم المتوفي حوالي سنة 1620م، والى جانبه ضريح زوجته (الست نجاد) قرب الكنيس في العمادية، ويدعون أنهم من أوليائهم وفي سنة 1950 كان عدد اليهود في شمالي العراق حوالي ثلاثة عشر ألف نسمة، أسقطوا جنسيتهم العراقية وهاجروا إلى إسرائيل (د.أحمد سوسة، مصدر سابق ص36)، وازداد بعد ذلك الرقم من يهود الشمال ليصل إلى (21877) نسمة موزعين بين المناطق التالية (لواء الموصل 10429) و(لواء السليمانية 2514) و(لواء أربيل 5071) و(لواء كركوك 3863) [1].

وإن الإحصاءات الرسمية عن عدد اليهود الذين تم تهجيرهم إلى إسرائيل منتصف القرن العشرين تستدعي دراسة أوضاع اليهود من جديد، ابتداءً من القرن السابع قبل الميلاد وحتى القرن العشرين،

(1)د.خلدون ناجي معروف، الأقلية اليهودية في العراق، ج2 ص276.

فمن الملاحظ أن الأرقام الموثقة عن الفترة الآشــورية تشــير إلى جلب أكثر من أربعمائة ألف يهودي من فلسطين، وتم توزيعهم بين المناطق الجبلية، وخلال القرون المنصرــمة (حوالي 2800 ســنة) نجد أن عدد اليهود في شــمالي العراق في حدود العشرين ألف نسمة، وإذا أخذنا المسألة من ناحية التطور الطبيعي للسكان وارتباط بقائهم بالإنجاب، فإن عددهم يفترض أن يكون أكثر من ذلك بكثير، وهنا تدخل آراء المحللين والدارسين في مناقشة هذه المسالة الحساسة، فإذا كان العلامة محمد أمين زكي بك قد أشــار إلى وجود طوائف ومجاميع بين الأكراد يتحدثون لهجات غريبة، وإن لبعض الطوائف عادات وتقاليد غريبة أيضاً وذلك في كتابه الذي سبق ذكره (خلاصة تاريخ كردستان) فإن هناك من يرى من الباحثين، أن أولئك اليهود الذين وصلوا المناطق الجبلية في القرن السابع قبل الميلاد قد صبئوا إلى النصرانية بعد وفاة المسيح (د.أحمد سوسة، ملامح يهود العراق ص51)، ويستند غالبية الباحثين في رأيهم ذلك إلى النشــاط الملموس للبعثات التبشــيرية المســيحية، التي أوفدها الحواريون إلى تلك المناطق للتبشير بتعاليم الدين المسيحي الجديد بينهم، ولا شك أن وجود مجاميع من اليهود في مناطق نائية لم يصــل إليها أحد وبعد مرور عدة قرون على وجودهم هناك، قد أثر فيهم، ومع ضــعف التعليم أن لم يكن منعدماً، إذ لا تتوافر مصــادر عن الحياة الثقافية والتعليمية لتلك المجاميع المبثوثة بين الجبال، فإن ذلك قد ســاعد على قبول طروحات المبشرــين المســيحيين وانقطاع اليهود عن مراجعهم للاستفسار عن طبيعة الدين الجديد،

إضـافة إلى تبعية مجاميع اليهود هناك إلى قبائل كردية أقوى وأكثر عدداً، والتي قد تكون دخلت في الدين المسيحي، ودخل معها اليهود في ذلك أيضـاً، وتبقى المسألة مجرد دراسة، وتدخل في ذلك عدة عناصر، وما يزيد من صعوبة التوصل إلى صورة دقيقة، هو قلة المصادر الموثقة كما أسلفنا، ويشير الباحثون إلى أن الكثير من اليهود الذين دخلوا الدين المسيحي، قد حافظوا على تقاليدهم وعاداتهم ولغتهم القديمة، وهناك قلة بين اليهود الذين حافظوا على يهوديتهم، ويؤكد المؤرخون أن إقليم حدياب الذي كان المركز الرئيس لليهود في عهد الآشوريين، قد شهد انطلاق حركة تنصر واسعة، ظهرت فيه خلال القرون الأولى للمسيحية حتى صار مركز أسقفية نسطورية في زمن مبكر من العهد المسيحي، وقد عرفت باسم أسقفية حدياب أو أسقفية أربيل، وظلت هذه الأسقفية محتفظة بمركزها المهم، بحيث أن الجاثليق النسطوري نقل مقره في عام 1280م من بغداد إلى أربيل (انظر طه باقر، مجلة المجمع العلمي الكردي ع1 1975) وصارت الجماعات المتحولة إلى المسيحية من اليهودية تعرف بالمينية (Minim) والشخص المتحول إلى المسيحية يعرف بالمين (Min) حتى صار كل مسيحي من أصل يهودي يعرف بهذا الاسم، ويقول د.أحمد سوسه: تتفق التواريخ المسيحية والكتب الطقسية القديمة على أن أولى الجماعات النصرانية في الشرق تألفت من اليهود المتنصرين وإن تلميذي السيد المسيح أدى وماری هما اللذان بشرا أولاً بالمسيحية بين اليهود منذ الجيل الأول للمسيح، وإن أول أسقف عين في أربيل عاصمة حدياب كان من اليهود المتنصرين،

وكان قد تنصر على يد المارادي في أربيل، وتواصلت حملة التبشير هناك وقام بتلك المهمة بعد (أدى وماري) أساقفة من اليهود المتنصرين، وكانت أعمالهم تتركز في التبشير بين اليهود من أبناء طائفتهم، وقد تولى كرسي أسقفية أربيل عشرة أساقفة بين سنة 104-312م، و كانوا جميعهم من اليهود المتنصرين وتشير إلى ذلك أسماؤهم وهم (بقيدا، شمشون، إسحاق، إبراهام، نوح، هابيل، عبيد، مشيحا، حيران، وآحاد بوي) وكان الأخير قد تولى الكرسي من سنة (254-312) وتقول المصادر التاريخية : إن (بقيدا) الذي عين أول أسقف في حدياب، هو من الذين تتلمذوا على المارادي في أربيل وكان من عائلة يهودية فقيرة وكان قد تنصر سنة 99م فاضطهده أهله وحبسوه، ولكنه هرب ولحق بمارادى وبقي عنده خمس سنوات، ثم جعله أسقفاً أرسله إلى أربيل سنة 104م وتمكن بقيدا أن ينصر أهله وكثيرين من سكان المدينة، توفي سنة 114م ودفن عند أهله (تاريخ كلدو وآشور ج2ص14) ولا شك أن د.احمد سوسه قد درس بصورة موسعة موضوع اليهود في حدياب، وأشار إلى أن غالبية اليهود هناك والذين جاءوا في زمن الآشوريين قد تنصروا، والدليل أن يهود بابل الذين جاءوا في ما بعد لم يشيروا في كتاباتهم إلى وجودهم في جبال الشمال، وسبب ذلك أنهم كانوا يعتقدون أنهم اندمجوا بمحيطهم الوثني، وأخذوا بالوثنية ديانة أهل المنطقة التي حلوا بها.(ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق ص55).

ولابد أن يكون اليهود الذين تواجدوا في المناطق الجبلية في شـــمالي العراق، قد هاجرت أعداد كبيرة منهم إلى المناطق المجاورة إيران وتركيا ثم إلى المناطق الأكثر بعداً، ومثلما كانت مجاميع من اليهود الســاكنين في بابل وفي بغداد في ما بعد قد هاجرت إلى مناطق مختلفة من الشرق ووصلت إلى الهند والصين، فإن شمالي العراق كان منطلقاً لليهود للذهاب إلى أماكن متفرقة بحثاً عن ســبل العيش، وما يثير الاســتغراب أن هناك قلة في المنحوتات والمدونات، التي تتحدث عن تلك الحقب الزمنية في المناطق الجبلية، وبرغم أن الآثاريين والمنقبين قد عثروا على مســلات وتفاصــيل كثيرة عن الفترة التي حكم فيها الملوك الآشــوريون بحيث وجدت رســومات للملوك ولملوك يهوذا وهم في أوضــاع مختلفة، إلا أن مثل تلك الغزارة في الوثائق لم تكن بمثل تلك التفاصــيل في أماكن أخرى، وربما يعزا ذلك إلى تباعد المناطق الجبلية، وتخصص المجاميع اليهودية هناك بالزراعة، وانقطاعها عن الحروب والأحداث التي كانت تحصــل بين القبائل والإمبراطوريات، وتبقى الحقائق العلمية تشــير إلى أن أعداد اليهود التي وصــلت إلى شــمالي العراق في العصرـ الآشــوري قد أزدادت بصــورة كبيرة خاصــة أن تلك المجاميع كانت من الفلاحين، الذين يعرفون بحرصــهم على زيادة عدد أفراد عوائلهم ليســاعدوهم في الزراعة والرعي وفي تامين الحماية للعائلة، وبالأخص في الأماكن الجبلية النائية.

وبصورة عامة فإن الطائفة اليهودية في شمالي العراق قد خضعت للظروف التي يعيشها السكان هناك، وبسبب الطابع الزراعي والحياة القبلية التي سادت منذ أكثر من ألفين وخمسمائة سنة، وتوزع الجماعات اليهودية بين القبائل الكردية فإنها لم تتمكن من تأسيس طائفة ذات معالم واضحة، كما حصل في بابل مثلاً ولا شك أننا نجد أن يهود بابل قد تمكنوا خلال خمسين سنة تقريباً من تكوين جماعة ذات ملامح ثقافية ودينية، وحتى على الصعيد الاقتصادي فقد أسسوا هناك مصرف (جباي) الذي تحدثنا عنه، وساعد ذلك في ما بعد على توسع النشاط الديني بينهم ومحافظتهم على تقاليدهم وعاداتهم الدينية والاجتماعية، ولهذا كان من الصعب تحويلهم إلى النصرانية أو ديانة أخرى، ولا شك أن ذلك التماسك جاء نتيجة حرص البابليين على رعايتهم لليهود، ومنحهم فرصاً واسعة في الزراعة والتجارة والصناعة أيضاً، وهذا الأمر يختلف تماماً بالنسبة لليهود في المناطق الجبلية النائية، ولهذا لا يتوفر الباحثون على إحصاءات وتفاصيل دقيقة عن حياة اليهود ومشاركاتهم مثلاً في الحروب والصراعات، التي غالباً ما تحصل سواءً بين العشائر أو حتى بين الأقوام التي دأبت على الحروب والمنازعات.

كان أول إحصاء رسمي للمناطق الشمالية أجرته حكومة الاحتلال عام 1920 وظهر في الموصل 7635 يهودياً وفي أربيل 4800 يهودي، وكركوك 1400 يهودي والسليمانية 1000 يهودي. (انظر: يوسف رزق الله غنيمة، مصدر سابق ص184)، أما في إحصاء عام 1947، وكان هذا الإحصاء معتمداً

وتم الإعداد له بصورة جيدة من قبل الحكم الملكي، ومازال يعد من الإحصاءات المهمة، والذي تعود إليه الدوائر الرسمية حتى الوقت الحالي، كان عدد اليهود في المناطق الشمالية على الوجه الآتي: الموصل (10345) وكركوك (4042) أربيل (3109) والسليمانية (2271) ولابد من الإشارة هنا إلى إنه لا يمكن الجزم بدقة تلك الأرقام وبالأخص في المناطق الشمالية، بسبب صعوبة الوصول إلى جميع المناطق، إضافة إلى تعمد الكثير من العوائل والعشائر هناك على عدم إعطاء معلومات دقيقة، بسبب الخلافات المعروفة بين الأكراد والحكومة.

أما بالنسبة للنشاط الصهيوني في المناطق الشمالية فأشرنا إلى أنه بدأ مبكراً، وكانت المنظمات الصهيونية تهدف إلى تهجير اكبر عدد ممكن من اليهود الأكراد لاستخدامهم في الزراعة، التي اتجهت إليها أنظار قادة الحركة الصهيونية على اعتبارها أهم مصدر اقتصادي في ذلك الوقت، وازدهار الزراعة يمثل عامل جذب لليهود الآخرين من أماكن أخرى، ومع بداية الحركة الصهيونية في العراق عام 1921 كان هناك التحرك الذي شمل المناطق الشمالية ويذكر حاييم كوهين في كتابه (النشاط الصهيوني في العراق ص77) أن النشاط الصهيوني خارج بغداد والبصرة كان ضئيلاً ومحدوداً، إلا أنه برغم ذلك لم تعدم الحركة الصهيونية وجود شخصيات يهودية، تمكنت أن تفعل الكثير من الأعمال لصالح الصهيونية سواء بجمع الأموال والتبرعات أو الحث على الهجرة،

وقد حصل مثل ذلك في خانقين وكركوك وأربيل، ويذكر انه في أواخر عام 1921 نصب إبراهيم ساسون نسيم الملقب بأبراهام الكاتب نفسه وكيلاً لـ(الكيرن كيمث) في خانقين وكان مهووساً بالصهيونية وبرغم خلافه مع رئيس الطائفة في خانقين، فقد تمكن من إرسال كمية من المال تُعد كبيرة بالنسبة لأقلية يهودية ضئيلة العدد كالتي في خانقين، ويشير د.صادق حسن السوداني إلى أنه يبدو أن عدداً لا بأس به من يهود خانقين لم يتعاونوا، معه فوصفهم أكثر من مرة بأنهم يعارضون الصهيونية وأنهم (أميون) ونجح برغم ذلك في إرسال بعض المهاجرين إلى فلسطين، وظل نشاطه مستمراً حتى عام 1935.(انظر: صادق السوداني، مصدر سابق ص62).

أما في أربيل فقد كان نوريئيل رئيس الطائفة هو مسؤول النشاط الصهيوني فيها، وأرسل مبالغ كبيرة إلى (الكيرن كيمث) وبسبب نشاطاته دعي لحضور المؤتمر الصهيوني الخامس عشر (المنعقد 1927م) إلا أن معرفة السلطات بذلك وبتحريض من المناوئين للصهيونية من الذين أدركوا حجم خطورتها مبكراً، منعه من السفر لحضور المؤتمر الصهيوني المذكور.

وكان نوريئيل نشطاً في تحركاته، وكان يقول: إن غالبية يهود أربيل ليسوا صهاينة، وكان لتحركاته أثر كبير في تنشيط الصهيونية هناك، ولو لم يكن هو رئيس الطائفة لكان النشاط الصهيوني هناك شبه معدوم، مثلما كان واقع الحال في العديد من المناطق الكردية لطابعها الزراعي، وضعف الاتصال بينها ومراكز اليهود التي تحرص على بث الوعي الديني،

وخلق صــلات مع الجماعات والطوائف اليهودية الأخرى، وقبل ذلك وفي عام 1935م أصـيب النشـاط الصـهيوني بالشـلل في أربيل، مثلما حصـل ذلك في أنحاء العراق وفي عام 1925م جمعت التبرعات من يهود كركوك لــ(الكيرن كيمث) ومن نشــيطي الصــهاينة في كركوك إســحاق دانييل الذي كان نائباً في بغداد منذ عام 1924م وكانت هناك اتصــالات بين يهود بغداد ومجموعات صـغيرة في (الخالص) لـدرجـة أن بعض يهود بعقوبـة اشــتروا أراضي في فلســطين عن طريق الجمعيـة الصهيونية في بغداد قبل حظر نشاطها (كوهين المصدر السابق ص71).

وعندما تأسست حركة حالوتس (الطلائع) بعد اضطرابات حزيران عام 1941 وما اصطلح على تسميته بــ(الفرهود) ركزت على الشبان من عمر 14-17 عاماً، وكانت تهدف إلى تعبئة الشباب اليهودي، وكانت حصة المنطقة الشمالية قد تركزت في مدينتي كركوك وأربيل برغم أن المنتمين إليها كانوا عبارة عن مجاميع أصــغر مما كان في المدن الأخرى، وفي كركوك نجحت عملية التدريب الزراعي أحد ممارسـات حركة حالوتس، ففي عام 1946 وافق رئيس الطائفة اليهودية في المدينة على وضـع قطعة أرض خالية قرب المدرســة الموجودة هناك تحت تصرــف الحركة، وتبلغ عدة دونمات، وقام اليهود بحراستها بعد أن نجحت الزراعة فيها خشية السطو عليها.

ربما كانت كركوك المدينة الوحيدة التي كان بها تعاون تام بين رئيس الطائفة والحركة السرية، وذلك ابتداء من عام 1946م،

وكان حاخام الطائفة إبراهام أخ ساسون خضوري من بغداد، وأنه قد تفاعل مع وجود جنود يهود في المدينة (كركوك) وكان يفرح دائماً باستقبالهم وقد صادق بعضهم وتأثر كثيراً عندما ودعوه وغادروا، ولأنه كان غير متعاون مع حركة (همالوتس) فقد أرغم على الاستقالة من منصبه، وعاد إلى بغداد عام 1946 وفي العام ذاته عين دانيئيل أفرايم رئيساً للطائفة، وكان أحد إخوته عضواً في الحركة، وقد تعاون مع الحركة وكانت تقام في بيته الحفلات، وربما لهذا السبب أصبح فرع كركوك منذ ذلك الحين، أحد الفروع الكبيرة والقوية بالنسبة لحجم الطائفة اليهودية في المنطقة[1].

يقول حاييم كوهين أن يهود الشمال لم يعيقوا عمل الحركة السرية، بل أيدوها وساعدوها، وقد كتب أحد المبعوثين عندما زار مدن الشمال نهاية 1947، لقد رأيت علاقة يهود الشمال بكل قضية صهيونية هي علاقة عملية نابعة من قلوبهم، في تلك الفترة، عقدت في إحدى مدن الشمال دورة استغرقت تسعة أيام، كانت أيام عيد لليهود، وقال: لم تصادفنا مشاكل في إقامة الدورة الدراسية أو إيواء المشتركين، والواقع أن نشاط الحركة السرية هناك قد دام وانتشر بفضل اليهود المحليين.

(1) حاييم ي.كوهين، النشاط الصهيوني في العراق، مركز الأبحاث الفلسطينية بيروت، ومركز الدراسات الفلسطينية –بغداد لم يذكر اسم المترجم شباط 1973، وكان الكتاب قد صدر بالعبرية عن : المكتبة الصهيونية بالقدس، والجامعة العبرية (معهد دراسات اليهودية المعاصرة، قسم يهود آسيا وأفريقيا) 1969 والنسخة مسحوبة بالرونيو موجودة ضمن مكتبة مركز الدراسات الفلسطينية، جامعة بغداد.ص180.

وتم تشكيل فرع كركوك من جديد حيث ضم مجموعة من 12 عضواً في سن 22، 23 عاماً، وتقلص فرع الموصل من 7 إلى 5 أعضاء، لم تكن هناك عضوية في هذه الفروع الصغيرة، وطرح جدعون جولاني خطة عمل للمستقبل، هدفها الرئيسي، هو زيادة وتوسيع وتعميق الثقافة الصهيونية الطلائعية، وشدد على ضرورة اللياقة البدنية.

ويذكر مؤلف كتاب (خلف الصحراء) أنه قد طرحت قضية القرى اليهودية في شمالي العراق، حيث يستصرخ سكانها من أجل الهجرة إلى البلاد[1].

ورد ذكر الجالية اليهودية في مدينة زاخو في الشمال، عندما ذكر يوسف مئير قصة الشبان اليهود الثلاثة، الذين شكوا بأمرهم وهم في طريقهم إلى زاخو ليهربوا من هناك، وبعد أن تم استجوابهم في مركز الشرطة لعدم حملهم البطاقات الشخصية، حضر رئيس الطائفة اليهودية هناك وتعهد بهم عن طريق مختار اليهود في زاخو[2].

يقول مردخاي بن فورات : لا يزال بعض مهاجري العراق خاصة من الشمال يحافظون على الوحدة العشائرية، ويقول شوشتا أربيلي الموزلينو يعقد مهاجرو الموصل اجتماعات دائمة، وأنا أشارك فيها باعتباري من مواليد الموصل[3].

---

(1) يوسف مئير، خلف الصحراء، الحركة الطلائعية السرية في العراق، الجزء الثاني مركز الدراسات الفلسطينية، جامعة بغداد، 1976 ص214.

(2) المصدر السابق ص219.

(3) د. خلدون ناجي معروف، يهود البلاد العربية، بحوث الندوة التي عقدها مركز الدراسات الفلسطينية، جامعة بغداد، للفترة بين 13-14/ 1/ 1987 بغداد 1990، ص67.

وأخذت الرابطة الصهيونية على عاتقها تولي عملية تنظيم هجرة اللاجئين اليهود من شمالي العراق، وكان هؤلاء اللاجئون يصلون إلى المكتب الصهيوني في إيران[1].

حصلت اضطرابات في قرية (ساندور) إلى الشمال الغربي من مدينة الموصل في ايار 1941 وكانت هذه هي القرية الوحيدة التي كان جميع سكانها من المزارعين اليهود، وقد بلغ عددهم حوالي 300 نسمة وكان سكانها يزرعوها صيفاً، ويهاجرون شتاءً إلى المدن وخاصة بغداد ليعملوا هناك كخدم[2].

عقد في بغداد في 2 كانون الأول/ ديسمبر عام 1944م المؤتمر الثاني لحركة (الطلائع) في العراق، وحضره ممثلون عن بغداد والبصرة والموصل، وتقرر في المؤتمر أن يكون فرع كركوك مسؤولاً عن المنطقة الشمالية، التي تضم كركوك وأربيل والسليمانية والموصل، وكان لمدينة الموصل من وجهة نظر الحركة أهمية كبيرة، لكونها محطة مهمة للهجرة وتقرر أن يجدد فرع كركوك وأرسل إلى هناك (يو.اف.ب) الذي نجح في إقامة أول نواة في المدينة، وتألفت هذه النواة جزئياً من أعضاء المجموعات التي كانت قائمة قبل عامين ونيف.

لم تلتفت الحركة (الطلائع) في بادئ الأمر إلى الطائفة اليهودية في شمالي العراق، ولم تتوفر لدى المركز في بغداد القوى الكافية من أجل خلق وإنشاء الفروع الجديدة، وكان للصعوبات المتعلقة بالمواصلات في هذه المناطق الجبلية وعدم وجود أشخاص محليين على استعداد للتفرغ للعمل في الحركة أسوأ الأثر على نشاط الحركة هناك[3].

(1)يوسف مئير ، مصدر سابق ص26.

(2)المصدر السابق ج1 ص50.

(3)المصدر السابق ج1 ص199.

يذكر يهودا أطلس في كتابه (حتى عمود الشنق ص259): أن أحد الأعضاء العاملين في الهجرة، كتب بعد زيارته لأطلال نينوى القريبة من الموصل، وقد تم طبع ذلك في طريق الطلائعيين في آذار/ مارس 1946م يقول فيها (صعدت على احد التلال وأشرفت على كل المنطقة المحيطة، تلال وتلال. لقد صعدت على جميع التلال وداست قدماي عظام ملوك آشور العظام، إن عظام سنحاريب وسرجون وآشوربانيبال دفنت تحت هذه الأرض ولم يبق ذكر لقوتهم، غير أن الشعب اليهودي لايزال موجوداً وباقياً: الطائفة الصغيرة المتألفة من خمسة آلاف يهودي في الموصل وآلاف الطوائف اليهودية في الجهات الأربع من العالم كلها تشهد على ذلك، ماتت نينوى العظيمة والشعب اليهودي لايزال حياً، وأنا اليهودي الخالد، أتجول بين خرائبها وأصبح يعيش شعب إسرائيل) (1).

وصل في النصف الثاني من تموز 1946 إلى بغداد شلومو هيلل عضو مستوطنة (هاتسوفيم) الجماعية، وقد زار منذ الأسبوع الأول لوصوله مدينة كركوك، حيث كان من المنتظر تخرج دورة دراسية للمرشدين في المنطقة، كما زار أيضاً رئيس الطائفة في كركوك، وتوصل معه إلى اتفاق مبدئي بشأن التحاق المدربين في الحركة كمدرسين في مدرسة (إيليانس) لتدريس اللغة العبرية،

(1) يهودا أطلس، حتى عمود الشنق، ص 259.

وأدرك أن العمل في فرع كركوك منتظم للغاية، ولو أنه لاحظ انخفاضـــاً وعلى الأخص من الناحية الثقافية، وبذل شـــلومو هيلل جهوداً ضـــخمة من أجل رفع، المستوى الثقافي للمرشدين[1].

وأقيم في عام 1947م فرع لتنظيم (هاشوراء) في كركوك وبدأ التفكير بإقامة هذا الفرع منـذ عـام 1946م، وعلم المســؤولون عن الحركـة في كركوك بـأمر وجود (الهاجانا) في بغداد، ولجأوا إلى المركز طالبين إقامة فرع في مدينتهم، التي كان يعيش فيها عدد كبير من اليهود وبعد مضي ـ عدة أشــهر أوفد (يهودا نحتومي) لدراســة الوضــع، وبعد أن تفقد الحي اليهودي، أعد خارطة كما أعد مخزنين لاســتيعاب السـلاح، وعاد إلى بغداد وقدم تقريراً عن نتائج زيارته، مشـيراً إلى إمكانية إقامة فرع هناك وطلب إلى سـليم (شـنايؤور) يسر ـائيل الذي أدار شـؤون الحركة في كركوك المســاعدة في تمويل أول عملية لشر ـاء الأســلحة، وجمع اليهود هناك مبلغ ثلاثمائة وخمسين ديناراً لشراء الأ سلحة، وفي عام 1947م أوفد يو سف مئير (مؤلف كتاب حلف الصــحراء) إلى هناك لدراســة الأوضــاع الجديدة، وكان تقويمه ايجابياً وخصــصــت للفرع في دورة التدريب القطرية الأولى ثلاثة مقاعد، حيث كان ينتظر أن يعمل هؤلاء كأول مدربي (للهاجانا) في كركوك وكانت أبنية الحي اليهودي في كركوك تشبه أبنية الحي القديم في بغداد لكنها أصغر حجماً ولهذا السبب لم يقسم إلى قطاعات، وإنما إلى مواقع فقط بلغ عددها خمسة مواقع[2].

(1)يوسف مئير مصدر سابق ص280.

(2)المصدر السابق، ص309.

وفي مؤتمر حركة حالوتس عام 1947 امتدح المؤتمرون هذا العمل، وقد استقبلت طائفة كركوك بتعضيد من رئيسها بعض الصهاينة القادمين من فلسطين لتدريس التربية والتثقيف الصهيونيين في المدارس اليهودية التابعة لها.

وفي عام 1947م ازداد عدد فروع الحركة ليشمل قعووت (كركوك)، (أربيل) ووصل نشاطها إلى (حلبجة) وغيرها، طبعاً بالإضافة إلى المدن الرئيسة الأخرى في العراق.

ولابد أن تكون هناك نشاطات أخرى على صعيد التحرك الصهيوني من خلال الموفدين والمبعوثين، الذين بدأوا يجوبون المناطق الشمالية لحث اليهود القاطنين في الأماكن البعيدة على التبرع بالأموال ودعم النشاطات الصهيونية، مع الترويج للأفكار والطروحات التي اعتمدتها تلك المنظمات في برامج عملها، والتي كانت تنصب على زرع البلبلة والخوف لدى اليهود هناك، وفي الوقت نفسه رسم مستقبل آخر ينتظرهم على أرض فلسطين، ويمكن تلمس حجم التحرك الصهيوني، الذي استهدف المناطق الشمالية من خلال الهجرة التي حصلت، بحيث استجاب الآلاف منهم وبسرعة لذلك، ومن غير المستبعد، أن تكون العناصر اليهودية التي كانت تمثل المنظمات الصهيونية قد زرعت أنواع الرعب وأخافت الرجال المزارعين هناك المعروفين كونهم محافظين جداً، ورسمت لهم ولعوائلهم صورة قاتمة إذا بقوا في أماكنهم، وليس هناك وثائق تدلل على نوع الدعاية الترهيبية التي استخدمت في المناطق الجبلية،

لكن يمكن القول، إن المنظمات التي استخدمت القنابل وفجرتها لإرهاب اليهود في بغداد وغيرها، لا تتوانى في اســتخدام أي أســلوب وطريقة في ترهيب أولئك الناس البسطاء المنتشرين بين الجبال، والذين يعيشون في شبه عزلة عن حركة الحياة وما يحصل في العالم.

ويقر أغلب الدارسين والباحثين بأن المعلومات عن يهود كردستان لم تكن كافية، ويشير Ben-Zvi في كتابه (The Exile and the Redeemed , London 1958) إلى أنه لم يكن يعرف إلا القليل عن يهود كردستان، إلا أنه في القرن التاسع عشر ـ زار المنطقة بعض الرحالة الأوربيين، ومنهم يهود، وكتبوا معلومات عنهم، وكان يهود كردستان من أول من وجهت إليهم الدعوة الصهيونية للهجرة للاستفادة من مهاراتهم الزراعية، ويقول (A . sassoon) إن الأقلية اليهودية الكردية في شــمالي العراق، عاشــت منفصــلة عن بقية الطائفة اليهودية تماماً، كما تعيش الأقلية الكردية عن السكان العرب، (انظر عبده وقاسمية، مصدر سابق ص57).

وإذا كانت المعلومات المتداولة عن اليهود في شمالي العراق قليلة، فإنها أصبحت شبه نادرة، بعد حصول الهجرة الجماعية لليهود العراقيين منتصف القرن العشرين،

ومع أن الحياة الاجتماعية والدينية والاقتصــادية لليهود العراقيين في بغداد والبصرــة قد تواصــلت من خلال نشــاطات الذين رفضــوا الهجرة، إلا أنه لم تتوفر معلومات تشير إلى وجود لليهود في الشمال، وربما بقيت بعض العوائل المتوزعة بين القبائل الكردية، وخاصة من المزارعين الذين تشبثوا بأرضهم،

وتشـير المعلومات المتداولة إلى أن الغالبية العظمى من يهود الشـمال، قد تم تهجيرهم، ولا يسـتبعد أن تكون أعداد كبيرة منهم قد تم تهريبهم لاسـتخدامهم في الزراعة، قبل بداية الهجرة الرسـمية في آذار/ مارس 1950م، ولا شـك أن التهريب عن طريق الجبال والحدود الواسعة مع تركيا وإيران وسوريا لم يكن صعباً، مما أسهم بالتأكد في تهريب أعداد كبيرة منهم، ولا تتوفر لدى الطائفة اليهودية في بغداد أية معلومات عن وجود يهودي في المناطق الشـمالية، حسـب ما ذكره للمؤلف ناجي جبرائيل يعقوب رئيس اللجنة الإدارية للطائفة (مقابلة المؤلف بتأريخ 4/ 10/ 2001م).

هجرة يهود العراق

يحاول بعض الكتاب اليهود إعادة بداية هجرة يهود العراق إلى القرون السـادس والسابع والثامن عشر- الميلادي، والقصد من ذلك، التأكيد على أن الهجرة الجماعية التي حصلت نهاية أربعينيات القرن العشرين وسنتي 1950و1951م كانت تكملة لتلك الهجرة،، التي يقول أولئك الكتاب إنها تواصـلت ولم تنقطع، وفي الحقيقة، وقبل أن نبحث في تفاصيل هجرة يهود العراق، لابد من القول، إن ما يسميه الكتاب اليهود بالهجرة خلال القرون المذكورة، لم تكن إلا مسـألة نزوح لعوائل قليلة جداً، ولأسـباب غالباً ما تكون تجارية، أو لأسـباب أخرى غير معروفة، ومثل ما يحصـل في جميع دول العالم عندما تهاجر عوائل أو أفراد إلى أماكن وبلدان أخرى، أما الهجرة الجماعية فقد كانت نتيجة تخطيط وجهد كبير، وقفت خلفه المنظمات الصـهيونية واستخدمت مختلف الأساليب،

بما في ذلك تفجير أماكن تواجد اليهود وإثارة الرعب والفزع في قلوبهم، وخلق حالة من عدم الطمأنينة والأمان، إضـــافة إلى ما زرعته المدارس اليهودية التي ركزت على مســـألة (الخلاص) في تعبئتها للنشء الجديد، وذلك منذ أن بدأت الحركة الصـــهيونية نشاطاتها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

قليلة هي الكتابات التي تحدثت عن حقيقية الحياة التي كان يعيشـــها اليهود في العراق، وقبل أن نتطرق إلى تفاصـــيل الهجرة، نورد ما ذكره أحد اليهود العراقيين، وهو رجل إعلام وكان يعمل في الشرطة العراقية وهو سلمان دافي –الذي كان يقدم برنامج «ابن الرافدين» من الإذاعة الإسرائيلية لمدة 30 عاماً–يقول: لقد تربيت في حي غير يهودي في بغداد، وتعلمت في مدرســـة حكومية عامة وكان من أصـــدقاء طفولتي عبد الكريم قاسـم، وأبي كان يعمل في التجارة، وكان يتاجر مع العرب، ولم نتربى على الخوف من العرب، ولم يقولوا لنـا: ادخلوا البيوت قبـل أن يـأتي عربي ويضربكم، وكانت علاقتي مع قاسم علاقة صداقة عادية بين الأولاد، لعبت معه في الحي، ولم يشـــغله أبداً أنني يهودي، وأذكر أن أمي كانت تنادي علينا لنأكل، قاســـم وأنا وأولاد آخرون بصـــحبتنا، وكانت أم قاســـم تدعوني أحياناً عندهم (ملحق هاآرتس 27/ 9/ 1996).

جاء ذلك في مقابلة مع سـلمان دافي أجراها ديفيد شـاليط، تحدث خلالها عن الإعلام الإسرائيلي الإذاعي الموجه إلى الدول العربية، وقال: إنه خدم في الشرطة العراقية بعد أن أنهى دورة ضباط عام 1940م. وعين في أحد أقسام شرطة بغداد ثم انتقل إلى الموصل وكركوك، وبعد ذلك عمل سكرتيراً لثلاثة قادة عموميين للشرطة العراقية، ويذكر أنه لم يعامل معاملة سيئة من العراقيين، حتى بعد قيام دولة إسرائيل إلى أن هاجر عن طريق تركيا عام 1951م مع زوجته وأطفاله الثلاثة[1].

وما يسـميه أولئك الكتاب باسـتمرار الهجرة وتدفق المهاجرين، يتمثل بهجرة عائلة مطالون في سنة 1818م وعائلة البصراوي في سنة 1830م والرباني عبد الله بن الرباني موشي حييم في سنة 1841م وابنه الرباني يوسف شلوم، ويذكر الكاتب اليهودي إبراهام بن يعقوب انه في سـنة 1854م هاجرت عائلة يهودا وفي مقدمتهم الرباني شـلومو حزقيال، صـهر الرباني دافيد يالين الذي أسـس في القدس يشـيبتين كبيرتين باسم (كنيس حزقيال) و(إحسان الله)، درس فيها كبار حاخامي القدس في الأجيال المتأخرة وقد أعالوا على حسـابهم جميع الشـبان وزودوهم بالمعاشـات، وتبرعوا بمبلغ 14.000 ربية لبناء الكنيس الكبير (مفخرة إسرائيل)

(1) نشرت ترجمة المقابلة في «مختارات إسرائيلية» العدد 69- أيلول/ سبتمبر 2000 وتصدر عن مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية-الأهرام-القاهرة.

واشـترى الرباني شـاؤول بن الرباني شـلومو يهودا أرضـاً تقع إلى جانب القدس، وأسـس النقطة الزراعية الأولى في المسـتوطنة الجديدة، وهاجرت عائلة ماني في سـنة 1857م برئاسة الرباني إلياهو ماني، الذي عمل ربانياً رئيسياً في الخليل في السنوات (1855-1899) واشـتغل أبناء هذه العائلة بمهن كثيرة في التعليم والمحاماة والتجارة. (موجز تاريخ يهود بابل ص130-131).

وباختصـار نجد ما يسـموه بالهجرة المتواصـلة، واسـتناداً إلى المراجع اليهودية لم يكن سـوى عوائل معدودة وواضـح أن بعضـها ذهب للعمل بالتجارة، والآخر للاستثمار في الزراعة وكما ورد في التفاصيل التي ذكرها إبراهام بن يعقوب، في حين هاجر خلال أقل من سـنتين ما يقارب الـ124 ألف يهودي من العراق، في عملية التهجير التي سنتناول الجوانب الرئيسية فيها.

يمكن القول، إن عملية تهجير يهود العراق، قد بدأت خطواتها الفعلية، منذ إن تأسـسـت أولى المنظمات الصـهيونية في العراق عام 1921م على أيدي أهارون ساسـون، الذي سبق وتحدثنا عن نشـاطاته، وإذا أردنا أن نذهب إلى أبعد من ذلك، فيمكن الإشـارة، إلى أن واحداً من أهم أهداف التعليم في مدارس الأليانس، كان التثقيف الـديني والـذي بـدأ في مرحلتـه الأولى لإعـداد معلمين وموجهين، حتى يتمكنوا من توسيع مساحة التعليم، ويذكر -يعقوب يوسف كوريه- في كتابه (يهود العراق) أنه قد بدأ التحرك الصـهيوني في العراق، بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى مباشرة،

واتخذ أشكالاً و صوراً متعددة الجوانب، منها الإعلامية عن طريق إصدار ونشر بعض الصحف المنادية للهجرة، إضافة إلى النشاطات الأخرى، وتحدث الكثير من اليهود عن عملية تهجير يهود العراق وتناولها الكتاب من زوايا متعددة، فالبعض كتبها على شكل قصة، تعتمد اللغة النثرية والوصف وإدخال أسماء حقيقية، وأخرى من نسج الخيال ومثل ذلك بالنسبة للأحداث، ومن هؤلاء أميل مراد في كتابه قصة الحركة السرية الصهيونية في العراق (دار نشر عام كوفيدم .ض. تل أبيب 1972).

ووضع يهودا أطلس كتاباً بعنوان (حتى عمود الشنق) تحدث عن تهجير يهود العراق، وحاول فيه المزج بين القصة أو الرواية والأحداث التي حصلت، وكان يتنقل بين اللغة القصصية المشحونة وبين السرد للوقائع، معتمداً بعض الأسماء والتواريخ[1].

وألف شلومو هيلل الذي كان مسؤولاً مباشراً ومشاركاً فعالاً في تهجير يهود العراق كتاباً، روى التفاصيل الكاملة من وجهة نظره لعملية التهجير تلك[2] وصدر الكتاب بعنوان (رياح شرقية) وقال عنه الباحث غازي السعدي الذي قام بترجمته إلى العربية: (لقد سمعنا قصصاً عديدة عن الأساليب التي اتبعتها الحركة الصهيونية في هذا المجال، لكننا لم نسمع إلى

(1) يهودا أطلس، حتى عمود الشنق، ترجمة حلمي عبد الكريم الزعبي ونظيره محمود خطاب، رقم الإيداع في المكتبة الوطنية ببغداد (27) لسنة 1977.

(2) شلومو هيلل، وتهجير يهود العراق، مصدر سبق ذكره.

مثل هذه الصراحة التي تضمنها كتاب، كتبه صهيوني عريق، أدلى من خلاله باعترافاته التي هي حقائق دامغة لا تأويل ولا مبالغة فيها). (انظر مقدمة الترجمة العربية للكتاب ص8)، وسنورد بعض الأمثلة والحقائق على لسان شلومو هيلل نفسه، وقد أصبح من الأمور المتفق عليها، أن تهجير يهود العراق، جاء بخطة محكمة وضعتها الصهيونية، وعمدت إلى تنفيذها بكل دقة، ويقول بهذا الخصوص Lilienthal في كتابه (what price Israel) أن ديفيد بن غوريون قد لخص الهدف الذي تسعى إليه الصهيونية عندما قال: إنَّ الهجرة تمثل حجر الزاوية في تاريخ الحركة الصهيونية ونشاطاتها وقال في 31 تموز/ يوليو 1949م مع أننا حققنا حلمنا الأول في إقامة دولة يهودية، فنحن ما زلنا في أول الطريق فيوجد الآن 900.000 يهودي خارج دولتنا، وهدفنا ينحصر في حث يهود العالم على العودة إلى إسرائيل[1].

وما قاله بن غوريون جاء في فترة تصاعدت فيها وثائر الحملة الصهيونية لتهجير الكثير من اليهود، وكانت الجهود تتركز نحو يهود العراق بشكل خاص.

ومع أن البعض يرجع أسباب هجرة اليهود من العراق بعد الحرب العالمية الثانية لأسباب تجارية، بسبب سوء الأوضاع الاقتصادية التي كانت سائدة، وأن اليهود قد هاجروا للبحث عن فرص تجارية أفضل (Albion Ross) من النيويورك تايمز، إلا أن ما يجب أن يعترف به، أن لنشاطات الحركة الصهيونية في تهجير يهود العراق أكبر الأثر،

(1) lilienthal, what price Israel, Chicago, 1953, P198.

وصـــحيح أن البعض منهم قد هاجر لأســـباب تجارية، مثلما هاجرت عوائل إلى الهند والشرـق الأقصى ـ (د.عبده وقاســمية، يهود البلاد العربية ص69) وان الذين يقولون بان أسباباً تجارية تقف وراء الهجرة اليهودية من العراق يستندون إلى الأرقام التي تقول إنـه من الســنوات 1919-1948م لم يهـاجر من يهود العراق ســوى (7988 نسـمة) وكان معظم أولئك من منطقة شـمالي العراق، والسـبب في ذلك ما يأتي:

أولاً: أن نشاطات الحركة الصهيونية بصورتها الفعلية كانت في بداياتها 1921م وكان الوصــول بالثقافة الصــهيونية إلى جميع اليهود ليس بالأمر الهين، إذ أن يهود العراق، عاشوا حياة طبيعية بين المسلمين وكانوا يتوزعون بين أماكن متباعدة سواءً داخل المدينة الواحدة، أو في المدن والقرى، وهذا الأمر كان بالتأكيد يمثل معضـــلة أمام المنظمات الصــهيونية، التي بدأت حملا تها التثقيفية التي تنطوي على تكثيف مسألة (الخلاص) في العقلية اليهودية.

ثانياً: واجهت الحركة الصــهيونية مشــكلة كيفية إقناع اليهود العراقيين بالهجرة وقد كانت أحوالهم مزدهرة، وكما يقول A.Hourani

فإنه لم يكن هناك تمييز عنصري ضد اليهود، فهم يعيشون في كل مكان في البرلمان وفي الوظائف وفي الجيش، وعاشـوا أجيالا طويلة وتمتعوا بحقوق متسـاوية وكاملة، لم يمنعهم أحد من كســب العيش، ولم تكن هناك قيود على حرية عملهم(□) وهذا انعكس بالتأكيد على ثقتهم بالمستقبل وحالة الطمأنينة والأمن التي يعيشونها، وكان غالبية اليهود من أصحاب المصالح، التي تدر عليهم أرباحا كبيرة (كانت 95 بالمائة من واردات العراق بيد اليهود و90 بالمائة من عقود العراق بيدهم وســيطروا على 95 بالمائة من التجارة في مدينة البصرة أهم المنافذ التجارية) وهذا يعني، أن تصادماً قوياً بدا داخل الذهنية اليهودية المعروفة بحرصــها على تجارتها، وبين الطروحات الدينية التي يعمل على تلقينها لهم الحاخامات وكبار رجال الحركة الصهيونية.

ثالثاً: لابد من الإشارة إلى أنه وبعد افتضاح النيات الصهيونية والمخططات التي تســعى من خلا لها إلى تهجير يهود العراق، فقد اتخذت الســلطات آنذاك بعض الإجراءآت التي حددت من الهجرة غير الشرـعية، خاصــة بعد أن قفز إلى الواجهة جيل الشــباب، الذي تربى على المبادئ الصــهيونية وتغذى على أفكارها، فنجد أن غالبية المندفعين للهجرة خلال الأربعينات، كانت أعمارهم أقل من العشرـين سـنة، وهم الذين ولدوا في عشرينات القرن الماضي مع بداية الحركة الصهيونية،

---

(1)انظر bashan, Jews plight in Arab conntries, israel majazine, vol.i, no. j,1968 philadelphia, p. 7.

و hourani, a., minorities in the arab world, London, 1947, p.102.

وكانت مذكرة الوكالة اليهودية التي رفعت إلى اللجنة الأنجلو- أمريكية العام1946 قد اعترفت بالموقف المتسامح للعراق تجاه الأقليات (د. عبدة وقاسمية مصدر سابق ص65)

وخلال الفترة التي كانت فيها مزدهرة وفاعلة، وكان هؤلاء الشبان قد تفتحت أعين الغالبية منهم على الطروحات الصهيونية، التي زرعت الكثير من القلق والخوف وعدم الطمأنينة في قلوبهم، ورسمت في مخيلاتهم صوراً وردية مرتكزة إلى (الخلاص)، وما يتعلق به من طروحات وأفكار تصب بالنهاية في مجرى الهجرة، التي تهدف إليها المنظمات الصهيونية، ونجحت المنظمة الصهيونية في العراق في إعداد مجاميع من الشباب اليهود لتنفيذ عملية التهجير، ولهذا نجد أن المجاميع الأولى من المهاجرين كانوا من الشباب، مثلاً عملية (مايكل برغ) المذكورة في كتاب (تهجير يهود العراق) وحتى الذين قادوا عملية التهجير كانوا من الشباب، خذ مثلاً عمر زعيمهم شلومو هيلل كان في بداية العشرينات من عمره عندما بدأ يقود عمليات الهجرة غير الشرعية (فهو من مواليد بغداد 1923م) ولا شك أن الشباب الذين كانوا في الثلاثينيات من عمرهم، كانوا قد تشبعوا بالفكر الصهيوني منذ بداية العشرينات من القرن العشرين، وكانوا يمثلون أهم ورقة ضغط على العوائل اليهودية، التي انصاعت لرغباتهم وإصرارهم، ففي أعمارهم إما كانوا من المؤثرين في عوائلهم أو كانوا أصحاب عوائل.

بدأت النشاطات الصهيونية 1920م واشتدت عمليات التهجير مع نهاية الأربعينيات، فالذي بدأ يتغذى يومياً على الفكر الصهيوني مع بداياته بعمر بين 10-15 سنة، أصبح عمره في نهاية الأربعينات من القرن الماضي بين 40-45 سنة، هذا بالإضافة إلى الأجيال اللاحقة التي شكلت سلسلة متصلة من العناصر التي كانت تهيء الأرضية للهجرة من العراق.

من خلال ذلك يمكن التوصل إلى سبب ازدياد الهجرة في النصف الثاني من الأربعينيات، هذا طبعاً بالإضافة إلى مسألة مهمة جداً، والتي تناغمت مع التلقين الصهيوني، وهي مسألة إرهاب اليهود التي ثبت بالوثائق والأدلة أن المنظمات الصهيونية كانت تقف وراء إلقاء القنابل وإثارة الخوف والهلع في نفوس اليهود، وخاصة أولئك الذين لم تتمكن الدعاية الصهيونية من الوصول إليهم والتأثير في أفكارهم، ومعتقداتهم. (لمعرفة المزيد من التفاصيل عن ذلك انظر Akiva orr) في كتابه[1] (lsrael :politics , Myths and ldentity Crises 1994).)

ويخلص الكاتب، إلى أنه قد تم حمل اليهود على الفرار ذعراً إلى إسرائيل، ويذكر (Morley safer) في مقالة له بعنوان (The Ugly face of freedom 1994) تفاصيل إلقاء قنبلة من قبل الحركة الصهيونية على الكنيس اليهودي في العراق: يقول كنا في اجتماع بلندن عام 1970م وجرى حديث عن اليهود في البلاد العربية وقال البعض، ألم يطرد العرب اليهود من أراضيهم واجبت –كما يقول (Morley Safer) : إنه في عام 1948م لم يطرد اليهود من بلدان مثل العراق والمغرب والجزائر وغيرها، بل إن العملاء (المبشرين) الصهاينة، هم الذين حرضوهم على الرحيل إلى إسرائيل من خلال استخدام حيل قذرة، مثل إلقاء القنابل في الكنيس في بغداد لخلق انطباع العداء لليهود وا ضطهادهم، على نحو يعزز حمل اليهود على الفرار ذعراً إلى (إسرائيل)

(1) akiva orr, israel ; politics, myths and adentity, pluto press, london and boulder colorado, 1944 pp.5-6 ولد akiva orr في برلين عام 1931 وخدم في الجيش الإسرائيلي عام1948، درس بعد الحرب الرياضيات والفيزياء في الجامعة العبرية في القدس، وبعد أن ترك الحزب الشيوعي اهتم بإجراء بحوث عن الذكاء الصناعي.

ويروي كيف أن أحد الحضـــور صرخ بوجهه متهماً إياه بأنه (كاذب) وقال ذلك الشـــخص : إنه لا يوجد يهودي يلقي قنبلة على يهودي أو كنيس ولكن كانت لدي كما يقول (Morley) أدلة دامغة على ما قلت، وكانت معي نســـخ من الصـــحيفة الإسرائيلية الأســـبوعية Haolam –Ha-zeh العدد (20) نيســـان/ أبريل لســـنة 1966م التي نشرت تفاصيل مرفقة بالصور لتلك الأحداث، إذ قام عدد من اليهود العراقيين الذين أصـــيبوا بالعجز نتيجة لتلك القنابل التي ألقيت في بغداد بمقاضـــاة الحكومة الإسرائيلية، للحصـــول على تعويضـــات، وقد فضـــلت الحكومة تســـوية الموقف خارج المحاكم، إلا أن المراسلات القانونية وصلت إلى الصحافة الإسرائيلية ونشرتها بعض المجلات[1].

ولا شـــك أن كتاب (Ben Gurion's Scandals) لمؤلفه اليهودي العراقي (Naeim Giladi) قد كشـــف الكثير من أكاذيب وخدع بن غوريون، ويروي المؤلف تفاصـــيل موثقة عن دور اليهود في زرع الرعب بين الجالية اليهودية، ويقول في بداية الكتاب : في عام 1947، عندما لم أكن قد بلغت الثامنة عشرـــة، ألقت السلطات العراقية القبض علي بتهمة تهريب الشباب اليهود خارج العراق عن طريق إيران، كنـت يهودياً عراقياً، صـــهيونياً سراً، ولم يكن أبي عـارفاً بـانضـــمامي إلى الصـــهيونية، وحينما علم بذلك عاملني باحتقار، ويقول: معظم الذين هاجروا من يهود العراق، كانوا خائفين بسبب الدعاية والأفعال الصهيونية.

---

(1) akiva orr,op. cit.,p.6..

ويقول منذ آيار/ مايو عام 1950م عندما وصلت إسرائيل، اكتشفت حقيقة مرة فقد كان اسمي مكتوباً بجواز السفر بالعربية والإنجليزية، إلا أن الإنجليزية ليس فيها صوت (خاء) (kh) ولهذا فإن اسمي أصبح بالإنجليزية (kiaski) وهذه التسمية جعلت رجال الهجرة يعتقدون أني من يهود أوربا الشرقية (الأشكناز) وكان هذا الخطأ قد كشف لي الكيفية التي يتعامل بها الإسرائيليون، وسنعود في ما بعد إلى التفاصيل والأدلة الدامغة التي كشف فيها دور اليهود في إثارة الخوف والفزع لدى اليهود الآخرين، عند الحديث عن أحداث حزيران/ يونيو 1941 والتي تسمى بأحداث (الفرهود) وموجة إلقاء القنابل على التجمعات اليهودية1950-1951[1].

قبل أن نبدأ بالقصة الكاملة لتهجير يهود العراق أود أن أقدم القصة التي رواها شلومو هيلل في كتابه (رياح شرقية) المتضمن تفاصيل عملية التهجير التي تكشف جانباً من الأساليب التي تم إتباعها في تلك العملية. يقول هيلل: في مطلع تشرين أول/ أكتوبر 1949م، مثلت في مكاتب مؤسسة الهجرة بعد عودتي من إيران، وبعد إجازة قصيرة قضيتها لدى أسرتي في الكيبوتس، اطلعت على الجو السائد في بغداد من خلال البرقيات اليهودية السرية، التي كانت تصل من رجالنا من داخل بغداد (باستخدام جهاز اللاسلكي الذي بدؤوا باستخدامه عام 1943).

(1) Naeim Giladi , Bin Gurion's Scandals :How the haganah s the Mossad Elimina ted Jews.

ويقول: قابلت وزير الخارجية (موشه شيرت) وأكدت له من خلال اللقاء بأنه يجب عدم الاكتفاء بالعمل سراً من العراق، بل يجب أن نبدأ بعمل مكشوف وأن نبذل كل جهد ممكن، وأن نمارس كل الضغوط على الحكومة العراقية، ويضيف: لقد أدت الضغوط والحملات الإعلامية التي بدأنا بشنها بوساطة ممثليات (إسرائيل) في عواصم العالم، ومؤسسات يهودية عالمية مختلفة، إلى كشف بعض المصادر، وأثبتت وجود علاقة سرية للاتصال بين بغداد و(إسرائيل) فعندما أعلن موشه شيرت بأن لديه قائمة تضم 250 يهودياً معتقلين في بغداد، ردت على ذلك صحيفة (اليقظة) العراقية بقولها: أننا لا نرد على ذلك بالإيجاب، كما أننا لم ننف ذلك أيضا، ولكن الشعب يجب أن يدرك انه توجد لليهود في العراق وسيلة سرية لنقل المعلومات، وحتى نوري السعيد قال في كلمة ألقاها أمام مجلس النواب العراقي بأن السلطات العراقية مقتنعة تماماً بوجود اتصال لا سلكي بين الحركة السرية الصهيونية في بغداد وبين إسرائيل.

وأراد شلومو هيلل أن يصعد من الموقف، ويزيد من الحملات الإعلامية المضادة لبغداد، ولهذا يقول، ذهبت إلى (موشه فرلمن) الذي كان آنذاك ناطقاً بلسان الجيش الإسرائيلي برتبة مقدم وطلبت منه المساعدة، ولكنه قال، : إننا بحاجة إلى دليل يثبت ما نقوله من حالة العداء التي يتعرض لها اليهود في العراق، ويقول : إن هذا الطلب أصابني بالخيبة ولكن التقيت شخصاً اسمه (سامي)

الذي تبرع أن يكون هو الشخص القادم من بغداد وكان (سامي) قد غادر بغداد قبل عشرة أشهر، في حين كانوا يتحدثون عن أحداث وقعت قبل يومين، ويعترف شلومو بأنه كذب على المسؤول في الجيش الإسرائيلي وأبلغه بأن (سامي) قد وصل قبل يومين، فقرر (موشه) عقد مؤتمر صحفي.

ويذكر شلومو إنه قال لهم أن هناك مشكلة، تتمثل بأن القادم من بغداد لا يتحدث أية لغة، إنه لا يعرف العبرية ولا الإنجليزية وحتى العربية يتكلمها بصعوبة إنه مجرد تاجر صغير غير مثقف، وتبرع شلومو بالقيام بمهمة (الترجمة) وعقد المؤتمر الصحفي في اليوم التالي في فندق (ريتس) الذي حضره حشد كبير جداً من الصحفيين والمصورين، الذين ما أن رآهم (سامي) حتى استشاط غضباً، وقال: إننا لم نتفق على التقاط الصور، وتم ترتيب ذلك بالاتفاق مع الصحفيين بعدم التقاط أيّ صورة له يقول: وقف سامي، أمام الصحفيين وبدأ يسرد لهم، ما قرأناه في البرقيات التي وصلتنا مؤخراً من بغداد، وبدأ يضيف إلى ما موجود في البرقيات أشياء كثيرة وأسماء غير موجودة حتى شعرت انه بدأ يبالغ كثيراً.

وفي 26و27 تشرين أول/ أكتوبر 1949م نشر الصحفيون في (البلاد) وفي الخارج أقوال (اللاجئ اليهودي القادم من العراق) ونشرت صحيفة النيويورك تايمز الموضوع تحت عنوان رئيس (وصف للممارسات المعادية لليهود في العراق) بينما كتبت صحيفة هيرالد تربيون عن الموضوع تحت عنوان (يهودي فر من بغداد، يقول أن آلاف اليهود يرغبون في الفرار،

وغير ذلك من عناوين الصحف العالمية، لكن الممثل البريطاني في (إسرائيل) أ.ن.هيلم بعث برقية إلى وزارة الخارجية في لندن في أعقاب المؤتمر الصحفي، قدم فيها وصفاً لما جاء فيه وذكر أن الصحفيين البريطانيين والأميركيين قابلوا أمس اليهودي العراقي الفار وتأثروا به إيجابياً، لكنهم يعتقدون بأن أقواله تنطوي على عمل معين (كتاب شلومو هيلل، تهجير يهود العراق ص217-224).

ولا شك أن أسلوب الخداع الذي كشف عنه هيلل، يعبر عن الطريقة التي تعاملت بها الحركة الصهيونية مع هذا الموضوع، ويتضح بجلاء حجم الكذب الذي اعتمدوه في سبيل تحقيق أهدافهم، وذكرنا هذه القصة وهناك العشرات مثلها قبل استعراض مراحل الهجرة اليهودية من العراق.

إن الهجرة اليهودية إلى فلسطين، تُعد حجر الزاوية في المخطط العام للحركة الصهيونية منذ قيامها. وقد أزاح ديفيد بن غوريون، في تصريح رسمي له الستار عن اهداف الصهيونية عندما قال: (إن من واجب يهود العالم أن يعودوا إلى وطنهم الأول) ويقول عن ذلك د.خلدون نادي معروف[1]، بطبيعة الحال عندما يتحدث بن غوريون إنما ينطق بماله من صلاحية مطلقة للتعبير-إضافة إلى اعتباره من كبار قادة الحركة الصهيونية في العالم-عن عقيدة الصهيونية الصريحة دونما مواربة أو تنميق.

(1)د.خلدون ناجي معروف، الأقلية اليهودية في العراق بين سنة 1921و1952 ج2، مصدر سابق ص109.

وكان حديث بن غوريون يوم 31 تموز/ يوليو 1949م، وقال فيه هدفنا الآن، ينحصر- في حث يهود العالم على العودة إلى إسرائيل ولهذا فنحن نتوجه إلى الآباء اليهود لأجل مساعدتنا في إرسال أبنائهم وبناتهم إلى هذه الأرض المقدسة، وحتى فيما لو امتنع هؤلاء عن مساعدتنا، فسنعمل على استقدام الشبيبة اليهودية للعيش في إسرائيل. (انظر Lilenthal, What price Israel p. 191).

ارتبطت موجة الإرهاب الصهيوني ليهود العراق بالرغبة الصهيونية بتهجيرهم عنوة وتحت الضغط والإكراه إلى فلسطين[1] والربط بين الصهيونية والهجرة اليهودية، كان مثار تساؤلات طرحها حاييم كوهين، عندما قال: كيف كان مفهوم الصهيونية عند صهاينة العراق بعد انتهاء الحرب الأولى؟! ويضيف مما لا شك فيه أن هذا السؤال قد أثير وبحث بينهم بشكل أو بآخر، لكنهم لم يكتبوا أي شيء حول ذلك، هل كانت الهجرة أحد أهدافهم؟! ويذكر كوهين أول إحصاء جرى داخل إسرائيل عام 1948 والذي يرينا أن 160 يهودياً من مواليد العراق هاجروا حتى عام 1903م، و310 هاجروا بين 1904-1918م إضافة إلى أعداد صغيرة أخرى، ومن الإحصائيات يتبين أنه قد هاجر خلال تلك الفترة من العراق أكثر من ألف يهودي، بقي منهم على قيد الحياة 470 شخصاً عام 1948م، ويكون قد وصل 12 شخصاً من بين كل 1000 يهودي عراقي. (كوهين النشاط الصهيوني، ص23).

(1) د. صادق حسن السوداني، مصدر سابق ص179.

ومعروف انه لم يهاجر خلال سـنوات الانتداب إلا عدد ضـئيل جداً من اليهود العراقيين، وقد ازداد عدد المهاجرين قليلاً خلال السـنوات الأخيرة من الحرب العالمية الثانية، إلا أن عدد المهاجرين بقي منخفضـاً نسـبياً حتى عام 1949م، وفي هذه الأثناء أقامت الوكالة اليهودية منظمة صهيونية في طهران لتشجيع الهجرة، عن طريق إرسـال بعض الصـهيونيين للتسـلل إلى العراق وتحريض اليهود على الهجرة، وقد ازداد هذا التسـلل بعد أن أعلن رئيس وزراء إيران آنذاك عن اتباع سـياسـة (الباب المفتوح) بالنسـبة لجميع اللاجئين السـياسـيين والدينين، وحسـب ما ذكر إلياس سعد في كتابه (الهجرة اليهودية إلى فلسطين ص106) فإن 1700 متسلل من يهود العراق وصلوا إلى إيران عام 1949م ثم هاجروا إلى فلسطين[1].

وازدادت عمليات الهجرة غير الشرعية ليهود العراق عبر إيران، وعن طريق الموصـل-القامشـلي، وكان اندفاع اليهود للهجرة والمجازفة مرتبطاً بمسـألتين متلازمتين هما التحركات الصـهيونية التي سـبق وأشرنا إليها، وأحداث حزيران/ يونيو من عام 1941م والتي أطلق عليها أحداث (الفرهود) والتي كانت تهدف إلى إثارة حالة من القلق وعدم الطمأنينة لدى اليهود في العراق، وفي اعتقادنا أن ما حصـل في تلك الأحداث، إنما كان الخطوة الأولى التي قطعتها المنظمة الصهيونية على طريق الوصول إلى هجرة جماعية، كما حصل بعد ذلك بأقل من عشر سنوات.

(1)د.خلدون ناجي معروف، المصدر السابق ص114.

أحداث حزيران /يونيو

قيل الكثير عن أحداث حزيران/ يونيو عام 1941م والتي جاءت بعد فشل ثورة مايس، وهرب قادتها خارج العراق ودخول الجيش البريطاني مشارف بغداد يوم 29 مايس/ مايو 1941م، ويقول العديد من الباحثين إنه قد تهيأ المتعاطفون مع الوصي عبد الإله لاستقباله يوم 1 حزيران قادماً من الحبانية، حيث كانت هناك قاعدة جوية بريطانية كبيرة وخرج عدد كثير من اليهود فرحين بعودة عبد الإله وفشل حركة الكيلاني، وبسبب موقف اليهود ذلك حصلت مشادة كلامية بين يهودي ومسلم لم تلبث أن تطورت إلى قتال (صادق السوداني، النشاط الصهيوني في العراق ص113).

ويقول إميل مراد في كتابه (الحركة السرية في العراق) : إن اليهود الذين شعروا بالخوف والقلق على مصيرهم أيام حكم رشيد عالي الكيلاني، استعدوا بملابسهم الاحتفالية فرحين لاستقبال الوصي عبد الإله يوم 1 حزيران/ يونيو، وكان الجو متوتراً جداً، فقامت الحشود الإسلامية التي انضم إليها أيضاً تلامذة المدارس والموظفون الحكوميون وجزء كبير من رجال الشرطة المدنية والعسكرية بالانقضاض على يهود المدينة، وانزلوا بهم جام غضبهم، فقد قسموا المدينة إلى مناطق وأخذوا ينهبون ويقتلون، وقام المسلمون بالحراب والخناجر والسكاكين بالسطو على الأحياء اليهودية، وقتلوا كل يهودي صادفهم في الطريق

سـواءً كان رجلاً أو شـيخاً أو طفلاً وقتل الأطفال الرضـع في أحضـان والديهم، واغتصـبت النسـاء ثم قتلن بوحشـية، وفي اليوم التالي زودت الشرـطة المشـاغبين بالأ سلحة النارية وحتى بالر شا شات وا ستمرت المشاغبات أكثر شدة (إميل مراد ص17-18) ويفند د.صـادق السـوداني طرو حات إميل مراد، معتمداً على ما تو صلت إليه التحقيقات التي أجرتها اللجنة الحكومية والتي جاءت بخلاف العديد من النقاط التي أوردها الكاتب اليهودي في قصـته، ومن بينها أنه لم تحدث حالة اغتصـاب واحدة إطلاقاً، وما نضـيفه من تفنيد لما جاء في تلك الرواية، إنه يقول: إن الا شتباكات ا ستمرت لليوم التالي وا ضطر الشرطة لتزويد (المشاغبين) بالأ سلحة، وهذا يعني أن اليهود وتحديداً (الحركة الصـهيونية) كانت تمتلك أسـلحة قوية ولابد أن يكون هناك من ساندهم وقدم لهم التعزيزات والإمدادات العسكرية.

ويقول الكـاتـب اليهودي Dr. Motti Golan إن اليهود قـد تعرضـوا إلى هجمات منظمة يومي 1و2 حزيران 1941م نتج عنها الكثير من الخسـائر بين قتلى وجرحى، ونهبت منازلهم، ونعود إلى رواية ووصـف آخر قدمه الكاتب اليهودي – يهودا أطلس– في كتابه (حتى عمود الشنق، ص24) يقول: بعد أن هرب رشيد عالي الكيلاني وبينما كانت القوات البريطانية ترابط على أبواب المدينة، اندفع الجمهور كموجة عكرة من أجل الانتقام من اليهود ونهب ممتلكاتهم، و سارت أعمال الشغب على موجتين، الموجة الأولى بدأت في ساعات ما بعد الظهر واستمرت حتى منتصف الليل، بينما بدأت الموجة الثانية من سـاعات الصـباح حتى بعد ظهر اليوم التالي، ودخل المهاجمون في الحي اليهودي فأنزلوا ركاب الباصـات والسـيارات وذبحوهم جميعاً على حجر واحدة،

ثم اقتحموا الأبواب ومزقوا كل من سـقط بأيديهم إربًا إربًا وامسـكوا بالفتيات اليهوديات واغتصبوهن بشكل فظ، وقطعوا أجسادهن بالخناجر ونشروا الشرائح في كل اتجاه، كما انتزعوا الأطفال من أحضـان أمهاتهم وألقوا بهم في الآبار، وقاموا ببقر بطون النسـاء الحوامل وأخرجوا الأجنة من أحشـائهن، وأقدموا على انتهاك حرمة الكنس ومن فيها، وقد تم تسميم الجرحى الذين نقلوا إلى المستشفى الحكومي أو أهملوا عن عمد وسـبق إصرار من قبل الأطباء إلى أن لفظوا أنفاسـهم الأخيرة، ويفند Hayim v. Habonsha بعض النقاط التي أوردها يهودا أطلس، ويذكر أن الأطباء اليهود الذين كانوا في المسـتشـفى الذين نقل إليه الجرحى قد أقروا أن أولئك الجرحى قد لقوا علاجاً متخصصاً فعلاً، ويطرح بعد ذلك سؤالاً مهماً وهو : لماذا وقف البريطانيون دون حراك إزاء ما حصـل، على الرغم من أنهم كانوا عند ضـواحي المدينة وكان بإمكانهم إيقاف المذبحة، ويتوقع أن تنشر وثائق وأن يبحث المتخصصون في هذا الأمر ويضع تاريخاً لنشر الحقائق حدده بـ2017 ولا اعرف لماذا اختار هذا الموعد إذ تمضي على تلك الأحداث 76 سنة حينذاك!!

وقيل الكثير في أحداث حزيران/ يونيو 1941م، وهنا نورد رواية تفصيلية على لسان أحد أعضاء المنظمة الصهيونية في العراق خلال الأربعينيات، والذي دخل في تلك المنظمة إثر ما يسمى بأحداث (الفرهود) وهو اليهودي العراقي الذي سبق وأشرنا إليه Naeim Giladi في كتابه (فضائح بن غوريون) [1]

يقول: لم تتعرض عائلتي في العراق إلى أي شكل من أشكال الاضطهاد، كما أني لم أعاني أي حرمان هناك، فما الذي دفعني إلى الانخراط في صفوف الصهيونية سراً؟ للإجابة عن هذا السؤال لابد من الرجوع إلى أحداث الأول من حزيران 1941، يقول: كان عمري (12) عاماً حينها، وكان العديد ممن قتلوا هم من أصدقائي فشعرت بالغضب، إلا أن ما لم أعرفه حينها، هو أن أحداث الشغب تلك كانت من تحريض البريطانيين، فمع انهيار أركان الإمبراطورية العثمانية أصبح العراق تحت الوصاية البريطانية، وقد قام البريطانيون بجلب الأمير فيصل، نجل الشريف حسين، ليكون ملكاً على العراق في عام 1921م، وتم تعيين الكثير من اليهود في مناصب إدارية بارزة، بضمنها وزير المالية ساسون حسقيل،

(1) يذكر Naeim Giladi في كتابه (فضائح بن غوريون) إنه اضطر إلى إخفاء وثائقه في بنك خشية عليها، ويقول إنه قد حصل على بعض تلك الوثائق بطريقة غير قانونية وكان قد استنسخ بعضاً منها من أرشيفات Yad Vashem ليدعم ما رآه وما سمعه وما كتبه مؤرخون موثوقون عن الذي حصل في حزيران 1941 وعن القنابل الصهيونية في العراق، وغيرها من الأحداث التي يدبرها اليهود ضد اليهود لدفعهم إلى الفرار إلى إسرائيل.

وأدى موقف بريطانيا الحليف للصهاينة في فلسطين إلى إثارة غضب العرب، وقد لاحظ السفير البريطاني في بغداد، السير فرانسز همفريز، أنه بينما كان اليهود العراقيون متمتعين بمكانة مرموقة في العراق قبل الحرب العالمية الأولى، سعت الصهيونية إلى بذر بذور الخلاف والشقاق بين اليهود والعرب.

كان نوري السعيد يساند البريطانيين، فأطاح به أربعة ضباط عام 1941م طالبوا باستقلال العراق، وقد حاول هؤلاء الضباط استحصال العون من ألمانيا مما أثار بريطانيا فأرسلت قوة عسكرية إلى البصرة في (12) نيسان 1941، وكان في البصرة (30.000) يهودي معظمهم من الذين يتعاشون على الاستيراد والتصدير والتصريف وتجارة المفرد، وعمال في المطارات والسكك الحديد والموانئ وموظفين في الحكومة.

وفي يوم 12 نيسان/ أبريل قام حلفاء الوصي الموالي للبريطانيين بإخبار اليهود بأن الوصي يرغب برؤيتهم فذهب اليهود، محملين بالزهور لملاقاته، وعلى العكس من العرف المتبع، فقد أنزلتهم السيارات التي أقلتهم للاجتماع في موقع تجحفل عنده جنود بريطانيون.

وظهرت في اليوم التالي صور اليهود في الصحف تحت لافتة كتب فيها (يهود البصرة يستقبلون القوات البريطانية محملين بالزهور) وفي يوم 13 نيسان/ أبريل، قررت جماعات العرب الغاضبة الثأر من اليهود وسمع العديد من أعيان البصرة بالأمر والخطة المدبرة،

فحاولوا تهدئة الموقف وفي ما بعد تبين أن الوصي لم يكن في البصرة، وأن المسالة لا تعدو أن تكون سوى تحريض قامت به الجماعات المؤيدة للبريطانيين لإثارة حرب عرقية تمنح الجيش البريطاني فرصة التدخل في المنطقة.

واستمر البريطانيون بالتمركز في البصرة، وحولها واحتلت في 17 أيار/ مايو 1941م ساحة العشار فتصدى لها اليهود والمسلمون (دون جدوى) ويبدو أن هدف البريطانيين هو تشويه سمعة النظام الموالي للقومية في بغداد، مما يمنح بريطانيا فرصة التقدم إلى العاصمة بغداد، والإطاحة بحكومة الكيلاني، وسقطت بغداد في 30 أيار/ مايو وهرب الكيلاني والضباط إلى إيران، وأذاعت الإذاعات التي يديرها البريطانيون معلومات تفيد، أن الوصي عبد الإله سيعود إلى المدينة، وأن آلاف اليهود يخططون للترحيب به، إلا أن ما أثار الشباب العراقيين ضد اليهود بشدة هو ما أذاعه يونس بحري Yunas Bahri في المحطة الألمانية (برلين) بالعربية، من أن يهود فلسطين كانوا يقاتلون إلى جانب البريطانيين ضد الجنود العراقيين قرب الفلوجة وكان التقرير مزيفاً.

ولهذا السبب اندلعت أحداث الأول من حزيران/ يونيو في بغداد بين اليهود والمسلمين الشباب، وقد كان اليهود يحتفلون بعطلة (عيد نزول التوراة) بينما ظن الشباب العراقيون أنهم يحتفلون بعودة الوصي، ولهذا حدث في ذلك المساء أن قام مجموعة من العراقيين بإيقاف باص يقل ركاباً يهوداً وأخرجوا اليهود من السيارة وقتلوا شخصاً وجرحوا آخر.

وفي الساعة 8.30 صباحاً، قام ثلاثون شخصاً يرتدون بزات الجيش والشرطة بفتح النار في شارع الأمين في قلب بغداد جانب الرصافة الذي يضم متاجر لليهود، وفي الحادية عشرة قام جماعة من العراقيين بمهاجمة منازل لليهود.

واستمرت الأحداث لليوم الثاني، ومع ذلك تصدى بعض المسلمين للموقف، ودافعوا عن جيرانهم اليهود، وكان عدد القتلى يهودياً وجرح (400) فرد حسب التقرير الذي ذكرته الوكالة اليهودية في العراق آنذاك، أما التقديرات الأخرى فهي غير موثوقة إذ جاء فيها أن عدد القتلى بلغ (500) فرد والجرحى من (650) إلى (2000).

من كان وراء أحداث الشغب في ذلك الحي الذي يقطنه اليهود، إنه يوسف مئير، واحد من أبرز الناشطين في الحركة الصهيونية السرية في العراق، وكان يعرف آنذاك باسم Yehoshafat وكان يقال إنه بريطاني ويؤكد مئير، الذي يعمل الآن لصالح جيش الدفاع الإسرائيلي، أنه لغرض إظهار الوصي بصفة المنقذ الذي سيعيد القانون والنظام، فإن البريطانيين قاموا بإثارة أحداث الشغب ضد اليهود، يقول جيلادي: قادتني خبرتي الصحفية إلى تصديق مئير، وأعتقد بضرورة أن نؤمن بأن ما قاله صادر عن وثائق في أرشيفات جيش الدفاع الإسرائيلي، وحتى إن لم يكن الحال كذلك، فقد حصلت أنا على المعلومات من شخص التقيته في إيران أواخر الأربعينيات واسمه ميخائيل يتموسيان Michael Timosiar

وهو أرمني عراقي، كان يعمل حينما التقيته ممرضاً في شركة النفط الأنجلو إيرانية في عبادان، جنوب إيران، وكان يعمل يوم الثاني من حزيران/ يونيو عام 1941 في مستشفى بغداد الذي كان يضم معظم ضحايا أحداث الشغب، وكان معظمهم من اليهود.

وقال يتموسيان إلى نعيم جيلادي وهذا ما ذكره في كتابه (أكاذيب بن غوريون) أنه انتبه إلى مريضين لم يكن سلوكهما منسجماً والعرف المحلي، فقد تعرض إحدهما لإطلاقه في كتفه بينما أصيب الآخر في ركبته اليمنى، وبعد أن أزال الطبيب الرصاصة، حاولت الممرضتان تبديل ملابسهما الملطخة بالدماء إلا أنهما رفضا بشدة متذرعين بأنهما أبكمان (خرس) في حين أظهرت الفحوصات أنهما يستطيعان السمع، ولتهدئتهما قام الطبيب بحقنهما بمادة مخدرة، وعندما غطا في النوم، حاول يتموسيان استبدال ملابسهما، فوجد أن حول عنق أحدهما، قرص من النوع الذي يضعه أفراد القوات البريطانية في حين كان على ذراع الآخر اليمنى وشم بكتابة هندية.

وفي اليوم التالي، علم يتموسيان بمجيء ضابط بريطاني وعريف وجنديين للمستشفى لزيارة المريضين اللذين تحدثا معه (ولم يكونا أبكمين) ثم خرجا معهم من دون توقيع استمارات الخروج من المستشفى.

واليوم، لا يوجد لدي أدنى شك في دور البريطانيين في تلك الأحداث، لغايات جغرافية سياسية، ولعل ديفيد كمحي David Kimche في موقع يؤهله لمعرفة الحقيقة، إذ تحدث علناً عن الدور البريطاني، فقد كان يعمل في المخابرات البريطانية خلال الحرب العالمية الثانية ومع الموساد بعد الحرب، وأصبح في ما بعد المدير العام لوزارة الخارجية الإسرائيلية، وظل في الموقع في عام 1982م ليتحدث أمام محفل المعهد البريطاني للشؤون الدولية في لندن.

وجواباً على أسئلة معادية تخص الغزو الإسرائيلي للبنان ومذابح مخيم اللاجئين هناك، استرسل كمحي في هجومه مذكراً الحضور باهتمام بريطانيا بالموقف الذي شاركت فيه وحداتها بقتل (500) يهودي في شوارع بغداد عام 1941م.

وعندما انتمى المتحدث (نعيم جيلادي) إلى المنظمة الصهيونية وكان عمره كما ذكر 12 عاماً، لم يكن يرى هذا الجانب من الحقيقة، ولكن اكتشف ذلك بعد سنوات، وهناك معلومات أخرى يتحدث عنها سنعود إليها عندما نصل إلى فترة إلقاء القنابل على اليهود في بغداد.

وعن أحداث مايس/ مايو يقول المؤرخ عبد الرزاق الحسني: لما كانت العاصمة قد بقيت بدون حكومة مسؤولة هاجمها الأعراب المحيطون بها، وشرعوا في انتهاب البيوت والأسواق، وانضم لفيف من الرعاع إلى هؤلاء الأعراب، فوقعت حوادث أدمت القلوب وخلقت الرعب في النفوس، ولعدم توفر القوات الكافية لحفظ الأمن، فقد عادت الفوضى ليلاً وعمت مدينة بغداد،

بعد أن اشـترك بعض الجنود العائدين من جبهات القتال وقد تمت السـيطرة على الأمور وقمع الا ضطرابات وإنهاء حالة الفوضى، وأ صدر الوصي عبد الإله آمراً إلى رئاسـة أركان الجيش منع بموجبه المظاهرات وأجاز للقوات المسـلحة اسـتخدام السـلاح ضـد المخالفين، وتولى تنفيذ ذلك الفريق محمد أمين العمري الذي أعيد إلى الخدمة في ذلك اليوم، وأمر بإعدام كل شـخص يعتدي على حرمة البيوت والمتاجر، وانتهت الفوضى المدمرة في صباح الثالث من حزيران/ يونيو، ما عدا بعض الأعمال الفردية التي اسـتمرت حتى اليوم الخامس من ذلك الشـهر، بعدها عاد الوضـع الطبيعي إلى العاصمة[1].

وفي 7 حزيران/ يونيو تألفت لجنة برئاسـة توفيق النائب وعضـوية عبد الله القصـاب وسـعدي صـالح للتحقيق في هذه الحوادث وعقدت اللجنة اثنتي عشرـة جلسـة وأصـدرت تقريرها في الثاني من تموز 1941م واعتبر عدد القتلى (110) بضـمنهم ثمانية وعشرـون امرأة وهم مسـلمون ويهود، بينما يذكر رئيس الطائفة اليهودية في كتاب رفعه إلى رئيس الوزراء برقم 6498 بتاريخ 17/ 7/ 1941 أن عدد القتلى 130 بينهم 25 مفقوداً وعدد الجرحى 450 وهو يخص بذلك اليهود فقط (القتلى والجرحى). (انظر نص تقرير لجنة التحقيق د.خلدون ناجي معروف، يهود العراق ج2 ص231-245).

(1)عبد الرزاق الحسـني، الأسرار الخفية في حركة 1941 التحررية، ط2، مطبعة المعارف صـيدا 1964، ص243 وانظر: محمود الدرة، الحرب العراقية البريطانية 1941 دار الطليعة للطباعة والنشرـ، ط1 بيروت 1969، ص410.

ونجد الكاتب اليهودي حاييم كوهين يخالف عبد الرزاق الحسني في رأيه، الذي ذكرناه والذي يعزو سبب الفوضى لعدم وجود حكومة مسؤولة ويقول بهذا الصدد: إن الذين قاموا بأعمال السلب والنهب كانوا أساساً من الجماعات الجاهلة والأمية، الذين لا يقرؤون الكتب والجرائد ولا يملكون أجهزة راديو، واشتركوا في أعمال العنف بشكل أساسي بقصد الحصول على مكسب سهل. ولهذا فإنهم تشتتوا بسهولة، عندما أطلق النار عليهم عصر يوم الاثنين الثاني من حزيران/ يونيو، وكان بذلك يرد على الذين يقولون: إن الذين قاموا بتلك الأحداث قد تأثروا بالدعاية النازية التي كانت توجه إلى العراق. أما في الجانب الآخر من المسالة فيقول:-

لماذا لم يوقف القتلة عند اندلاع الشرارة الأولى؟ أو لماذا لم تصدر الأوامر بإطلاق النار على الذين قاموا بالسلب في الساعات الأولى للفرهود ؟؟ ويقول:- إن الوصي على العرش (عبد الإله) كان موجوداً في بغداد قبل أن يقتل أي يهودي، وبدون شك قد علم كل شيء عن المذبحة، التي حدثت في العاصمة، وكان عليه أن يصدر الأوامر، وقيل: إنه لم يفعل ذلك لعدم وجود حكومة في ذلك الوقت، وهذا التفسير يبدو انه ضعيف جداً لأن الوصي لا يستمد سلطاته من رئيس الوزراء، لذلك كان باستطاعته أن يأمر بإطلاق الرصاص على الذين قاموا بأعمال الشغب، ويتساءل كوهين عن سبب عدم تدخل القوات البريطانية التي كانت على مقربة من الحدث، وطرحت العديد من الإجابات حول تلك التساؤلات منها ما قالته Miss Freya Stark الموظفة في السفارة البريطانية في ذلك الوقت،

والتي ربطت ذلك بعدم محاولة بريطانيا إثارة العداء مع العراقيين، ولكن تبقى جميع التفسيرات لتلك الأحداث وموقف بريطانيا ضعيفة، ولا شك أن رأي Naeim Giladi وما رواه من وجود بريطانيين بين الجرحى وما يمتلكه من وثائق، كل ذلك يجيب بدقة على دور البريطانيين والمنظمة الصهيونية في أحداث حزيران/ يونيو 1941م والتي تعد من الخطوات المهمة بالنسبة للصهيونية، التي كانت تضع برنامجها الخاص بتهجير يهود العراق، ولا شك أن الذي يقوم برمي القنابل على اليهود لا يتوانى في فعل أي شيء، لتحقيق ما دعا إليه قادة الحركة الصهيونية في ذلك الوقت وقبله ومن أولئك ثيودور هرتزل، وما كتبه في يومياته بتاريخ 12 حزيران/ يونيو 1885م (يجب على المستوطنين الصهاينة طرد السكان) وأكمل ذلك فلاديمير جابوتسكي بقوله، : إن عمليات ترحيل الفلسطينيين لابد أن تتم بالقوة، ويقول ديفيد بن غوريون : إن كان يتطلع إلى البلدان الإسلامية بحثاً عن يهود يملؤون الفراغ الذي سيتركه سكان فلسطين الأصليون[1].

ومن غير السياسيين الذين عاشوا تلك الأحداث الدكتور العراقي المعروف كمال السامرائي الذي نشر مذكراته بعد أكثر من خمس وأربعين عاماً من ذلك التاريخ، ونشرها تحديداً عام 1996م (الجزء الثاني من حديث الثمانين) يقول فيه: أثناء الأحداث (يقصد ما حصل يومي 1و2 حزيران/ يونيو 1941م) اختل الأمن في بغداد وحدث ما يؤسف له من نهب وقتل بفعل بعض الغوغائيين،

---

(1) لمزيد من المعلومات حول تلك الأفكار انظر : رسائل بن غوريون.

فكان من ذلك بعض الضحايا الأبرياء وبخاصة من اليهود، على أن بعض المسلمين اندفعوا متبرعين لحماية بعض أفراد تلك الملة فآووهم في بيوتهم وأبعدوهم عن الأذى، وعن الاتهام الذي حاولوا إلصاقه ببعض الأطباء العراقيين بأنهم أهملوا الجرحى اليهود.

يقول د.السامرائي: على أثر عودة الأمير عبد الإله إلى بغداد بعد فشل حركة رشيد عالي، تم تكليف السيد جميل المدفعي بتشكيل الوزارة وفي هذه الوزارة ولي جعفر حمندي وزارة الشؤون الاجتماعية فعين الأستاذ هاشم الوتري عميداً لكلية الطب والمستشفى الملكي، ورأى الوتري تمشياً مع الأحداث الجسام التي انتابت البلاد والدولة، أن يغير كادر المستشفى الملكي، فكان أول من نال هذا التغيير هو عميد كلية الطب الأستاذ صائب شوكت فأزيح عن العمادة بتهمة النازية، وقتل اليهود الجرحى الذين أحيلوا إلى المستشفى الملكي في حوادث اليوم الثاني من حزيران/ يونيو 1941م هي تهمة جائرة لا صحة لها، إذ أن الدكتور صائب من النبل والإنسانية ما لا يمكن معهما أن يلوث اسمه بتلك الأعمال المشينة، أما ميله إلى النازية، فهي تهمة ألصقت بكثير من العراقيين الوطنيين الذين، كرهوا الإنجليز منذ أوائل العشرينيات، كما أبعد عن المستشفى الملكي الدكتور صبيح الوهبي والدكتور أكرم القيماقجي واستدعي الدكتور سلمان فائق إلى المستشفى.(د.السامرائي، حديث الثمانين ص11-14) [1].

(1) د.كمال السامرائي، حديث الثمانين، ج2 دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد 1996، الطبعة الاولى ص11-14.

ويقول Eliezer Beeri : إن ما يجب قوله، أنه لم يشترك جميع السكان المسلمين في سفك الدماء، بل إن البعض منهم خبؤوا قسماً من اليهود وحفظوا حياتهم وممتلكاتهم، أن هذا ليس أول حدث ينشب لقتل أو سلب ببغداد خلال فترة خالية من السلطة الفعلية، ففي مارس سنة 1917 عندما هرب الأتراك من بغداد واحتلها الإنجليز، فإن الرعاع اخلوا بالأمن ونهبوا الأسواق والمتاجر، وقد شمل السلب والنهب الجميع، بما فيهم اليهود، فلم يفرق أحد بين ملكة تعود لشخص ما وشخص آخر[1].

وبرغم أن الستار قد أسدل على أحداث حزيران/ يونيو التي أعقبت حركة رشيد عالي الكيلاني في مايس/ مايو عام 1941م إلا أن ما يمكن قوله بعد مرور أكثر من ستة عقود على تلك الأحداث، إن غالبية ما قيل وكتب عنها لم يبحث بدقة متناهية، ولم يتم التوصل إلى الوثائق الدامغة والأكيدة التي تحدد مسؤولية تلك الأحداث بالبريطانيين، الذين كانوا يساندون المنظمة الصهيونية في العراق ويعملون على تنفيذ برامجها. ونجد أن أولى الخطوات التي اتخذتها المنظمة الصهيونية في العراق بعد أقل من سنتين من تلك الأحداث، هو وضع جهاز اتصال (لاسلكي) في بغداد لتامين الاتصالات السرية مع مؤسسة الهجرة داخل الأراضي الفلسطينية،

(1)انظر Eliezer Beeri Army Officers in Arab Politics and Society , Israel University Press Jerusalem . 1969, P. 40 . وانظر: د. خلدون ناجي معروف، الأقلية اليهودية في العراق، الجزء الثاني ص48.

وخلال ثماني سـنوات من وضـع ذلك الجهاز، الذي مثل حلقة الاتصـال اليومية والذي أسهم في تبادل المعلومات وبما يؤمن نجاح النشاطات السرية واتساع رقعتها، ولا بد أن نأتي على قصـة ذلك الجهاز بعد موته، قبل أن نتحدث عن حركة التهجير التي نشـطت بعد ذلك التاريخ بوجهها السري ثم ما حصـل من تهجير جماعي. يقول شلومو هيلل: بعد اكتشاف مخبأ للأسلحة بمختلف أنواعها في بيت خبازة ببغداد عام 1951م في ذلك الوقت، بدأت الحركة السرية اليهودية في العراق، تصـفي ممتلكاتها هناك وتسـدل السـتار على وجودها بالذات، فقد تم إتلاف جميع المواد التي لم تسـقط بأيدي الشرطة العراقية، لكن الرمز الحقيقي لنهاية الحركة الصـهيونية في العراق، كانت قصة جهاز (اللاسلكي) الذي ظل طيلة سنوات عديدة منذ عام 1943م يؤمن الاتصـال مع (البلاد) وكان بمثابة مركز عصـب الرأس من الجسـد، ففي أحد الأيام من أواخر حزيران/ يونيو 1951م لم يجب جهاز (اللاسـلكي) على النداء الموجه إليه من إسرائيل في الوقت المحدد المعتاد يومياً، وهكذا لفظت الحركة الصـهيونية في العراق أنفاسـها، بعد بضـعة أيام وصـل إلى (البلاد) مأمورو اللاسـلكي من بغداد وأكملوا الصورة بقصة (الموت الغريبة) التي حكموا بها بأيديهم على جهاز اللاسلكي الذي أحبوه، لقد القوه في مياه نهر دجلة (شلومو هيلل، ص283).

شهدت فترة الأربعينيات الكثير من النشاطات والتحركات الصهيونية، ويقول د. خلدون ناجي معروف، في الحقيقة أن بداية النشـاط الفعلي الصـهيوني ابتدأ من 1941م على اثر حوادث حزيران،

وقد ابتدأ عن طريق اتصال من خارج إسرائيل بواسطة شخص اسمه (شاؤول أفيغدور) بأمر من ديفيد بن غوريون إلى قادة الهاجاناه والموساد، وقد وصل أفيغدور خلال تلك السنة بغداد بزي عسكري بريطاني، و قد لحقه أحد شخصيات الاستخبارات الإسرائيلية (أنزو سيرني) وقد اتّخذ (سيرني) رسمياً صفة ممثل لمؤسسة للإنشاء هي (سوليل بونييه) تعمل لحساب الجيش البريطاني، و ابتدأ سيرني العمل مع شخص ا سمه (ماير ماردور) أحد رؤ ساء شبكة المو ساد في بغداد، والمعروف با سم (مونيا) الذي كانت مهمته إنشاء وحدات دفاع ذاتي في الأحياء اليهودية لمواجهة ما أسماه كتاب[1] ((The Black Panther (مجزرة جديدة) وكان الهدف من الترويج الصهيوني لذلك، لجعل اليهود في حالة خوف وقلق، وليبرر أمام البعض الخطوة اللاحقة، والمتمثلة بجلب أسلحة وقنابل، وحتى يعتقد اليهود أنها لحمايتهم ولا يدرون إنما جاؤوا بها لإرهابهم وعلى هذا الأساس، وصلت بغداد أول شحنة سلاح قادمة من فلسطين في نهاية عام 1942م مسدسات وقنابل صغيرة، مخفية داخل باصات تملكها شركتان هما (أيجيد) و(دان) اللتان كانتا تؤمنان في ذلك الحين نقل عدة وحدات بريطانية بين فلسطين والعراق، وبعد توزيع السلاح على الأشداء من اليهود، وضع رجال الموساد الذين سبق ذكرهم نظاماً للاتصال اللاسلكي وأقيم مركز القيادة في حي الأسواق[2].

(1)د.خلدون ناجي معروف، المصدر السابق (ص89-90). وانظر : ,The Black Panther Nov, 1972, Translated From Heprew, p.4.

(2)المصدر السابق ص90.

وبالرغم من الدعايات الواسـعة التي اسـتخدمتها الصـهيونية مسـتغلة أحداث حزيران 1941م، ووجود عناصر من الشـباب اليهودي، الذين تربوا في المدارس الصـهيونية، إلا أن صعوبات جمة واجهت القائمين على موضـوع الهجرة اليهودية من العراق، وتشـير الإحصـاءات إلى أن مجموع الذين هاجروا من عام 1941 إلى عام 1945 لا يتجاوز السـبعمائة شـخص، (إلياس سـعد، الهجرة اليهودية إلى فلسـطين ص39) [1].

ومن الملاحظ أن أحداث 1941م قد فعلت فعلاً مؤقتاً في الجالية اليهودية، لهذا فقد سـجلت الهجرة أعلى أرقامها في السـنة اللاحقة لتلك الأحداث عام 1942م وكان عدد المهاجرين 351 شـخصـاً، ثم سرعان ما عادت الأمور إلى ما كانت عليه برغم كثافة النشاط الصهيوني في تلك الأثناء.

***

فيي عيد الفصـح عام1943م أي بعد مرور عام على مجيء المبعوثين، ضـمت الحركة السرـية 150-200 رجل وقد جمع هؤلاء في مكان واحد لتأسـيس فرع (حالوتس) في بغداد تأسـيسـاً رسـمياً، وكانت أعمارهم تتراوح بين 17-23 عاماً ومعظمهم من أبناء الطبقة الوسـطى، ولم يكن بينهم أحد تقريباً ينتمي إلى الطبقة المعدمة، لأن المؤسسين الأوائل ممن كانوا قد حصلوا على الدراسة الثانوية على الأقل،

(1) انظر : يعقوب يوسف كوريه، يهود العراق، مصدر سابق ص161.

ومن الطبيعي أن يجلبوا أصـــدقاءهم الذين كانوا عادة ينتمون إلى نفس الطبقة[1] وفي عيد الأسابيع عام 1943م عقد حفل أداء اليمين لأعضاء الهاجاناه الأوائل، وقد أقسموا اليمين، كل على حدة، وفي غرفة مظلمة وتوضع يدهم على مسدس والتوراة، وكانوا قد تلقوا تدريبات عنيفة في الجودو، كذلك تدربوا على كيفية اســتخدام المسدسات من نوع (ماوزر) و(توبي) [2].

على أي حال منذ عام 1943م اســتمرت حركات حالوتس والهاجاناه في التطور وأنشــأت فروع للحالوتس في مدن مختلفة من العراق كذلك أقيم فرع للهاجاناه في البصرة، وفي عام 1947 في كركوك واستمرت الهجرة السرية ولكن بشكل محدود.

ويقول أميل مراد: واصـلت حالوتس عملها سراً وحصـلوا على السـلاح بجميع الوســائل، ونقل إلى اليهود ووزع على المنازل والكنس، وحتى عام 1947م كان لدى اليهود أسلحة وفيرة، كانت كافية لحرب أهلية فعلية بين اليهود والعرب[3].

شهدت عام 1947م عملية تهجير سرية من نوع جديد وهي عملية (مايكل برغ) التي وصــف خطواتها بدقة الذي قام بتنفيذها والإشراف عليها شــلومو هيلل، وهنا كان لجهاز الاتصـــال اللاســـلكي الدور الأكثر خطورة وفاعلية (والذي تحدثنا عنه سابقاً) وكانت الاتصالات تجري من على سطح منزل (ألبرت باباي) عضو الحركة السرية وسبق لـ(ملكة روفيه)

(1)حاييم كوهين، النشاط الصهيوني في العراق، مصدر سابق ص158.

(2)المصدر السابق ص158.

(3)إميل مراد، قصـة الحركة السـرية الصـهيونية في العراق، مركز الدراسـات الفلسـطينية بغداد 1973، ص26.

التي تُعد أول من عمل على الجهاز أنْ سـكنت في بيته، والتي غادرت العراق بعد فترة قصيرة من تأمينها للاتصال اللاسلكي من بغداد، وأخذ مكانها باستخدام الجهاز اليهودي العراقي (أبراهام موريد) الذي اسـتمر في عمله حتى انتهاء نشـاط الحركة الصهيونية عام 1951م.

وتمت بالفعل في آب/ أغسـطس عام 1947م عملية تهريب خمسـين شـخصاً من بينهم عدد من الفتيات، وكان قد أعد لهذا العمل إعداداً دقيقاً وتم تأجير طائرة أمريكية بمبلغ خمسـة آلاف جنيه إسـترليني، كانت تعادل خمسـة آلاف دينار عراقي في ذلك الوقت، ويقول شلومو عن تلك العملية، أنه بعد أن تجمع المهاجرون تم الاتفاق على أن تقلع الطائرة في السـاعة الثالثة والنصـف صباحاً بتوقيت بغداد وحضر- مساءً (موشـة علياه) وأبلغني بان الجميع حضر-وا من كافة المناطق، خمسـون فتى وفتاة، وزعوا على ثلاثة منازل وأضاف أن شنيئور (وهو: سليم نسيم يسرائيل) قد جاء من كركوك برفقة تسعة أشخاص من المنطقة الشمالية، بينهم شقيقته الصغيرة رينا.

كان الأشخاص ينتظرون عند نهاية المدرج، وما أن توقفت الطائرة مثيرة الضجيج والغبار حتى تسللوا بسرعة واندسوا داخل الطائرة، وما أن حلقت الطائرة حتى بدأ المهاجرون بالتصفيق والنشيد معربين عن سرورهم،

وكان من بينهم شولميت من البصرة، و شو شانا (التي أصبحت فيها بعد عضواً في الكنيست باسم شاشانا أربيلي-الموزيلينو) وهي من الموصل، والتي كان من الضروري إخراجها من العراق على وجه السرعة، حيث إن الشرطة اكتشفت أمرها، وأوشكت على اعتقالها[1].

وفي 22 أيلول/ سبتمبر عام 1947م، نجحت المحاولة الثانية لتهريب خمسين شخصاً من خلال الطيران وبنفس الأسلوب الأول، عملية (مايكل برغ) التي أشرنا إليها، وكانت الهجرة قد تمت منذ عام 1942-1948م بثلاث وسائل رئيسية وغير شرعية وهي:عبور الحدود، تزوير الجوازات، الهجرة جواً بالطائرات.

يقول حاييم كوهين، منذ عام 1948م، لم تعد الهجرة غير المشروعة عن طريق سوريا وشرق الأردن ممكنة، ولذلك كان من الواجب إيجاد طريق آخر، في حزيران/ يونيو 1948م سافر شلومو هيلل إلى فرنسا بجواز سفر عراقي مزور، ومن هناك سافر إلى إيران، وهكذا بدأ هيلل يبحث عن طريق آخر لتهجير عشرات الألوف من إخوانه إلى إسرائيل، وكان ذلك عن طريق إيران[2].

---

(1) شلومو هيلل، تهجير يهود العراق، مصدر سابق، ص33-34، وجاء اسم العملية المذكورة مشتقاً من اسمي الطيارين الأميركيين الذين قادا أول طائرة لنقل المهاجرين من بغداد في آب 1947.

(2) حاييم كوهين، النشاط الصهيوني في العراق، مصدر سابق ص190.

خلال عام واحد، هاجر عدة آلاف من اليهود بهذه الطريقة، وكانت من بينهم عائلة كاملة بالشيوخ والنساء والأطفال، لأن الهرب من هنا كان سهلاً، خاصة للذين اجتازوا الحدود الإيرانية من البصرة بواسطة عبور شط العرب، كانت هناك طرق اكثر صعوبة، بغداد-خانقين-كرمنشاه، بغداد-كوت-العمارة-إيران، كركوك-السليمانية-إيران، واختلفت هذه الهجرة عن الهجرات غير المشروعة الأخرى بأنها كانت منسقة من جانبي الحدود، إذ كان رجال مؤسسة الهجرة بانتظار المهاجرين في نقاط معينة على الحدود الإيرانية، وفي عام 1949م جربوا طريق كركوك-إيران لأول مرة[1].

يقول صادق السوداني، : إنَّ العراقيين اليهود الذين هاجروا من العراق إلى فلسطين المحتلة بين 15 مايس/ مايو 1948م وهو تاريخ قيام الكيان الصهيوني وحتى نهاية السنة لم يزد على (15) شخصاً، وقدر عدد اليهود الذين غادروا العراق منذ قيام الكيان الصهيوني وحتى منتصف كانون الأول/ ديسمبر عام 1949م بـ(1500) شخص ولكن عدد من وصل منهم إلى فلسطين المحتلة في هذه الفترة بلغ مئة شخص تقريباً، مقابل ذلك فمنذ أواسط كانون الأول 1949 وحتى نهاية شباط/ فبراير 1950م هاجر إلى فلسطين المحتلة (3000) يهودي ما عدا الآلاف العديدة التي وصلت إلى طهران بصورة غير مشروعة، وعاشت هناك في معسكر المهاجرين، وهناك من يقدر عدد مغادري العراق في هذه الفترة القصيرة بعشرة آلاف يهودي عراقي وهو تقدير مبالغ به[2].

(1)المصدر السابق ص190.

(2)د.صادق حسن السوداني، النشاط الصهيوني في العراق، مصدر سابق، ص182.

ويذكر شـلومو هيلل أنه كانت بعض الصـعوبات تعترض عمليات التهريب عبر طريق إيران ففي يوم 17/ 1/ 1949 ألقي القبض على أربعة شباب (بينهم شاشـون يتسـحاقي الذي أصبح فيما بعد قائد لواء مدرع وشـارك في حرب الاسـتنزاف ضـد مصر، ثم وصـل إلى رتبة عميد/ 2 في الجيش الإسرائيلي و كانوا في طريقهم من (خرمشهر) إلى (الأهواز) كي يستقلوا القطار من هناك إلى طهران، وأدخلوا السجن في جنوب إيران في ظروف لا يحسدون عليها وبعد قضائهم مدة شهرين في السجن، نجحنا في الإفراج عنهم مقابل كفالة مالية كبيرة، ويقول : عندما وقع حادث القبض الثـاني في 29/ 1/ 1949 وألقي القبض على مهـاجرتين في محطـة قطـار (الأهواز) سارعنا لمعالجة الأمر بالنقود(1).

(1) شـلومو هيلل تهجير يهود العراق، مصـدر سـبق ذكره، ص166، ويذكر انه في 14/ 6/ 1949 القي القبض على مجموعة مهاجرين تضم 13 شخصاً في جنوب إيران، كما اعتقلت آنذاك مجموعة مهاجرين تضم 22 شخصاً كانوا قد و صلوا إلى جنوب إيران بأ سلوب (الهروب الفردي) ويقول في البداية: لم نتوقع مواجهة صعوبات خاصة، إذ كنا قد اعتدنا على مثل هذه الاعتقالات في جنوبي إيران، ولم نكن نواجه صعوبة بشكل عام في حل هذه المشـاكل، كان المعتقلون ينتقلون إلى طهران من أجل تقديمهم إلى المحكمة وفي المحكمة تفرض عليهم غرامة رمزية ويسـمحون لهم بالبقاء في معسكر المهاجرين إلى حين منحهم وثيقة مرور، ولكن في يوم 17/ 6/ 1949 جاء النبأ كالصـاعقة إذ كانت التعليمات الواردة من طهران موقعة من قبل وزير الخارجية (حكمت) بالذات وتقول (طرد المعتقلين إلى العراق) وكان ذلك بضغوط من وصي العراق عبد الإله الذي كان في زيارة إلى طهران وبعد أن مارس اليهود هناك ضـغوطهم مسـتعينين بالجالية اليهودية وبالولايات المتحدة أبرق هيلل من طهران قائلاً بفضل الضغوط الكبيرة التي مارسناها عقدت امس (22/ 6/ 1949) جلسة الحكومة وقررت إلغاء أمر الطرد الذي كان موقعاً من قبل وزير الخارجية، وسيتم نقل الرجال إلى العاصمة.(تفاصيل القصة من ص191-196، تهجير يهود العراق).

يقول (Don peretz) في العام 1949 ازداد التوتر وأن ما يقارب خمسة آلاف يهودي عراقي تركوا العراق إلى إسرائيل، وقد كان اليهود يشغلون حيزاً ونسبة كبيرة في المجالات الحيوية في الدولة، وقد ترك رحيلهم فراغاً كبيراً في مجال الإدارة الحكومية وحقل الأعمال الاقتصادية والتجارية، ولم تستعد حالة الارتباك تلك إلا بعد فترة ليست بالقصيرة(1).

يقول (Lilinthal) في كتابه (What price Israel , p 198) : بعد قيام إسرائيل، قامت المنظمات الصهيونية والسلطات الإسرائيلية بالضغط على يهود العراق لدفعهم للهجرة إلى إسرائيل سراً وعلانية، ليعيشوا فيها كجزء من عمليات الضغوط التي تمارسها على بلاد الشرق الأوسط، وقد وجد بعض يهود العراق أنفسهم بعد حوادث القتال 1948م في وضع حرج نسبياً، وليس من الصعب توضيح الحقائق لمعرفة الدوافع الرئيسية التي أدت إلى توتر العلاقات بين العراقيين العرب ومواطنيهم اليهود، فمن الثابت أنه نتيجة لما أثارته المنظمات الصهيونية في نفوس هؤلاء اليهود من الخوف والأمل في حياة رغيدة حافلة بفرص السعادة والثراء في الأرض المحتلة، ونتيجة تصرف فئة قليلة من الصهيونيين التي كانت تعيش في العراق، فرضت السلطات العراقية تدابير ورقابة شديدين بحق اليهود في العراق،

(1) Don Perets , The Middle East Today . Holt, Reinhart, Winston. New York. 1963. P.388. وانظر: د. خلدون ناجي معروف الأقلية اليهودية في العراق ج2، ص116.

وهذا لم يكن مألوفاً من قبل، وأن الصهيونية مارست ضغطاً كبيراً وحرباً نفسية على يهود العراق، وقد استغلوا الوضع النفسي ـ العام الناجم عن الحرب في فلسطين فوزعوا منشورات وكراسات في الكنس معنونة (لا تشتري من المسلمين) وبعمدية وقصدية أسقطت بيد المسلمين، وكان القصد منها إثارة العداء لليهودية من ناحية وإثارة قلق الحكومة من ناحية أخرى.

إرهاب وهجرة

من الواضح أن خطة إرهاب اليهود العراقيين قد وضعت منذ بداية الأربعينيات، عندما بدأت المنظمة الصهيونية بإدخال الأسلحة والمتفجرات إلى العراق، وتم تحديد مخابئ محددة لتلك الأسلحة، وكما ذكرنا فإن المنظمة الصهيونية كانت تستخدم الدعاية، باتجاه تأمين حماية لليهود، أثر الأحداث التي حصلت يومي 1و2 حزيران/ يونيو عام 1941م وركزوا في خطابهم الدعائي على مسألة تأمين الحماية وخشية حصول (أحداث شغب) مستقبلاً، وكان ذلك ضرورياً لإقناع الكثير من العوائل اليهودية لقبول وجود تلك الأسلحة، والسماح لأبنائها بالتدرب عليها، وتبين لاحقاً وبالأدلة والوثائق الدامغة، أن تلك الأسلحة والمتفجرات إنما كانت أحد المفاصل المهمة والضرورية في مخطط تهجير يهود العراق، الذي أخذ عدة مراحل كانت تعتمد التهجير السري، ثم سنأتي على الهجرة العلنية ومن ثم الهجرة بالترهيب.

أما الهجرة العلنية، فقد جاءت بعد أن أصدرت الحكومة العراقية القانون رقم (1) لسنة 1950/ قانون ذيل مرسوم إسقاط الجنسية العراقية رقم 62 لسنة 1933م في السادس من آذار/ مارس 1950م، وكانت نقاشات واسعة قد تمت في مجلس النواب برئاسة عبد الوهاب مرجان، وبعد أن أقر مجلس النواب اللائحة الخاصة بذلك في 2 آذار/ مارس، حولت إلى مجلس الأعيان للموافقة عليها لتصدر بصيغة قانون، وقد تصدى المجلس لدراستها ومناقشتها في جلسته المنعقدة في 4 آذار/ مارس 1950 برئاسة جميل المدفعي، الذي أشار في مستهل الجلسة إلى اقتراح وزير الداخلية المؤرخ في اليوم ذاته (4 آذار/ مارس 1950م) والمرفوع لرئيس المجلس، والذي جاء فيه (أرجو أن يوافق المجلس العالي على المذكرة في لائحة قانون ذيل مرسوم إسقاط الجنسية العراقية رقم 62 لسنة 1933 بطريقة الاستعجال في هذه الجلسة ذلك؛ لأن الحكومة تشعر بضرورة وضع مثل هذه اللائحة موضع التنفيذ بالسرعة الممكنة بالنظر للظروف والأحوال الراهنة التي لا تخفى على مجلسكم المحترم).

وحصلت الكثير من النقاشات الحادة حول المسألة، ولكن برغم ذلك صدر القانون في السادس من آذار/ مارس 1950م، وجاء صدوره تأكيداً لما تردد منذ بداية ذلك العام من أن الحكومة ستسمح لليهود بالتنازل عن جنسيتهم وأملاكهم والمغادرة إلى أي بلاد أخرى، حتى ولو كان التوجه إلى إسرائيل،

ولكن ليس بصـــورة مباشرة وبعد صـــدور القانون أبرق مرد خاي بن فورات مسؤول الحركة الصهيونية السرية في العراق مسؤول الهجرة برقية قال فيها:(حانت ساعة الخلاص، قررت الحكومة الموافقة على خروج اليهود بأكثرية الآراء) (1).

ويذكر شـلومو هيلل أنه في مطلع آذار/ مارس 1950م، صـادق البرلمان العراقي على ملحق لقرار إلغاء الجنســية العراقية الذي جاء فيه: (إن مجلس الوزراء مخول الصـلاحية باتخاذ قرار يسـلب الجنسـية العراقية من كل يهودي عراقي الذي يطلب بمحض إرادته الحرة واختياره، مغادرة العراق إلى الأبد بعد توقيعه على نموذج خاص أمام الموظف الذي يعين لهذا الغرض بموجب قرار من مجلس الوزراء) وخلال وقت قصير، بلغ عدد اليهود الموقعين على هذا النموذج عشرة آلاف، وأصبح واضحاً بأنه في غضون أول سنة من سن هذا القانون سيتمكن جميع اليهود العراقيين من مغادرة العراق وهذه المرة بموافقة السلطات العراقية(2).

وسبق ذلك في شتاء 1950م وبينما كان نوري السعيد لا يزال بعيداً عن دفة الحكم في العراق، توصـــل خلفاؤه المؤقتون إلى اسـتنتاج بأنه لا يمكن الاسـتمرار هكذا (بخصـوص أوضـاع اليهود العراقيين) وفي 27 كانون الآخر/ يناير أصـبح بمقدور مردخاي بن فورات أن يرســل برقية من بغداد هذا نصـها: وثقنا العلاقة مع زعيم الطائفة شـمطوف، وأرسـلناه لمقابلة رئيس الوزراء لبحث موضـوع المعتقلين وجوازات السفر،

(1) د. صادق حسن السوداني، مصدر سابق، ص210.

(2) شلومو هيلل تهجير يهود العراق، مصدر سابق ص213.

وقد وعد الرئيس بأن موضـوع منح جوازات سـفر لليهود، سـيتم تسـويته، كما سـيعاد النظر في الأحكام التي أصـدرت بحق اليهود في الفترة ما بين تشرـين أول- كانون أول، ويقول هيلل: (في 15 شـباط/ فبراير أبرق رجالنا من بغداد بأن رئيس الحكومة الجديد (توفيق السـويدي) أبلغ شـمطوف بان الحكومة قررت منح (وثيقة مرور) لليهود الذين يطلبونها وأنه سيصدر قريباً بيان بهذا الشأن، وبعد أسبوع أي في 22 شـباط/ فبراير وصـلـت برقيـة أخرى من بغـداد تؤكـد هـذا النبـأ، وفي 27 شباط/ فبراير أبلغنا رجالنا من بغداد، بأن شمطوف أبلغهم بأن الموضوع سيجد حله في غضـون أسـبوع، وإن شـمطوف يطالب بمنح اليهود جوازات سـفر، وليس وثيقة مرور[1].

منذ أواسط مايس/ مايو 1950 وحتى نهاية العام هاجر بشتى الطرق (26000) يهودي تقريباً وبلغ عدد المهاجرين خلال عام 1950 بكامله (32000) يهودي وقد سارت هذه الهجرة ببطء خاصة أن (60000) يهودي تنازلوا عن جنسياتهم العراقية حتى نهاية عام 1950م وحسب قانون التخلي اعتباراً من آذار/ مارس 1950م حظر العمل على المتخلفين عن جنسياتهم العراقية

(1) المصدر السابق،ص229 : وفي يوم الخميس 2 آذار/ مارس 1950 في الوقت الذي تجمع فيه اليهود في الكنس لتلاوة وثيقة (إسـتر) (بوريم عيد المسـافر) علموا وهم داخل الكنس بأن صـالح جبر، وزير الداخلية العراقي قدم إلى البرلمان العراقي مشرـوع قانون يسـمح لليهود بمغادرة العراق إلى الأبد شريطة التنازل عن جنسـيتهم العراقية، وأن البرلمان بدأ مناقشـة هذا المشرـوع وفي اليوم التالي علم أن البرلمان أقر المشروع بأغلبية الأصوات، ورفعه إلى مجلس الأعيان.

وأجبروا على مغادرة البلاد خلال أسبوعين، يضاف إلى ذلك أن مدة سريان مفعول هذا القانون كانت عاماً واحداً فقط، وكان الخوف من ألا تسمح الحكومة العراقية لليهود بمغادرة العراق بعد 9 آذار/ مارس 1951 قائماً برغم ضعف احتمالاته، ولذلك كان من الضروري حسب رأي الحركة الصهيونية في العراق، الإسراع في عملية الهجرة(1).

هنا جابهت الحركة الصهيونية مشكلة جديدة، وبرغم أنها لم تكن مفاجئة لهم من خلال معرفتهم بدقائق توجهات ومشاعر الطائفة اليهودية في العراق، وقد وضعوا في مخططاتهم علاجاً لها إلا أن المرحلة التي أعقبت صدور قانون الهجرة، أصبحت حاسمة ودقيقة، خاصة أن الأيام الأولى من صدور القانون شهد إقبالا متزايداً للانضمام إلى المجاميع، التي تريد الهجرة وبلغ الرقم عشرة آلاف خلال أيام، وبرغم أن شلومو هيلل في كتابه يقول : إن الحماسة كانت كبيرة، وأن الإقبال يزداد يوماً بعد آخر، إلا أن حقيقة الأرقام التي ذكرتها المصادر اليهودية والتي قالت : إنه إلى نهاية سنة 1950م لم يسجل إلا 60 ألف يهودي، ولم يهاجر منهم إلا 26 ألف يهودي، وهذه الأرقام تدل على أن الذين اندفعوا أولاً للتسجيل كانوا من العناصر التي تشبعت بالأفكار التي زرعتها المنظمات الصهيونية العاملة في العراق حينذاك،

---

(1) حاييم كوهين، النشاط الصهيوني في العراق، مصدر سابق، ص193.

وشــمل ذلك الشــباب أولاً، واندفع هؤلاء خلال الأيام الأولى طالبين الهجرة والتنازل عن الجنسـية العراقية، أما التسـعة أشــهر الباقية فقد سـجل خلالها أقل من خمسين ألف يهودي وذلك العدد يشكل أقل من نصف يهود العراق.

وهنا لابد من الإشــارة إلى أن الذي كان يشرــف على برنامج الهجرة اليهودية من العراق، قد ذكر أن اليهود قد اندفعوا بحماسة منقطعة النظير في الأيام الأولى للتسجيل على اسـتمارات الهجرة، إذ يقول : إن يهود العراق ما أن أعطوا الضـوء الأخضر ـ لبدء التسـجيل حتى تدفق الراغبون بالهجرة، ووصـل عددهم إلى عشرـة آلاف شـخص في غضون اقل من أسبوعين، وبدأ العدد يزداد يوماً بعد آخر (انظر: شلومو هيلل، تهجير يهود العراق ص233و234).

في حين يذكر حاييم كوهين ما هو مخالف لذلك، يقول (كان إصـدار قانون الهجرة مفاجأة لليهود، وقد خشـوا أن تكون الحكومة قد اسـتهدفت كشـف الصـهاينة الذين سـيسـجلون أسـماءهم لمغـادرة العراق، لـذلـك فخلال الشــهر الأول (لغـايـة 9 نيسان/ أبريل 1950م) لم يسجل سوى 126 يهودياً للهجرة، وفي اليوم التالي للفصح (10نيسـان/ أبريل) بدأ الاكتتاب الجماهيري، وقد تحدث يعقوب عيزر، أحد أعضـاء الهاجاناه عن الدافع الذي جعل يهود العراق يغيرون موقفهم، في اليوم الأخير من عيد الفصـح (عام 1950م) يقول حضرـ إلى منزله مبعوثان من فلسـطين ومسـؤولان من حركـة حـالوتس لكي يتبـاحثوا حول موقفهم إزاء القـانون الجـديـد، كـان رأي المبعوثين أرجاء كل قرار إلى أن يصل خبر من إسرائيل،

بينما كان رأي المحللين تشجيع الاكتتاب لكي يضغطوا بذلك على المؤسسات في إسرائيل، لتتخذ قراراً إيجابياً وسريعاً لئلا يؤدي التمهل إلى فتور حماسة اليهود للهجرة وقد صيغ قرار بهذه الروح وأعدوا نداءً ليهود العراق، يهيب بهم أن يسجلوا أسماءهم وتلي النداء في مســاء ذلك اليوم في الكنس، في اليوم التالي ســجل 3400 يهودي أسماءهم وتخلوا عن جنسيتهم العراقية (حاييم كوهين، النشاط الصهيوني في العراق، ص193).

ويبدو أن معلومات كوهين ليســت دقيقة، فقد كان اليهود يعلمون بتطور الأمور أولاً بأول، وذكر شلومو الذي كان يتابع النشاطات الصهيونية ساعة بساعة ومن خلال البرقيات المرسلة عبر جهاز اللاسلكي أن اليهود منذ شباط/ فبراير 1950م كانوا يعلمون بان قراراً سيصدر بشأن السماح بالهجرة ولم يكن ذلك مفاجئاً كما يقول كوهين، ولم تكن هناك حالة تخوف من معرفة أســماء عناصر الحركة السرــية، لأنهم ســيســجلون أســماءهم وفق قانون أقرته الدولة، ولكن الحقيقة الثابتة أن المؤســسة المسؤولة عن الهجرة واجهت كما أسلفنا معضلة ضعف الاندفاع للتسجيل برغم كل ما عملوه من دعاية وترهيب وتعليم ديني، امتد لما يقرب من تســعة عقود منذ أن تأسست ونشطت مدارس الإليانس الإسرائيلية في العراق في ستينات القرن التاسع عشر.

وهنا، كان لا بد من البدء بالمرحلة الحاسـمة، وهي الإرهاب المباشر لتخويف اليهود وزرع حالة من الرعب والهلع في قلوبهم من خلال إلقاء القنابل على أماكن تواجدهم.

وبدأت موجة الانفجارات في الثامن من نيسـان/ أبريل 1950م، أي بعد مرور شـهر تقريباً على قرار الحكومة بالسماح لليهود بالهجرة، وقد انفجرت قنبلة يدوية في شارع أبي نؤاس بالقرب من كازينو (البيضاء) التي كان يتردد للجلوس فيها عدد كبير من اليهود وجرح عدد منهم وفي 14 كانون الآخر/ يناير عام 1951م، انفجرت قنبلة يدوية قرب كنيس (مسعود شمطوف) حيث كان مقر تسجيل اليهود، الذين يرغبون بإسقاط الجنسية العراقية عنهم، وقتل فيها شخصان وجرح آخرون، وفي التاسع عشر من آذار/ مارس من العام ذاته، انفجرت قنبلة في مكتب الإسـتعلامات الأميركية والذي كان يرتاده اليهود باستمرار فجرح عدد منهم، وفي العاشر من مايس/ مايو أي بعد أقل من شـهرين، انفجرت شـحنة متفجرات في شركة بيت لاوي التجارية للسـيارات التي يملكها يهود، وفي الخامس من حزيران/ يونيو 1951م انفجرت شحنة مفرقعات قرب شركة (ستانلي شعشوع) التجارية اليهودية.

وقد انعكس ذلك الفعل على أرقام الهجرة التي سـجلت عام 1951م وحققت طفرة كبيرة فبينما هاجر (32 ألفا) عام 1950 هاجر (89088) عام 1951م ومع أن الخسائر الناجمة عن التفجيرات لم تكن كبيرة إلا أنها حققت نتائج ملموسة على صعيد دفع اليهود للهجرة من العراق.

وفي كتابه (فضائح بن غوريون) يتعرض Naeim Giladi بالتفاصيل والوثائق إلى تلك التفجيرات ويقول: جاءت أول قنبلة ألقيت على اليهود في 8 نيسان/ أبريل 1950م في الساعة التاسعة والربع مساء في مقهى البيضاء، التي كان اليهود يحتفلون فيها بعيد (الخروج من مصر) وقد جرح أربعة أشخاص وتم في هذا اليوم، توزيع منشورات تطالب اليهود بمغادرة العراق فوراً، وفي اليوم التالي توجه الكثير من اليهود، ومعظمهم من الفقراء إلى مكاتب الهجرة لإلغاء مواطنتهم والتوجه إلى إسرائيل.

ومازال أصحاب الدعاية الصهيونية يؤكدون أن القنابل ألقاها عراقيون معادون لليهود، أرادوا طرد اليهود من بلدهم، والحقيقة المرة، هي أن القنابل التي جرحت اليهود ودمرت ممتلكاتهم ألقاها يهود صهاينة كما يؤكد ذلك Giladi.

وهذا هو أيضا ما استنتجه Wilbur Grane Eveland، وهو ضابط كبير سابق في وكالة المخابرات المركزية (C I A) الذي سنحت لي فرصة الالتقاء به في نيويورك عام 1988، كما يقول Giladi وذكر هذا الضابط في كتابه الذي يحمل عنوان (حبال الرمل) Ropes of Sand الذي عارضت وكالة المخابرات المركزية صدروه، أن الفحوص التي أجريت في العراق، أكدت لي أن المنشورات الموجودة في المركز الثقافي الأميركي الذي تعرض للقصف كانت مطبوعة بنفس الآلة الكاتبة ومستنسخة بنفس الستينسل الذي طبعت واستنسخت به منشورات الحركة الصهيونية قبل الثامن من نيسان.

وأظهرت الفحوص أن نوع المتفجرات المستخدمة في هجوم (بيت لاوي) كانت تماثل تلك التي وجدت في حقيبة يهودي عراقي يحمل اسم يوسف بصري Yousif Basri وهو محامي يعمل مع شالوم صالح، وكان من المؤمل تقديمها للمحاكمة في كانون الأول من عام 1951م وقد اعترف صالح في ما بعد انه هو وبصري ومعهما شخص ثالث اسمه يوسف خبازه من قام بالهجمات.

وبعد سنوات قليلة من الانفجارات، صدر في العراق كتاب بالعربية يحمل عنوان (سموم الأفعى الصهيونية) أشار فيه الكاتب إلى اسم مردخاي بن فورات بأنه متورط في التفجير، واختفى الكتاب حال صدوره فقد اشترى عملاء الموساد جميع النسخ وأتلفوها.

ويقول جيلادي: بعد ستة عشر عاماً من إلقاء القنابل نشرت مجلة (Haolam Hazeh) الإسرائيلية التي يصدرها Uriavnery وهو عضو في الكنيست تقارير تتهم بن فورات بالتفجيرات التي حدثت في بغداد، وقد نفى فورات، وكان سيصبح عضواً في الكنيست، تلك التهم إلا أنه لم يقاض المجلة عن ما نشرته أبداً، ومازال اليهود العراقيون في إسرائيل يطلقون عليه تسمية (أبو القنابل).

وتذكر (Rena Krasno) من مركز تراث اليهود العراقيين، أنه قد تم الاحتفال في إسرائيل بالسيد مردخاي بن فورات بسبب إسهاماته البطولية في مساعدة يهود العراق على الفرار إلى إسرائيل بعد تأسيس دولة إسرائيل،

وأصبح في النهاية عضواً في الكنيست، ولعب دوراً سياسياً مهماً، ثم ترأس بعد ذلك مجلس أور يهودا، وهي منطقة تقع على بعد عشر دقائق من مطار بن غوريون، وفي السبعينات اقترح مردخاي بن فورات إنشاء مركز تراث اليهود العراقيين في أور يهودا (وقد تحققت هذه الفكرة لاحقاً) وتم وضع حجر الأساس للمركز في 1973م وبدأت الهيئة الأكاديمية بحثها في 1977م وتم فتح المتحف أمام الناس في 1988م.

ومن الجدير بالذكر، أن هذا المتحف يضم تفاصيل تخص اليهود العراقيين في الشتات، ويقول جيلادي، : إنه سأل مرة بن غوريون عن سبب عدم وجود دستور في إسرائيل؟ فأجاب:لأننا سيتوجب علينا فيه تعيين حدودنا، ويقول سألته عن حدودنا؟ فأجاب (هي حيثما وصل الجيش الإسرائيلي).

وكشفت التحقيقات التي أجرتها الشرطة العراقية بالأدلة القاطعة دور اليهود في تفجير القنابل، التي روعت الجالية اليهودية، وتؤكد الوثائق المتوفرة لدى دوائر وزارة الداخلية العراقية على ذلك معززة باعترافات الأشخاص الذين قاموا بتلك التفجيرات، وروى ضابط الشرطة العراقي عبد الرحمن حمود السامرائي الذي حقق مع تلك العناصر تفاصيل اعترافاتهم بعد خمسين سنة من وقوع تلك الأحداث معززة بالصور والوثائق[1].

(1) حقائق عن شبكات التجسس الصهيونية في العراق، لمؤلفه مهدي العكَيلي، صدر عام 1991 عن مطبعة العاني ببغداد وتضمن تفاصيل اعترافات العناصر التي قامت بالتفجيرات آنفة الذكر وعلاقاتهم مع الموساد الإسرائيلي، مع صور بعض العناصر والقائمين على التحقيق وصدر الكتاب بـ160 صفحة من القطع الكبير، انظر كذلك كتاب (النشاط الصهيوني في العراق) لصادق حسن السوداني الصفحات 247 إلى 266.

حتى موعد انتهاء حكم القانون في آذار/ مارس 1951م بلغ عدد اليهود الذين تنازلوا عن الجنسية العراقية 103.866، وكان قد سافر منهم حتى ذلك الوقت 35.345 شخصاً.

كانت أول رحلة جوية شرعية لنقل اليهود العراقيين قد بدأت في 20/ 5/ 1950 وأطلق على عمليات التهجير تلك اسم (عزرا ونحميا) واستغرقت تلك العملية أكثر من سنة ونصف، وخرجت آخر رحلة من المهاجرين في النصف الثاني من شهر كانون آخر / يناير 1952م، وتم نقل 104 ألف يهودي من العراق، ولم تكن هناك إحصاءات دقيقة عن عدد اليهود، الذين بقوا في العراق بعد الانتهاء من عملية (عزرا ونحميا) ولكن قدر الحاخام الأكبر ليهود العراق ساسون خضوري عام 1955م عدد اليهود الذين رفضوا الهجرة بـ(خمسة) آلاف يهودي معظمهم في بغداد، وان العودة إلى إحصاء 1957 وهو أول إحصاء دقيق وشامل تجعلنا نقف عند الرقم الصحيح ليهود العراق في ذلك الوقت إذ بلغ عددهم 4906 نسمة، موزعين بين 1336 عائلة، يسكن بغداد وحدها 3634 نسمة موزعين بين 936 عائلة، وتلي بغداد البصرة إذ نجد 300 نسمة، أما الديوانية ففيها 80 نسمة، واتفق كل من Parkes والكتاب السنوي اليهودي الصادر في لندن 1968 بتقدير عددهم بـ(6000) يهودي بينما قدرهم الكتاب السنوي الصهيوني لسنة 1968/ 1969م بـ2300 نسمة فقط، وقد منحوا كل الحقوق التي يضمنها الدستور العراقي لجميع المواطنين[1].

(1) لمزيد من المعلومات انظر: The Jewish Yearpook , London , 1968 ,P.187-188 ود.إبراهيم عبده وخيرية قاسميه (يهود البلاد العربية)، مصدر سابق ص74. ونشرت بعض التفاصيل جريدة (لواء الاستقلال)، 11 آذار 1951.

ومن الجدير بالإشارة أنه لما شرعت وزارة توفيق السويدي الثالثة قانون إسقاط الجنسية العراقية عن اليهود الذين أبدوا رغبة في مغادرة البلاد، لم تتخذ أية خطوة قانونية لتجميد أموال الراغبين في المغادرة، وساعد ذلك على تهريب معظم أموال اليهود، واتبعوا مختلف الطرق في تهريب أموالهم، ولما قاربت المدة القانونية المحددة لانتهاء مدة نفاذ القانون، أسرعت حكومة نوري السعيد الحادية عشرة إلى معالجة ذلك الأمر وفي العاشر من آذار/ مارس 1951م دعي مجلس النواب إلى عقد جلسة سرية لمناقشة اللائحة القانونية التي أعدتها الوزارة لهذا الغرض، وبعد أن أقرها نظر فيها مجلس الأعيان بصورة سرية ومستعجلة فأقرها وأعلنت للملأ وكانت الوزارة قد اتخذت التدابير اللازمة لتوقيف المصارف والصيارفة عن مزاولة كل عمل في يومي 10و11 آذار/ مارس 1951م لمنع التهريب (عبد الرزاق الحسني، الوزارات العراقية، ج8 ص189) وشرع القانون رقم (5) لسنة 1951م بتاريخ العاشر من آذار/ مارس من العام نفسه، وتنفيذاً لذلك اصدر وزير المالية بيانه إلى المصارف والصيارفة المجازين لتعطيل أعمالهم المصرفية لتثبيت ودائع حسابات اليهود والحيلولة بينهم وبين سحبها وتهريبها كما توقفت دوائر الطابو عن تسجيل معاملات التصرف بالعقارات، التي يكون أحد أطرافها من اليهود ثم قامت الأمانة العامة (وهي الدائرة التي أسست لمراقبة وإدارة الأموال المجمدة) بغلق

وضـم كافة المخازن والمحال التجارية اليهودية حذراً من قيام مالكيها بتهريب الأموال من تحت سـيطرتها، وقد نصـت المادة الثانية (أ) من القانون آنف الذكر على (تجمد أموال الأشـخاص المسـقطة عنهم الجنسـية العراقية ولا يجوز التصرـف بها بأي نوع من أنواع التصرــف اعتباراً من تاريخ التصرــف بها وفق أحكامه والأنظمة التي تصدر بموجبه، وقد أصبحت أموال كل يهودي عراقي عرضة للتجميد إذا ما سافر ولم يعد إلى العراق في غضون شهرين، أو مراجعة السفارات والقنصليات العراقية لمن يرغب بالإبقاء على مواطنته، واستثنت القوانين العراقية من كان مريضاً في مستشفى أو طالباً مستمراً بالدراسة شريطة تقديم ما يؤيد ذلك) [1].

ولتطمين اليهود الـذين بقوا في العراق وأظهروا ارتبـاطهم بوطنهم، أصـــدرت الحكومـة البيـان رقم 178 وجـاء فيـه (إن الحكومـة تطلـب من هؤلاء المواطنين أن يحافظوا على القيام بالواجبات المترتبة عليهم كسائر المواطنين، وأن يتجنبوا كل ما يخل بتلك الواجبات، وألا يدعو مجالاً للشك في ارتباطهم بوطنهم كغيرهم من أفراد الأمة العراقية، والحكومة ترعى جميع أفراد الأمة رعاية متساوية عادلة) [2].

ولابد من الإشــارة إلى أن اليهود الذين علموا بقرب صـــدور قانون يســمح لهم بالهجرة (حســب البرقيات السرـية التي ذكرها هيلل) ويعرفون ما ســيحصـــل في المستقبل خاصة أن هجرتهم تلك بلا عودة،

(1) انـظـر : Magid Khadduri , Independent Iraq . second edition .Oxford University Press , 1960 ,P.276.

(2) صدر البيان رقم (178) بتاريخ 27 آذار/ مارس سنة 1951 وبتوقيع وكيل مدير الدعاية العام.

وأن القانون قد سمح لهم بسنة واحدة، لابد أنهم كانوا على علم مسبق بصدور قانون تجمد بموجبه أموال اليهود المسقطة عنهم الجنسية العراقية، ولابد أن تكون الحركة الصهيونية في ذلك الوقت قد عملت على توعية اليهود لبيع ممتلكاتهم وتهريب الأموال إلى الخارج، ليتم دعم الاقتصاد الصهيوني ولابد أن تكون خبرتهم في تهريب البشر التي اكتسبوها خلال السنوات السابقة لذلك التاريخ (خاصة عبر إيران ومن خلال الشمال) قد ساعدتهم كثيراً على تهريب الأموال وحرصت المصادر اليهودية أن تتجاهل تماماً نشاط اليهود على صعيد تهريب الأموال، والممتلكات وتكتفي بروايات عن تهريب البشر.

ويذكر إبراهام بن يعقوب في (تاريخ يهود بابل، مصدر سابق، ص134) وصل في الهجرة الأخيرة إلى إسرائيل عشرات الخبراء من العراق وفي مختلف المهن والحرف ومنهم أطباء ومهندسون وقضاة ومشرعون ومحامون وخبراء في القطارات وتجار وصيارفة ومديرو مدارس ثانوية ومدرسون للعربية ومثقفون ومؤلفو كتب باللغة والأدب العربي وما شابه ذلك، والذين أسهموا كثيراً في تطوير إسرائيل، وشغل عدد منهم مناصب وطنية من الدرجة الأولى في وزارات الحكومة وفي عدة سفارات وأسس قسم منهم عدة مواطئ أقدام للمستوطنات في مناطق البلاد المختلفة.

يقول شلومو هيلل: كان موضوع الخمسة آلاف يهودي الذين فضلوا البقاء في العراق وعدم الانضمام إلى الهجرة الجماعية من هناك، أو بعبارة أخرى الذين لم يقتنعوا بالفكرة الصهيونية، يشغلنا

ولكن من خلال الرسائل التي كانت تصل إلينا من العراق بصورة غير مباشرة، أو من خلال الإشاعات، والمعلومات التي كانت تتسرب إلينا اتضح أن وضع أولئك اليهود الذين فضلوا البقاء في العراق معقول وجيد، وكانت مصادر عيشهم مؤمنة وموجودة، وإن كل مقارنة بينهم وبين وضع المهاجرين العراقيين الذين يقيمون الآن في المخيمات المؤقتة، تكون في غير صالح سكان المخيمات، في جميع المجالات تقريباً، لقد ظلت تلك الجالية الصغيرة، تقوم بواجبها في العراق، ولكن الحقيقة هي أن الجميع كانوا يعرفون، بأن عملية انصهار هؤلاء اليهود في المجتمع العراقي كانت في ذروتها، لكن النشاط في المجال الديني ظل كما هو، إذ بقيت المدارس اليهودية مفتوحة تدرس الديانة اليهودية والتاريخ اليهودي، ولكن لا تدرس اللغة العبرية، وكان خريجوها يقبلون في الجامعات العراقية[1].

وقد ذكر Berger في زيارته إلى العراق سنة 1955، أنه وبعد كل ما سمعه في أميركا عن أحوال اليهود في العراق، وجد طائفة يهودية تعيش بهدوء، إذ كيف يمكن لخمسة آلاف شخص أن يستمروا في العيش إذا كانت أوضاع اليهود كما وصفت في الغرب، وهنا لابد من الإشارة إلى أن الإعلام الغربي الذي يسيطر عليه اليهود، كانوا يقصدون من الحملات التي تدعي، أن أوضاع اليهود سيئة في العراق، إلى زعزعة أوضاع اليهود العراقيين الباقين والعمل على هجرة من تبقى منهم، إضافة إلى نقطة أساسية، هي لتصوير حالهم على أنه سيء جداً،

Bergel ,E , who knows Better Must Say So , New York 1955,P.38(1)

لكي لا يقارن اليهود العراقيون الذين وصــلوا إلى إسرائيل أحوالهم التي كانت مزرية ورديئة مع أولئك الذين لم ينصاعوا للأفكار الصهيونية، وبهذا يمكن القول إن الدعاية الإسرائيلية تعمل باتجاهين لتحقيق أكثر من هدف وهذه الدعاية وصــفها د.حامد ربيع بقوله: مخططو المنظمة الصـهيونية ومنذ مراحلها الأولى تنبهوا إلى عملية التوجيه والدعاية، ولو عدنا إلى الشــكل التنظيمي للمنظمة الصــهيونية في مؤتمرها الأول عام 1897 لوجدنا انه من بين خمس قوى وتنظيمات، تنبع من المؤتمر الصهيوني نجد ما يســمى بمكتب التوجيه المركزي الذي يكون حلقة الصـلة المباشرة بين رئيس المنظمة الصهيونية العالمية من جانب والوحدات المحلية من جانب آخر[1].

ويضـــيف Berger إنه وجد يهود بغداد أغنياء، وقد أعيدت لهم حقوقهم كاملة، وإن الحاخام يعد مع المسؤولين مشروعاً لتنظيم شؤون الطائفة، وجاء في كتاب (يهود البلاد العربية، د.عبده وقاســمية ص51) أنه جرت مقابلة بين المربرجر والحاخام خضـوري العام 1955م وعلق برجر أنه شـاهد بنفسـه عدم إنسـانية اليهود لليهود، وقد حقق بن غوريون ما كان يدعو به للشـباب اليهودي، بأنه سـينتزعهم برغم إرادة آبائهم، ويقول: إنه قد كانت له تجربة ناجحة في العراق يقصـــد بن غوريون وقد مول ذلك يهود أميركا.

(1) د. حامد ربيع، فلســفة الدعاية الإسرائيلية، منظمة التحرير الفلســطينية، مركز الأبحاث، بيروت، 1970 ص12.

وبعد ثورة 14تموز/ يوليو 1958م في العراق لم يصب اليهود بأي سوء، وحظي اليهود ببعض التسهيلات في مجال التعليم العالي والسفر خارج العراق حتى إن (يهودكا تاجر) الذي حكم عليه بالسجن المؤبد، أفرج عنه في كانون آخر/ يناير 1960م إذ أن أحد الضباط الذين تعرفوا عليه في السجن، رتب له مقابلة مع الزعيم عبد الكريم قاسم الأمر الذي انتهى بالإفراج عنه والسماح له بمغادرة العراق (هيلل مصدر سابق ص294).

وكانت قد شكلت لجنة إدارية من خمسة أعضاء من اليهود المقيمين في بغداد عام 1958م تتولى إدارة أملاك الأوقاف والمدارس والمؤسسات الخيرية، وتحصيل الرسوم وأمور الصرف والإيراد، وصدر عام 1963م قانون إدارة الطائفة الموسوية (اليهودية) لتنظيم أحوال اليهود المتبقين في العراق من حيث المدارس والأوقاف وسائر الشؤون من قبل لجنة تؤلف من أبناء اليهود العراقيين أنفسهم، وقد ظلت الطائفة تحتفظ بـ26 كنيساً برغم أنها لا تستعمل إلا كنيساً واحداً كما بقيت مدرسة واحدة من بين المدارس التي كان يشرف عليها المجلس الطائفي وهي مدرسة (شاماش) حضانة ومتوسطة وإعدادية، وفيها 500 طالب، وكانت اللغة الرئيسية فيها العربية مع الفرنسية والانجليزية والتعليم الديني بالعبرية، ولم يعد لليهود نواب في البرلمان، وذلك لأنه لم يعد لهم عدد كاف لتمثيلهم وكان عدد اليهود العراقيين الذين أسقطت عنهم الجنسية العراقية قد بلغ (520) شخصاً عام 1965م وبلغ (1000) شخص عام 1966م[1].

(1) د.إبراهيم عبده، وخيرية قاسمية، مصدر سابق ص77.

وبعد حرب عام 1967م ازدادت حملة الدعاية الإسرائيلية ضد الدول العربية ومن بينها العراق، واستغلت ما جرى من اعتقالات في العراق أثناء الحرب لضرورات الأمن، وكان بين المعتقلين 100 يهودي (معظمهم أطلق سراحهم بعد أشهر ولم يبق إلا 26 شخصاً) ووجهت شكواها إلى الأمم المتحدة من معاملة زعمت أن العراق يمارسها ضد الأقلية اليهودية وقد رد العراق على ما تدعيه إسرائيل، فذكر مندوبها في الأمم المتحدة (إن هذه الادعاءات إنما يقصد منها توجيه أنظار الرأي العام من المعاملة التي يلقاها السكان العرب في المناطق المحتلة منذ عام 1967م، وكان الهدف من دعوة مندوب إسرائيل إلى وجوب تخلي الحكومة العراقية عن مواطنيها اليهود وطردهم من البلاد هي جزء من حملة إسرائيلية لإسكان مزيد من المهاجرين اليهود في الأراضي العربية المحتلة) [1].

وكان عدد الطائفة اليهودية في العراق بعد حرب حزيران/ يونيو 1967م يقدر بين 2500 –3000 نسمة، بينهم عدد كبير من الأغنياء والتجار وذوي الاختصاصات العلمية والعاملين في الشركات الأجنبية وتم تصنيفهم على الوجه الآتي 40 عائلة غنية و400 عائلة متوسطة والبقية من الكسبة، وثبت أن اليهود ظلوا يسيطرون على 70 بالمائة من التجارة في العراق،

(1) المصدر السابق ص78-79.

وبعد أن ثبت توجه البعض منهم لبيع ممتلكاتهم وتهريب الأموال إلى الخارج بطريق التواطؤ والتصرفات الملتوية صدر قانون في تموز/ يوليو 1967م تمنع فيه المعاملات العائدة لليهود، المتعلقة ببيع أو رهن أو تنفيذ الأوراق التجارية أو تحويل أسهم ..الخ ، ما لم يأذن وزير الداخلية بإجراء التصرف عند اقتناعه بصحته، وذلك حفظاً للثروة الوطنية من التسرب إلى خارج البلاد(□).

بعد أن قامت السلطات العراقية باكتشاف شبكة للتجسس لصالح إسرائيل وتم تنفيذ حكم الإعدام بعدد من اليهود العراقيين ومعهم عدد أكبر من العراقيين الآخرين في كانون آخر/ يناير 1969م شنت إسرائيل ومعها وسائل الإعلام التي يمتلكها اليهود ويسيطرون على مؤسساتها حملة واسعة ضد العراق، متهمة إياه بالإساءة إلى أوضاع اليهود العراقيين ووصل الأمر إلى تصوير حال اليهود في بغداد والبصرة على أنهم في أسوأ حال، وأنهم يعيشون في حالة رعب دائم ولا يعرفون كيف يحصلون على النقود من أجل الغذاء(□).

ورد العراق على تلك الحملة الواسعة، بدعوة صحفيين أجانب وقابلوا الحاخام خضوري وذكر في بيان له (بأن اليهود العراقيين لهم الحرية في ممارسة العبادة كغيرهم من المواطنين) وكذلك حرية القيام بأعمالهم اليومية، وزار الصحفيون كنيس (مسعود شمطوف) ولم يسجلوا أي ملاحظة أو دليل يشير إلى حالة الاستياء.

وأعلن العراق عبر مندوبه في الأمم المتحدة، أن يهود العراق هم في نظر القانون مواطنون يخضعون لشروط المواطنة.

---

(1)انظر : جريدة الثورة العربية في 17/ 7/ 1967 وجريدة الجمهورية العراقية في 26/ 9/ 1967.

(2)Jewish observer and Middle East Review Jan .31 , 1969 ,p.3 وانظر عبده وقاسميه، مصدر سابق ص80.

وإذا ما ألقي القبض على عراقي يهودي بتهمة التجسس فهذا ينبع من قناعة قانونية بأنه من البديهي أن يحاكم وفق القانون.

وحسب ما نشرت (الأنوار البيروتية في 17/ 9/ 1969م) نقلاً عن صحيفة Suddeutsche Zeitung التي تصدر في ميونيخ بألمانيا والتي نشرت مقالاً كتبه الصحفي R. Chemili عن أوضاع الطائفة اليهودية في العراق قال فيه: (إن المعابد والمدارس اليهودية في العراق ما تزال مفتوحة ويبلغ عدد اليهود 2300 نسمة، وقد ألغيت القوانين التي تفرض القيود المالية على اليهود في الأسابيع الماضية، ولكن قسماً كبيراً منهم يتدفق على المعاهد المسائية لتعلم اللغات وأن تفكيرهم يتجه إلى الهجرة ولكن ليس إلى إسرائيل بل إلى أوربا الغربية وأميركا الشمالية).

وقد قبل في جامعة بغداد 50 طالباً يهودياً للعام الدراسي 1969/ 1970م وهم كافة الطلاب اليهود العراقيين الذين تقدموا للانتساب في الجامعة[1].

وبعد سنوات طويلة أمضاها اليهود العراقيون بالعيش بين بقية المواطنين، ذكرت مجلة (نيويورك تايمز في 3 شباط/ فبراير 1985م) أن اليهود في بغداد بإمكانهم ممارسة شعائرهم الدينية[2] وبالنسبة لفترة التسعينات فقد ظهرت تصريحات تؤكد، أنه لا يوجد دليل على اضطهاد اليهود في العراق، لكن اليهود ممنوعون من السفر إلى إسرائيل[3] ومن المعروف أن القوانين العراقية تحظر على مواطنيها جميعاً السفر إلى إسرائيل ويثبت ذلك في تأشيرات جوازات السفر.

---

(1) د. عبده وقاسميه، مصدر سابق ص 81-82.

(2) New York Times Magazine , February 3,1985.

(3) A ssociated Press ,(March 28 ,1998.

وفي 28 آذار/ مارس 1998م نشرت وكالة الأسيو شيتدبرس و صفاً لحياة اليهود في العراق جاء فيه: المشـهد هنا في بغداد يضـم إبراهيم يوسـف صـالح وهو ينشر الكتاب بين يديه ويقرأ التراتيل على المجتمعين وجدير بالذكر أن عمره 76 سـنة، وهو زعيم الجالية اليهودية في العراق.

وكان يقف خلفه نحو عشرين شخصاً هم ما تبقى من تلك الأعداد الغفيرة التي كانت منعمة في الشرق الأوسط، لكنها الآن على حافة الانقراض.

قال صـالح: قبل أربعة عقود تقريباً كان يجتمع في هذا الكنيس ما لا يقل عن (500) يهودي لأداء صلاة السبت، والآن لا يوجد سوى 76 يهودياً وأعرب صالح عن حزنه ورغبته بالانضمام إلى زوجته وأبنائه في لندن[1].

(1) Jewish Presence in Iraq is dying ,deseret news Archives , Saturday ,March 28 ,1998, By Leon Barkho.

يهود العراق يدخلون السنة 5762

يوم الثلاثاء الموافق الثامن عشر ـ من أيلول/ سبتمبر 2001، احتفلت الطائفة اليهودية في العراق بهدوء بالسنة الجديدة التي تحمل الرقم 5762[1]، ومارس أعضاء الطائفة طقوسهم التقليدية في هذا اليوم[2] ، ويبلغ عدد اليهود الآن في العراق (حسب مقابلة المؤلف مع محامي الطائفة) [3] (32) نسمة يعيشون في العاصمة بغداد، ويلتقي أعضاء الهيئة الإدارية بصورة دائمة في مقر الطائفة، الذي يقع على ضفة نهر دجلة، ويتكون من طابقين، وهو من الطراز المعماري البغدادي القديم، ولا يحتاج زائره إلى طول عناء في البحث عنه، إذ يجد من يدله

بمجرد أن يسأل أحد العاملين في شارع النهر «المستنصر» الذي يعد من الشوارع التجارية القديمة في بغداد، ويقع بين نهر دجلة و شارع الر شيد، وهو أقدم شارع في بغداد، وعلى مقربة منه تقع غرفة تجارة بغداد، التي أسست مطلع القرن العشرين،

---

(1) مقابلة المؤلف مع السيد ناجي جبرائيل يعقوب، رئيس اللجنة الإدارية للطائفة اليهودية في العراق بتأريخ 4/ 10/ 2001.

(2) مقابلة المؤلف مع السيد عزرا صالح (81 سنة) من المسؤولين في الطائفة اليهودية في العراق بتأريخ 4/ 10/ 2001.

(3) مقابلة المؤلف مع محامي الطائفة اليهودية في العراق المحامي سعد يحيى عبد الواحد بتأريخ 24/ 7/ 2001م. ويعمل محامياً للطائفة منذ عام 1985م، ويقول أن هناك أكثر من محامي للطائفة لكن غالبية قضايا اليهود في العراق أصبحت تناط به خلال السنوات الأخيرة.

وفي الجانب الآخر، مازال هناك شارع المصارف وسوق دانيال، وجاءت تسميته نســبة لإحدى العوائل اليهودية الثرية في العراق، عائلة دانيال، ومازالت الســوق تحمل هذا الاسم، وتختص محلاتها ببيع الأقمشة ومستلزمات الخياطة، وهي التجارة التي بدأ اليهود العراقيون يتعاملون بها منذ بداية القرن العشرين وارتبطوا بعلاقات تجارية مع معامل النســيج في مدينة مانجســتر البريطانية (دليل الدولة العراقية 1936)[1]

وبرغم التوســع الهائل الذي حصــل في العاصــمة العراقية خلال العقود الثلاثة الماضــية، إلا أن المنطقة المحاذية لشــارع النهر وشــارع الرشــيد، والممتدة إلى شــارع الكفاح ومنطقة الشــورجة، مازالت هي الســوق التجارية الأولى في العراق، حيث يتركز الغالبية العظمى من تجار الجملة في هذه المنطقة التي تنحصر بين ساحة الميدان، مدخل شــارع الرشــيد، والباب الشرقي، ولهذا احتفظت غرفة تجارة بغداد بمكانها المطل على نهر دجلة، وعلى مســافة كيلو مترين تقريباً، يقع اتحاد الصــناعات، حيث تقابله وزارة التجارة العراقية، ويتوزعان جانبي ســاحة الخلاني الشــهيرة في بغداد، وعلى بعد عدة أمتار تقع دوائر ذات علاقة قوية بالاقتصــاد، وهي دائرة التســجيل العقاري وشركة التامين الوطنية، وتتشــعب مئات الممرات القديمة الضــيقة التي تغص بمحلات تجارة الجملة، التي تشــمل جميع الاحتياجات وكل ما تطلبه العوائل والشركات ودوائر الدولة من مواد ومكائن وعدد وتجهيزات وإذا صحَّت الإضافة هنا فإن هذا الموقع من العاصمة يمثل المجمع الاقتصادي العراقي الرئيسي.

(1) دليل الدولة العراقية لسنة 1936، مصدر سبق ذكره.

وفي مقر الطائفة اليهودية تلتقي اللجنة الإدارية لليهود العراقيين، وتشرف على أملاك الوقف العائدة لليهود، كما ذكر للمؤلف ذلك -السيد ناجي جبرائيل يعقوب، رئيس اللجنة الإدارية (مقابلة شخصية 24/ 7/ 2001[1]) وتتكون هذه اللجنة من رئيس وعضوين أصليين وعضوين احتياط، وتدير اللجنة جميع الأملاك.

ويقول رئيس اللجنة الإدارية، وكان يحدثنا في مكتبه داخل مقر الطائفة، إننا نتمتع بجميع حقوقنا كمواطنين عراقيين، وهناك تفاصيل كثيرة يجهلها الكثيرون عن الحياة التي نحياها، وضرب مثلاً على اندهاش البعض من الذين سمعوا بسفر رئيس الطائفة السابق إلى لندن، وقال : لم يحدث أن تقدم أحد بطلب الحصول على جواز سفر، ورد طلبه، بل إن العديد من أبناء الطائفة يسافرون ويعودون، وهذا أمر طبيعي جداً بالنسبة لنا، ولكنه، ولأسباب كثيرة، يبدو مثيراً للآخرين، واشترك عند هذه النقطة بالذات السيد عزرا صالح (81 سنة) ويعمل مدير إدارة الطائفة، فقال : إن ولدي يدرس الآن في هولندا، ونحن على اتصال دائم معه، وذكر أن له ولدين هما (صالح وعماد) وأن الأول قد أكمل دراسته باختصاص هندسة كهرباء بجامعة بغداد، ثم سافر لإكمال دراسته الجامعية العليا في إحدى الجامعات الهولندية، أما ابنه الثاني (عماد عزرا)

(1)مقابلة المؤلف مع رئيس اللجنة الإدارية للطائفة بتأريخ 24/ 7/ 2001م.

فهو يعمل في قطاع الأعمال الحرة ببغداد، ويمارس أعماله التجارية مع إخوانه من التجار[1] يقول عزرا صالح، : إن ولدي عماد أكمل دراسته الجامعية في كلية الإدارة والاقتصاد، وبعد أن أكمل ولداي دراستيهما منتصف الثمانينيات، التحقا بالجيش لأداء الخدمة العسكرية، أثناء الحرب مع إيران (مقابلة المؤلف 3/ 9/ 2001)[2]

وعاش أفراد الطائفة اليهودية في العراق أجواء الحرب، خلال الثمانينيات، وتعرضوا للحصار منذ عام 1990 شأنهم شأن الآخرين، وعمدت اللجنة الإدارية للطائفة إلى تقديم خدمات لليهود العراقيين، تتضمن تقديم المواد الغذائية، بما فيها اللحوم والدجاج بأسعار مدعومة، ومساعدة المرضى، ودفع مصاريف الأدوية والاحتياجات الأخرى، كما تقدم التكاليف الخاصة بالجنازة لمن يتوفاه الله سبحانه وتعالى، إضافة إلى الدفن الذي يتم في مقبرة اليهود الواقعة في منطقة الحبيبية بجانب الرصافة في بغداد، وتم تخصيص هذه المقبرة منذ قيام جمهورية العراق عام 1958 [3] ويذكر لنا رئيس اللجنة الإدارية للطائفة، أن هذه المقبرة تضم الكثير من اليهود العراقيين، وتم نقل رفات الكثيرين من المقبرة السابقة التي كانت في منطقة النهضة، إذ تم السماح بنقل الرفات إلى المقبرة الجديدة في الحبيبية، ومن الشخصيات المعروفة التي دفنت في مقبرة الحبيبية، ساسون خضوري والمهندس جميل دبي والحاخام إسحاق، الذي يعد آخر حاخام ليهود العراق وقد توفى عام 1995.

(1)حديث للسيد صالح عزرا بتأريخ 24/ 10/ 2001م.

(2)مقابلة أخرى للمؤلف مع السيد صالح عزرا بتأريخ 3/ 9/ 2001م.

(3)ذكر لنا هذه المعلومات رئيس اللجنة الإدارية للطائفة اليهودية، بتأريخ 4/ 10/ 2001م.

يقول توفيق سـوفير: بعد رحيل الحاخام إسحاق عام 1995م لم يبق رجل دين يهودي في العراق[1]، يمكن العودة إليه في المسائل الدينية التي تستدعي ذلك، وذكر أن الطائفة تضطر إلى الكتابة إلى المرجع الديني اليهودي في دمشق، عندما تكون هناك حاجة إلى ذلك، وخاصة في مسائل الطلاق.

وهناك بعض المعلومات المهمة، لابد من الإشارة إليها، في سياق الحديث عن حياة اليهود العراقيين خلال العقدين الماضيين، فيذكر السيد صالح عزرا، أن آخر ولادة لطفل يهودي حصلت عام 1989م، ويشير رئيس اللجنة الإدارية للطائفة إلى أن هناك عدة أسباب تقف وراء تناقص أعداد أعضاء الطائفة، ومن أهمها، الوفيات الطبيعية التي تحصل خا صة أن الكثير من اليهود الموجودين من كبار السن، إ ضافة إلى سفر البعض، إذ أن السفر غير ممنوع، ولليهودي العراقي الحق بالسفر متى شاء، وهو حر بالعودة أو البقاء في الخارج.

ويتوزع المشهد اليومي لحياة أعضاء الطائفة على عدة مهن يمارسها بعض منهم، ومن أبرز الوجوه المعروفة، رئيس اللجنة الإدارية وأعضاء اللجنة والآنسة مار سيه داود التي تعمل محاسبة في مقر الطائفة، ومن الشخصيات الأخرى (مقابلة المؤلف لمحامي الطائفة 24/ 7/ 2001) قال لنا، هناك المحامي المعروف نعيم شاؤول الشهرباني وهو كبير في السن ومريض في الوقت الحالي، والطبيب ظافر فؤاد،

(1) مقابلة المؤلف لتوفيق سوفير بتأريخ 11/ 8/ 2001م.

وهو جراح كسور معروف، ويعمل في مستشفى حكومي، وشقيقته الطبيبة خالدة فؤاد وهي طبيبة أسنان، تعمل في مستشفى حكومي أيضاً، ووالدتها فيوليت شاؤول طبيبة متقاعدة ، ويعقوب نعيم شهرباني، وهو خريج جامعة بغداد ويعمل حالياً صائغاً، ويواصل دراسته للغة الانجليزية / الدراسات المسائية بجامعة بغداد، وصبيحة خليل عطية، مازالت تمارس وظيفتها معلمة في المدارس الحكومية، والمهندس شاؤول ساسون، حاصل على شهادة الماجستير يعمل خبيراً فنياً في الشركة العامة للأسمنت الحكومية.

وتُعد كنيس (ميئير طويق) التي بنيت سنة 1942 والواقعة في منطقة البتاوين بجانب الرصافة من بغداد المكان الذي يؤدي فيه أعضاء الطائفة صلاتهم كل يوم سبت، ويكون موعد الصلاة مع آذان صلاة المسلمين، فجراً وعصراً، ويتواجد في الكنيس توفيق سوفير (مواليد 1914 بغداد) وهو أكبر أفراد الجالية سناً، يقول: تتم صلاة أعضاء الطائفة اليهودية في الكنيس، بعد أن كان في بغداد 75 كنيس تؤدي فيه الصلاة[1] ويتألف مبنى الكنيس من طابقين، الأعلى مخصص لصلاة النساء، والأرضي لصلاة الرجال، ويتقدم المصلين ساسون شاؤول[2]

(1)توفيق سوفير، مقابلة المؤلف في مقر كنيس ميئير طويق في منطقة البتاوين ببغداد بتأريخ 11/ 10/ 2001م.

(2)صالح عزرا، مقابلة المؤلف بتأريخ 3/ 9/ 2001م.

وهو من الشباب الذين يهتمون بالمسائل الدينية، وتستغرق الصلاة في حدود التسعين دقيقة، ويذكر توفيق سوفير (معنى سوفير بالعبرية الكاتب) [1] أن البعض يؤدي الصلاة في بيوتهم، وبعضهم الآخر يحضر باستمرار لتأدية الصلاة في هذا المكان، وقال إنهم يستعينون بالكتب الدينية لتأدية الصلاة، ويتجاوز عدد الكتب الموجودة في المكان الفسيح المخصص للصلاة الخمسمائة كتاب جميعها باللغة العبرية.

يقول توفيق سوفير، أن العدد المطلوب لتأدية الصلاة، هو عشرة مصلين، لكن، هنا تقام الصلاة أحياناً بأربعة أشخاص، وأيد ذلك صالح عزرا في حديثه معنا.

ويجيد توفيق سوفير اللغة العبرية إلى جانب العربية والانجليزية، ويقول: إنه درس اللغات في مدارس الإلياس ببغداد، وأن والده كان تاجراً معروفاً. وكانت لهم مصالح تجارية في طهران التي زارها آخر مرة في السبعينيات من القرن الماضي، كما زار لندن في تلك الفترة والتقى أخواته هناك. ولتوفيق (الكاتب) صداقات عديدة مع جيران أهله، ويذكر أن إبراهيم شندل الذي كان مديراً للإطفاء أثناء أحداث حزيران/ يونيو 1941،

(1) توفيق سوفير، المصدر السابق.

قد أمر الجنود بحراسة بيوت اليهود في منطقة جديد باشا بقلب بغداد، ويقول: مازلت أتذكر كيف هب جيراننا من المسلمين ومنعوا أي شخص من الاقتراب منا[1]. ويتذكر توفيق تلك المواقف التي ظلت راسخة في ذهنه برغم مضي أكثر من ستة عقود عليها، ولا يتردد في سرد بعض جوانبها للعديد من الصحفيين والزوار الذين يأتون من أوربا وأمريكا لزيارة الكنيس واللقاء بتوفيق الذي يقيم بصورة دائمة في هذا المكان منذ سنوات طويلة.

يقول: إننا ومنذ عشر سنوات، نفتتح صلاتنا، بالدعاء لرفع العقوبات الاقتصادية، وأن يعيش العراق بالرخاء والازدهار. ويشير إلى أن الدولة لم تستوف أجور الماء والكهرباء المترتبة على الكنيس منذ عام 1990، وتقدم تلك الخدمات مجاناً.

عندما سألت رئيس اللجنة الإدارية للطائفة اليهودية فيما ما إذا بقي يهود بين الجبال وفي المدن الشمالية التي تسكنها الغالبية الكردية؛ أجاب : أنه لا توجد لديهم معلومات تشير إلى وجود يهود أكراد، وأن جميعهم قد هاجروا عام 1950-1951.

من بين أهم الأحداث التي حصلت لأعضاء الطائفة اليهودية في العراق، والذين عاشوا بأمن وسلام طيلة العقود الماضية، حادث اقتحام مقر الطائفة في الرابع من أكتوبر عام 1998 من قبل رجل مسلح وارتكابه جريمة داخل بناية الطائفة.

(1) استذكار أحداث حزيران/ يونيو 1941 مع توفيق سوفير الذي كان شاهد عيان على ما حصل، ويتفق معه صالح عزرا الذي يذكر أنه كان يعمل حينذاك في سكك العراق، وتم تأمين نقله ومجموعة من اليهود العاملين إلى منازلهم، وكان يسكن في منطقة شارع الرشيد، ويتذكر كيف وقف المسلمون معهم ومنعوا وقوع أي اعتداء، في حين يقول أن البعض قد تعرضوا للاعتداء في مناطق أخرى. (المصدر مقابلتين منفصلتين مع توفيق سوفير بتأريخ 11/ 10/ 2001 ومع صالح عزرا بتأريخ 3/ 9/ 2001).

يذكر لنا شاهد عيان تفاصيل تلك الحادثة، حيث يقول طارق حسين محمود/ مسلم ويعمل موظفاً في مقر الطائفة[1]:في يوم الأربعاء، الموافق 4/ 10/ 1998، وفي الساعة 11.45 ظهراً بتوقيت بغداد، كنت أقف قرب مدخل البناية، توجه نحوي شخص يدفع عربة خشبية، تحمل قنينتي غاز، ويمسك برشاشة وأشياء أخرى، تبين أنها قنابل يدوية، ومسدس، يبدو في الثلاثينيات، طويل القامة، صرخ قائلاً: سأفجر البناية. وأول من قابله السيد ناجي أبو ناظم وهو مسلم ويعمل ممثلاً للجنة وزارة العدل في اللجنة الإدارية فقتله، وداخل ممر البناية، ضرب بالرصاص صهيون عبودي أبو سامي، وهو في الثمانين من عمره، وكان أحد المراجعين الذي صادف وجوده داخل البناية وأصيب برقبته، بعدها دخل غرفة اللجنة الإدارية فوجه رشاشته صوب (موشي شلومو-أبو سهام) نائب رئيس اللجنة الإدارية وارداه قتيلاً بالحال، وقتل أيضاً رشيد محمد صالح وهو مسلم كان يجلس مع أبي سهام، أما عزرا درويش الذي كان معهم أيضاً، فقد رمى بنفسه تحت الطاولة، ونجا من القتل، صعد بعدها إلى الطابق العلوي، وكانت هناك المحاسبة مارسيه داود وهي معلمة سابقاً، فأغلقت على نفسها الباب، وعندما لم تجد أحداً عادت دون أن تصاب بأذى.

بعد ذلك وصلت دوريات الشرطة، وألقوا القبض عليه، وكان متشنجاً جداً، يصرخ ويقول: سأفجر البناية.

(1)مقابلة شاهد العيان السيد طارق حسين محمود بتاريخ 3/ 9/ 2001م.

لم يحصل بعد ذلك، ما يعكر صفو حياة اليهود العراقيين، ويؤكد عزرا صالح، أن الحادث لم يؤثر في أوضـاع أعضـاء الطائفة، ولم يكن حافزاً للتفكير بمغادرة العراق، لأي شـخصٍ، ونظر إليه الجميع من الزاوية التي ينظر بها إلى أي شـخص يمكن أن يرتكب جريمة ضد الناس الآمنين.

على صـعيد الحياة اليومية، فإن أعضـاء الطائفة، يتسـلمون حصـتهم من البطاقة التموينية التي توفرها الدولة لجميع أبناء البلد، ويقول رئيس الطائفة في حديثه، أن ما يدفعه رب أسرة تتكون من (6) أشـخاص، مقابل ما يسـد احتياج الأسرة من الطحين والسمن والسكر والرز والشاي والبقوليات ومساحيق الغسيل، لا يتجاوز الخمسـين سـنتاً للشـهر الواحد وأضـاف رئيس الطائفة، أن هذا البرنامج بدأ منذ أغسـطس/ آب عام 1990 واسـتمر حتى الوقت الحالي، ولم توقفه الدولة برغم توقف صادراتها النفطية منذ أغسطس/ آب 1990، حتى بدء العمل ببرنامج النفط مقابل الغذاء أواخر عام 1996.

تمارس الطائفة اليهودية جميع طقوسـها، ومن بين تلك الطقوس والعادات، مسـألة الذبح، الذي يهتم اليهود بموضـوعه، يحدثنا عن هذا الجانب عزرا صـالح لاوي قائلاً: إن المسـؤول عن مسـألة الذبح، هو شـاؤول سـاسـون، ويجب حصـول الشـخص الذي يقوم بعملية ذبح الماشـية والدجاج على رخصـة من رئيس الطائفة، وثمة شروط لابد من توافرها في الحيوان المراد ذبحه،

ومن أهمها، أن يكون الحيوان سالماً، ويمشي بصورة طبيعية، ولا يجوز ذبحه، إذا لم يكن سليماً، معافى، وبعد عملية الذبح، يدقق القائم بعملية الذبح بيده أعضاء الحيوان المذبوح، ويتم الضغط على الرئتين، ونفخهما، فإذا ما ظهر أي أثر لقيح، أو خروج دم أو ما شابه ذلك، فلا يجوز أكل لحم هذا الحيوان، إذ أن ذلك، يدلل على وجود ملامح مرض ما، وهذه مسألة صحية صرف، وينطبق هذا التشدد كما يقول عزرا لاوي على الدجاج أيضاً، إذ يتم فحص الجناح وبقية العظام، فإذا تمت ملاحظة أي كسر ـ قديم أو حديث، أو ظهور لون غريب أو ورم ما، فلا يتم تناول لحمه على الإطلاق.

من شروط الذبح الأخرى، أن تأتي السكين على الرقبة مرة واحدة، وإذا لم تنجز مهمتها، فأنه لا يجوز أكل اللحم أيضاً. أما بالنسبة للصيد فأنه محرم عند الطائفة اليهودية، ولا يجوز أكل الطيور التي يتم اصطيادها بأية طريقة كانت. ويتم ذبح ما تحتاج إليه الطائفة اليهودية ضمن المجزرة الرسمية التي يتم داخلها ذبح ما يحتاج إليه المستهلكون.

ومن يخرج من المجلس البغدادي الذي تشعر بحميميته داخل مقر الطائفة اليهودية، المطلة على نهر دجلة، يقارن مع الوصف الذي كتبه أحد الكتاب عن حياة اليهود العراقيين في (تل أبيب) يقول أبو فخر صقر: السائر في حي رامات غان في تل أبيب يخال نفسه في أحد أحياء الرصافة من بغداد، فأغاني ناظم الغزالي وليلى مراد وعفيفة اسكندر و(أمان يالالي) لا تنفك تصدح من مكبرات الصوت في المقاهي والمقاصف. وروائح الباجة والتكه والتشريب

والتمن (الرز) والمرق (الصـــلصـــة) والتوابل البغدادية تحلّب الريق في الأفواه وتفعم الأنوف والخيا شم بالأفاويه الهندية. وهذا الحي ليس حياً للّهو بتاتاً، بل يخفي وراء جدران منازله مآسي إنســانية وتمزقات بشريــة شــتى، إنه حي اليهود العراقيين الذين اقتلعوا قسراً من ديارهم، وأرســلوا كالقطعان إلى (الدولة الإسرائيلية) بعد قيامها بثلاث سنوات (جريدة السفير 29/ 4/ 2000م)[1].

وإذا كان شــلومو هيلل والمجاميع التي عملت المنظمات الصــهيونية على تهجيرها قبل نصــف قرن، قد ألقت آخر نظرة على نهر دجلة، فإن أعضــاء الطائفة اليهودية في العراق، يطلون في كل وقت على دجلة من خلال نوافذ بناية الطائفة، ويجتازون جســور بغداد القديمة والحديثة، ويتنســمون رائحة المياه التي ظلت دافقة، أما الذين كتبوا وصــوروا الحالة التي يعيشــها يهود العراق، بأشــكال أو صــور أخرى، فإن ذلك لم يخرج عن الإطار الذي وضعته المنظمات الصهيونية، وما بدأه في العراق آهرون ساسون منذ عام 1920م

(1)أبو فخر صادق..مقالة بعنوان (سمير نقاش ويهود العراق والمصائر الممزقة) جريدة السفير البيروتية 29/ 4/ 2000م، وســمير نقاش، يهودي عراقي، مولود في منطقة البتاوين في بغداد ســنة 1938، يصر على الكتابة بالعربية ويرفض الكتابة بالعبرية، لم يحتمل العيش هناك بعيداً عن العراق، فأجتاز الحدود مع لبنان سنة 1954م، في محاولة للخروج فأعتقل وعذب، وفي عام 1958 هاجر إلى إيران وتركيا، ينشر كتاباته القصــصــية منذ عام 1956م، عاد عام 1967م، أعد أطروحته لنيل شــهادة الدكتوراه عن يهود العراق، وبعد 31عاماً من الانكباب على هذه الأطروحة، تقدم بها إلى اللجنة المشرفة، فاقترحت عليه استبدال الموضوع.

عندما أسس أول منظمة صهيونية في العراق، واتجه إلى ضم الشباب إليها لتنفيذ حملة تهجير يهود العراق، أما شـلومو هيلل، كما يقول الباحث عباس شـيلاق، فإنه يتمادى على حقائق التأريخ بذاتية لافتة للنظر، ويعرض تاريخ يهود العراق على أنه سـلسـلة من البطولات الشخصية الخرقاء (دراسات فلسطينية ع2، 1990م) (1).



(1)عباس شـيلاق، حول شـعور العداء لليهود في الدول العربية، مجلة دراسـات فلسـطينية، العدد 2، 1990. وانظر:

S.Hillet, Operation Babylon, Tewish claudestine Activity in the Middle East, 1946-51 (London, 1988).

M.Woolfson, Prophets en Babylon, Jews in the Arab World. (Nlondon: Faber and Faber, PP:51-52, 1980).

المدرسة اليهودية / مدرسة سكول في العمارة



مدخل لمدرسة يهودية وتظهر سنة البناء 5700



واجهة مقر الطائفة اليهودية ببغداد



المكان الذي يؤدي فيه يهود العراق صلاتهم



صورة جواز سفر العراقي توفيق سوفير رئيس المعبد اليهودي



مدخل مقر الطائفة



جامع النبي يونس



الملك الآشوري سرجون (705-721 ق.م) في عربته وافراد الحاشية يحملون المظلات

الفهرس